كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بسم الله الرحمن الرحيم

(القول في أحساس أجناس الحيوان)

اللهم إنَّا نَعوذ بك من الشَّيطان الرجيم، ونسألك الهداية إلى صراطك المستقيم[1]، وصلّى اللّه على سيدنا محمد خاصَّة[2] وعلى أنبيائه عامَّة، ونعوذ باللّه أن تدعوَنا المحبَّةُ لإتمام هذا الكتاب إلى أنْ نَصِل الصِّدْقَ بالكذب ونُدْخِل الباطلَ في تضاعيف الحقِ، وأن نتكثَّر بقول الزور ونلتمس تقوية ضعفِهِ[3] باللفظ الحسن، وستر قبحه بالتأليف المونِق[4]، أو نستعينَ على إيضاح الحقِّ إلا بالحق، وعلى الإفصاح بالحجَّة[5] إلاّ بالحجة، ونستميلَ إلى دراسته واجتبائه[6]، ونستدعي إلى تفضيله والإشادة[7] بذكره، بالأشعار المولّدة، والأحاديث المصنوعة[8]، والأسانيد المدخولة، بما لا شاهد عليه إلاّ دعوى قائله، ولا مصدِّق له إلاّ مَن لا يُوثَق بمعرفته، ونعوذُ باللّه من فِتنة القول وخَطَله، ومن الإسهاب وتقحُّم أهله[9]، والاعتمادُ فيما بيننا وبين كثيرٍ من أهل هذا الزمان على حسن الظنّ[10]، والاتّكالُ فيهم على العُذر؛ فإنّ كثيراً ممّن يتكلّف قراءة الكُتب، ومدارسةَ العلم، يقِفون من جميع الكتب[11] على الكلمة الضعيفة، واللَّفظة السَّخيفة، وعلى موضع من التأليف قد عرض له شيءٌ من استكراهٍ[12]، أو ناله بعضُ اضطراب[13]، أو كما يعرض في الكتب من سَقَطات الوهْم، وفَلَتات الضَّجَر، ومن خَطأ النّاسخ، وسوء تحفُّظ المعارِض[14] على معنًى لعله لو تدبَّره بعقلٍ غير مفْسَدٍ، ونظرٍ غير مدخول، وتصفّحَه وهو محترِسٌ من عوارض الحسد، ومن عادة التسرُّع[15]، ومن أخلاقِ مَن

---

(1) فيما عدا ل: «إلى الصراط المستقيم».
(2) ط، هـ: «محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم خاصة».
(3) ش، هـ: «صفته» ل: «ويلتمس تمويه مافيه».
(4) هـ: «وشر» تحريف. ل: «قبيحة». المونق: المعجب. ش: «الموفق».
(5) فيما عدا ل: «وعلى إيضاح الحجة إلا بالحجة».
(6) الاجتباء: الاختيار والاصطفاء. ط: «واقتنائه» ش، هـ: «واحتبائه» صوابهما في ل.
(7) فيما عدا ل: «والإشارة» ل: «والإسادة»، صوابهما ما أثبت.
(8) ط، ش: «الموضوعة»، وأثبت ما في ل، هـ. (9) ل، هـ: «وتفحم» ش، ط: «خطته».
(10) ط: «على من حسن الظن» هـ: «على ظن من حسن الظن»، محرفتان.
(11) فيما عدا ل: «من جميع هذا الكتاب». (12) ش: «الاستكراه».
(13) فيما عدا س: «وناله بعض الاضطراب».
(14) ش: «المعاند».
(15) فيما عدا ل: «ومن عارض» ط فقط: «التبرع» تحريف.

عسى أن يتَّسِع في القول بمقدار ضِيق صَدره، ويُرسل لسانَه إرسالَ الجاهل بِكُنْه ما يكون منه، ولو جعلَ بدلَ شُغله بقليلِ ما يرى من المذموم شُغْلَهُ[1] بكثيرِ ما يرى من المحمود ـ كانَ ذلك أشبهَ بالأدبِ المرضيِّ والخِيم الصَّالح، وأشدّ مشاكلَةً للحكمة، وأبعدَ من سلطان الطَّيش، وأقربَ إلى عادة السَّلف[2] وسيرة الأوَّلين، وأجدَرَ أن يَهَبَ اللّه له السَّلامة في كتبه، والدِّفاعَ عن حُجَّته يومَ مناضلةِ خصومه[3] ومقارعةِ أعدائه.

وليس هذا الكتابُ ـ يرحمك اللّه ـ في إيجاب الوَعد والوعيد فيعترض عليه المرجئ، ولا في تفضيل عليٍّ فَينصِب له العثمانيّ[4]، ولا هو في تصويب الحكمَين، فيتسخّطَه الخارجيّ، ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضَه من يُخالف التقديم، ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفَه صاحبُ الأجسام، ولا هو في تفضيل البَصرة على الكوفة، ومكة على المدينة، والشَّام على الجزيرة، ولا في تفضيل العجَم على العرب، وعدنانَ على قَحْطان، وعمرٍو على واصل[5] فيردّ بذلك الهذيلي عَلَى النّظّامي[6]، ولا هو في تفضيل مالكٍ على أبي حنيفة؛ ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النّابغة، وعامر بن الطفيل على عمرو بن معديكرب، وعباد بن الحصين[7] على عبد اللّه بن الحُرّ، ولا في تفضيل ابن سُريج على الغَريض، ولا في تفضيل سيبويهِ على الكسائيّ، ولا في تفضيل الجعفريِّ على العقيليّ[8]، ولا في تفضيل حلم الأحنف على حِلم معاوية، وتفضيل قَتادة على الزّهري، فإنَّ لكلِّ صِنفٍ من هذه الأصناف شيعةً، ولكلِّ رجل من هؤلاء [الرجال] جُنداً، وعدداً يخاصمون عنهم، وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير[9]، وعلماؤهم قليل، وأنصاف علمائهم أقلّ.

ولا تنكر هذا ـ حفظكَ اللّه ـ أنا رأيت رجُلين بالبصرة على باب مُويس بن عِمران، تنازعا في العنب النَّيروزيِّ والرازقيِّ، فجرى بينهما اللعين[10] حتى تواثبا، فقطع الكوفيُّ إصبع البصريِّ، وفقأ البصريُّ عينَ الكوفيّ، ثم لم ألبَث إلاّ يسيراً حتى رأيتهما متصافيَين متنادمين لم

---

(1) ط، ش: «تنقله» هـ: «ينقله» صوابهما في ل.

(2) ط، هـ: «الصلف» تحريف.

(3) ط، هـ: «يوم مناضلته خصومه».

(4) يقال نصب لفلان نصبًا: إذا قصده وعاداه وتجرد له، ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة على عليه السلام. فيما عدا ل: «فينصب»، وصواب النص من ل.

(5) عمرو: هو عمرو بن عبيد المترجم في (1/ 234) وهو صاحب العمرية. انظر الفرق بين الفرق 100-102.

(6) الهذيلي: واحد الهذيلية، وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف، المعتزلي. انظر الكلام على مذهبه في الفرق بين الفرق 102 والملل (1: 62) والمواقف 621 ومفاتيح العلوم 18، فيما عدا ل: «الهذلي» تحريف.

(7) سبقت ترجمته في (2: 61) وترجمة عبيد الله بن الحر في (2: 60) ط، هـ: «بن الحسين» صوابه في ش. وفي ل: «بن حصين» وهو وجه جائز في العربية.

(8) ل: «الجعدي على القلقلاني».

(9) فيما عدا ل: «من مخاصيهم وسفهائهم والمتسرعون منهم كثير».

(10) أي الشيطان. ل: «العنن» تحريف.

يقعا قطّ على مقدار ما يُغضب مِن مقدار ما يُرضي[1]، فكيف يقَعَانِ على مقادير طبقات الغضب والرضا[2]؟! واللّه المستعان.

وقد ترك هذا الجمهورُ الأكبر، والسَّوَادُ الأعظمُ، التوقفَ عندَ الشبهة، والتثبُّتَ عند الحكومة جانباً، وأضربوا عنه صَفْحاً[3]، فليس إلّا لا أو نعم، إلاَّ أَنَّ قولهم «لاَ» موصول منهم بالغضب، وقولهم نعم موصولٌ منهم بالرِّضا، وقد عُزلت الحرِّيَّة[4] جانباً، ومات ذِكرُ الحلال والحرام، ورُفض ذكر القَبيحِ والحسن.

قال عَمرو بن الحارث: «كنَّا نُبغض من الرِّجال ذا الرياء والنَّفح[5]، ونحن اليوم نَتمنّاهما».

قد كتبْنا من كتاب الحيوان ستّة أجزاء، وهذا الكتابُ السابع هو الذي ذكرنا فيه الفِيل بما حضَرنا من جُمْلة القولِ في شأنه، و[في] جملة أسبابه، واللّه الموفق.

وإنما اعتمدنا في هذه الكتب على الإخبار عمّا في أجناس الحيوان[6] من الحجج المتظاهِرة، وعلى الأدلة المترادفة[7]، وعلى التنبيه على ما جلَّلها اللّه تعالى من البرهانات[8] التي لا تعرف حقائقُها إلا بالفكرة[9]، وغشَّاها من العلامات التي لا تنال منافعها إلا بالعبرة، وكيف فرَّق فيها من الحكم العجيبة[10]، والأحساس الدقيقة، والصنعة اللطيفة، وما ألهمها من المعرفة وحشاها[11] من الجُبن والجرأة، وبصَّرها بما يُقيتُها[12] ويُعيشها، وأشعرها من الفِطنة لما يحاول منها[13] عدوُّها، ليكونَ ذلك سبباً للحذر، ويكون حذرُها سبباً للحِراسة، وحراستُها سبباً للسلامة، حتى تجاوزت في ذلك مقدارَ حراسة المجرِّب من الناس، والخائفِ المطلوب من أهل الاستطاعة والرويَّة[14]، كالذي يروى من تحارُس الغرانيق والكراكي، وأشكالٍ من ذلك كثيرة، حتى صار الناسُ لا يضرِبون المثلَ إلا بها، ولا يذمُّون ولا يمدحون إلا بما يجدون في أصناف الوَحْش من الطَّير وغير ذلك، فقالوا: أحذر من عقْعَق، وأحذَر من

---

(1) ل: «لم يقعا قط على ما يغضب من ما يرضى».
(2) فيما عدا ل: «مقدار طبقات الغضب».
(3) فيما عدا ل: «وأعرضوا عنه صفحًا».
(4) فيما عدا ل: «وقد عزل الحق جانبًا».
(5) النفج: أن يفتخر بما ليس له. ما عدا ل: «النفخ» تحريف.
(6) فيما عدا ل: «وإنما اعتمادنا في هذا الكتاب على أخبار ما في أجناس الحيوان».
(7) ل: «من الحجج الظاهرة والأدلة المترادفة». وكلمة: «الظاهرة» محرفة.
(8) جللها: كساها. وفيما عدا ل: «خلفها»، تحريف.
(9) ط، هـ: «لا يعرف». وفيما عدا ل: «إلا من الفكرة».
(10) فيما عدا ل: «من الحكمة».
(11) حشاها: ملأها، على المثل. وأنشد ثعلب:

ولا تـأنـفـا أن تـسـألا وتـسـلـمـا فـمـا حـشـي الإنـسـان شـرًا مـن الـكـبـر

فيما عدا ل: «كساها» تحريف.
(12) في الأصل: «يقيمها».
(13) فيما عدا ل: «بما تحاذر بها عدوها».
(14) ش، هـ: «والرؤية» تحريف.

غراب، وأحذَر من عصفور، وأسمع من فَرْخ العُقاب[1]، وأسمع من قُراد، وأسمعُ من فَرَس، وأجْبَنُ من صِفْرِد[2]، وأسخَى من لافِظَة[3]، وأصنع من تُنَوِّطٍ، وأصْنَع من سُرْفة، وأصنع من دَبْر، وأهدى من قَطاة، وأهدى من حمام، وأهدَى من جمل، [وأزهى من غراب[4]، وأَزْهى من ذباب[5]، وأجرأ من اللَّيث، وأكسَب من الذِّئب، وأخدع من ضَبّ، وأَرْوَغ من ثعلب، وأعقّ من ضَبّ، وأبرّ من هِرَّة، وأَسْرع من سِمْع، وأظلم من حيَّة، وأَظلم من وَرَلٍ، وأكذبُ من فاختة، وأصدق من قطاة، وأمْوَق من رَخمة، وأحزَم من فَرْخ العُقاب.

ونبَّهنَا تعالى وعزّ على هذه المناسبة، وعلى هذه المشاركة[6]، وامتَحَن ما عندنا بتقديمها علينا في بعض الأمور، وتقديمنا عليها في أكثر الأمور[7] وأراد بذلك ألاّ يُخْلِينَا من حُجة، ومن النَّظر إلى عبرةٍ، وإلى ما يعود عند الفكرة[8] موعظة، وكما كره[9] لنا من السهو والإغفال، ومن البطالة والإهمال، فجعلنا في كلِّ أحوالنا لا تُفْتَح أبصارُنا إلا وهي واقعةٌ على ضربٍ من الدلالة، وعلى شكل من أشكال البرهانات، وجعل ظاهرَ ما فيها من الآيات داعياً إلى التفكير فيها، وجعل ما استخزنها من أصناف الأعاجيب يُعرف بالتكشِيف عنها[10]، فمنها ظاهرٌ يدعوك إلى نفسه[11]، ويشير إلى ما فيه، ومنها باطنٌ يَزيدك بالأمور ثقةً إذا أفضيتَ إلى حقيقته، لتعلم أَنَّك مع فضيلة عقلِك، وتصرُّف استطاعتِك إذا ظهر عجزُك عن عمل ما هو[12] أعجز منك ـ أنّ الذي فضَّلك عليه بالاستطاعة والمنطق، هو الذي فضَّله عليك بضروبٍ أُخَر، وأنكما ميسَّران لما خُلقتُما له، ومُصَرَّفان لما سُخِّرتما له، وأن الذي يعجِز عن صَنعة السُّرْفة، وعن تدبير العنكبوت في قلتهما ومَهانتهما وضُعفهما وصِغَر جرمهما[13]، لا ينبغي أن يتكبّر في الأرض ولا يمشِيَ الخُيَلاء، ولا يتهكَّمَ في القول، ولا يتألَّى ولا يستأمر[14]، وليعلم أنَّ عقله منيحة من ربه[15]، وأن استطاعتَه عاريَّةٌ عنده، وأنه إنما يستبقي النِّعمة بإدامة [الشُّكْر[16]، والتعرُّض لسلبها بإضاعة] الشكر.

---

(1) فيما عدا ل: «وأحذر من فرخ العقاب». وانظر ما سيأتي في ص 8، وأمثال الميداني في قولهم: «أسمع من حية... إلخ» كما أنه سبق في (6: 282) قول الراجز:

أســـمـــع مـــن فـــرخ الـــعـــقـــاب الأســـحـــم

(2) ط، هـ: «صافرة» تحريف. وف ش: «صافر» وهذه صحيحة؛ فإن الصافر مما يضرب به المثل في الجبن. انظر لجبن الصافر (3: 216) ولجبن الصفرد (1: 157 س19).

(3) ويقال أيضًا: «أسمح من لافظة». وانظر المثل في (2: 85-86).

(4) هذه من ل، ش.

(5) هذا المثل ساقط من ش.

(6) فيما عدا ل: «عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة».

(7) فيما عدا ل: «بعض الأمور وتقديمها علينا في أكثر الأمور» تحريف.

(8) ط، هـ: «عند الفطنة».

(9) في الأصل: «ولما».

(10) فيما عدا ل: «بالكشف عنها».

(11) ل: «نصه».

(12) فيما عدا ل: «من هو».

(13) فيما عدا ل: «صورهما».

(14) ل: «يستثنى».

(15) فيما عدا ل: «منحة من ربه».

(16) في الأصل، وهو هنا ل: «النكر».

ثم حبَّب إليها طلب الذَّرء والسِّفاد الذي يكون مَجْلَبَةً للذرء[1]، وحبَّب إليها أولادَها ونجلَها وذَرءها ونسلها، حتى قالوا: أكرم الإبل أَشدُّها حنيناً، وأكرم الصَّفايا أشدُّها حبّاً لأولادها، [وزَاوَجَ بين أكثرها] وجعل تألّفَها معَ بعضها من الطَّروقة[2] إذا لم يكن الزِّواج لها خُلقاً، وجعل إلف العِرْس لها عادة، وقوَّاها على المسافَدة، لتتمَّ النعمة، وتعظم المنة[3]، وألهمها المبالغةَ في التربية، وحُسْنَ التعبُّد، وشدَّة التفقُّد، وسوَّى في ذلك بين الجِنس الذي يُلَقِّم أولاده تلقيماً، وبين الذي يُرْضِعُها إرضاعاً، وبين الذي يزقُّها زَقّاً، وبين ما يحضن وما لا يحضن، ومنها ما أخرجها من أرحام البَيض وأرحام البطون كاسيةً، ومنها ما أخرجها كاسيةً كاسِبة، وأمتَعَها وألذَّها[4]، وجعلها نِعمةً على عباده، وامتحاناً لشكرهم، وزيادةً في معرفتهم، وجِلاءً لما يتراكم من الجهل على قلوبهم، فليس لهذا الكتاب ضدٌّ من جميع مَن يشهد الشهادة، ويصلِّي إلى القبلة[5]، ويأكل الذَّبيحة ولا ضدٌّ من جميع الملحدين ممَّن[6] لا يقرُّ بالبعث، وينتحل الشرائع وإن ألْحَدَ في ذلك وزاد ونقص، إلا الدَّهريَّ، فإن الذي ينفي الربوبيَّة[7]، ويُحيل الأمرَ والنَّهيَ، ويُنكر جواز الرِّسالة، ويجعل الطِّينة قديمة، ويَجحد الثوابَ والعِقاب، ولا يعرف الحلالَ والحرام، ولا يقرُّ بأن في جميع العالَم برهاناً يدلّ عَلى صانعٍ ومصنوع، وخالق ومخلوق، ويجعلُ الفلك الذي لا يعرف نفسه من غيره، ولا يفصل بين الحديث والقديم، وبين المحسن والمسيء، ولا يستطيع الزيادةَ في حركته، ولا النُّقصانَ مِن دورانه، ولا مُعاقبةً للسُّكون بالحرَكة[8]، ولا الوقوفَ طرْفَةَ عين، ولا الانحرافَ عن الجهة ـ هو[9] الذي يكون به جميع الإبرام والنَّقض، ودقيقُ الأمور وجليلها، وهذه الحِكم العجيبة، والتدابير المتْقنة، والتأليف البديع[10]، والتَّركيب الحكيم، على حسابٍ معلوم، ونسَق معروف، على غايةٍ من دقائق[11] الحكمة وإحكام الصَّنعة.

ولا ينبغي لهذا الدهريِّ أيضاً أن يعرِض لكتابنا هذا وإن دلَّ على خلافِ مذهبه، ودعا إلى خِلافِ اعتقاده، لأن الدَّهريّ ليس يرى أنَّ في الأرض ديناً أو نِحلةً أو شريعة أو مِلة، ولا يرى للحلال حُرْمَةً ولا يعرفه ولا للحرام نهايةً ولا يعرفه، ولا يتوقَّع العقابَ على الإساءة، ولا يترجّى[12] الثواب على الإحسان، وإنما الصواب عنده والحقُّ في حُكْمه، أنه والبهيمةَ سِيّانِ، وأنه والسَّبُعَ سِيّان، ليس القبيحُ عنده إلاّ ما خالف هواه [وليس الحسَن عنده إلاّ ما

(1) فيما عدا ل: «للولد».
(2) الطروقة، بالفتح: الأنثى التي بلغت الضراب. ل: «وكتر لبعضها من الطروقة».
(3) فيما عدا ل: «وتتم المنة».
(4) فيما عدا ل: «وأمتعها وأولدها».
(5) في الأصل: «ويصلي القبلة».
(6) ط، هـ: «من».
(7) ط، هـ: «الرب» ل: «الربوبة» وهذه محرفة.
(8) ل: «السكون للحركة».
(9) هو، أي الفلك، الذي تقدم ذكره.
(10) فيما عدا ل: «والتآليف البديعة».
(11) فيما عدا ل: «من حقائق».
(12) فيما عدا ل: «يتوخى». تحريف.

وافق هواه]، وأن مدار الأمر على الإخفاق والدّرَك، وعلى اللذّة والألم، وإنما الصواب فيما نال من المنفعة[1]، وإن قتلَ ألفَ إنسانٍ صالحٍ لِمَنالةِ درهم رديء[2]، فهذا الدهريّ لا يخاف إن ترك الطّعْن على جميع الكتب عقاباً ولا لائِمة، ولا عذاباً [دائِماً] ولا منقطعاً ولا يرجو إنْ ذمّها ونَصَب لها[3] ثواباً في عاجل ولا آجل.

فالواجبُ أن يسلم هذا الكتابُ على جميع البريَّة، إذ كان موضِعُه على هذه الصِّفة، ومُجراه إلى هذه الغاية، واللّه تعالى الكافي الموفِّق بلطفه وتأييده[4]، إنه سميع قريب، [فعال لما يريد].

ثم رجع بنا القولُ إلى الإخبار عن الحيوان، بأيِّ شيء تفاضلتْ وبأيِّ شيء خُصَّت، وبماذا أبينتْ[5]، وقد عَرَفنا ما أُعطيت في الشَّمِّ والاستِرْواح، قال الرَّاجز[6] وذكر الذئب:

يستخبرُ الرِّيحَ إذا لم يسمَع بمِثل مِقْرَاعِ الصَّفا الموقَّع[7]

وقد عرفنا كيف شمُّ السّنانيرِ والسِّباع والذئاب، وأعجبُ من ذلك وِجدانُ الذَّرّة لرائِحة شيءٍ لو وضعْتَه على أنفك لَمَا وجدْتَ له رائِحةً، كرجل جرادةٍ يابسة منبوذةٍ، كيف تجدُ رائحتها من جوف جُحرها حتى تخرج إليها، فإذا تكلّفَتْ حملَها فأعجَزْتَها كيف تستدعي إليها سائر الذَّرّ، وتستعينُ بكلِّ ما كان منها في الجُحر. ونحوِ شمِّ الفَرَس رائحةَ الحِجْر من مَسيرة ميل، والفرس يسير قُدُماً[8] والحِجر خلفه بذلك المقدار، من غير تلفُّتٍ ولا معايَنةٍ من جهة من الجهات، وهذا كثيرٌ، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع[9].

فأمّا السَّمع فدعنا من قوْلهم: أسمعُ من فَرس، : و«أسمع من فرْخ العقاب» وأسمع من كذا، وأسمع من كذا، ولكنّا نقصد إلى الصّغير الحقير في اسمه وخطَره؛ والقليلِ في جسمه وفي قَدْره.

وتقول العرب: أسمع من قُراد، ويستدلون بالقِردان التي تكون حَوْل الماء[10] والبئر،

---

(1) ش: «نال به منفعة».

(2) ط: «لنالة» ش، هـ: «لناله» صوابهما في ل. والمنالة: الحصول على الشيء، مصدر ميمي.

(3) نصب لها، عاداها وتجرد لها. انظر ما سبق في التنبيه الرابع من ص4. ط، ش: «نصب إليها» هـ: «لقب لها»، الوجه ما أثبت من ل.

(4) ل: «والموفق بتأييده».

(5) فيما عدا ل: «أنست».

(6) هو أبو الرديني العكلي، كما سبق في (1: 55) والبيان (1: 82)، وانظر الحيوان (4: 74).

(7) الموقع: المحدد. فيما عدا ل: «المرقع» تحريف. وروايته في اللسان (مخر): «يستمخر»؛ استمخر الريح: قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه.

(8) سار قدمًا: مضى لم يعرج ولم ينثن. ط، ش: «قداما».

(9) انظر ما سبق في (2: 81/ 4: 239).

(10) فيما عدا ل: «المياه».

فإذا كان ليلة ورود القَرَب[1]، وقد بعث القومُ من يصلح لإبلهم الأرشِيةَ وأداةَ السقي، وباتت الرجال [عند الماء[2]] تنتظر مجيء الإبل، فإنها تعرف قربَها منهم في جوف الليل بانتفاش القِرْدان[3] وسرعة حركتها وخشخشتها، ومرورها نحو الرعاء، وزجر الرعاء[4]، ووقْع الأخفاف على الأرض، من غير أن يُحسّ أولئك الرجالُ حسّاً[5] أو يشعروا بشيء من أمرها، فإذا استدلوا بذلك من القردان نهضوا [فتلبَّبوا] واتزرُوا[6] وتهيؤوا للعمل.

فأمّا إدراك البصر[7] فقد قالوا: أبصر من غراب «وأبصر من فرس»؛ «وأبصر من هدهد» «وأبصر من عقاب».

والسَّنانير والفأرُ والجِرذان والسِّباع تُبصر بالليل كما تبصر بالنهار؛ فأمّا الطُّعم فيظنّ أنها بفرط الشَّرَه والشّهوة[8] وبفرط الاستمراء وبفرط[9] الحِرص والنَّهم، أن لذتها تكون عَلى قَدْر شَرهها وشهوتها، وتكون على قدر ما ترَى من حركتها[10]، وظاهر حرصها. ونحن قد نرى الحمار إذا عاين الأتان، والفرس إذا عاينَ الحِجْر والرمكة[11]، والبغلَ والبغلةَ، والتيسَ والعنز[12] فنظن [أن اللذة] على قدر الشهوة، والشهوة على قدر الحركة، وأن الصِّياحَ على قدر غلبة الإرادة. ونجد الرجال إذا اعتراهم ذلك لا يكونون كذلك إلاّ في الوقت الذي هم فيه أشدُّ غُلْمة وأفْرَط شهوة.

فإن قال قائل: إن الإنسان يغشى النِّساء[13] في كلِّ حالٍ من الفصلين والصَّميمين[14]، وإنما هَيْجُ السِّباع والبهائم في أيام من السنة[15] [ثم يسكن] هيج التَّيس والجمل، فالإنسان[16] المداوم أحسن حالاً.

قلنا: إنّا لم نَكن[17] في ذكر المخايَرة بين نصيب الإنسان في ذلك مجموعاً ومفرَّقاً،

---

(1) القرب، بالتحريك: أن يسم القوم إبلهم وهم في ذلك يسيرون نحو الماء، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه؛ فتلك الليلة ليلة القرب. ط، ش: «العرب» تحريف.

(2) هذه التكلمة من ل، ش. وفي س زيادة «لما» في آخر هذه العبارة.

(3) ل: «بانتعاش للقردان».

(4) فيما عدا ل: «نحو الراعي وزجر الراعي».

(5) فيما عدا ل: «تحس أولئك الرجال حسها».

(6) التلبيب: أن يتحزم بثوبه عند صدره. والاتزار: لبس الإزار، في لغة من يدغم الهمزة في التاء، كما تقول اتمنه في ائتمنه. فيما عدا ل: «وبرزوا». وانظر للعلاقة بين الإبل والقردان ما مضى في (5: 291).

(7) فيما عدا ل: «درك البصر».

(8) هذه الكلمة ساقطة من ل. ط، هـ: «فيظنون أن لفرط الشهوة» ش: «فظن أنه لفرط الشره في الشهوة».

(9) فيما عدا ل: «ولفرط»

(10) فيما عدا ل: «ويكون» تحريف. ط، هـ: «ما يرى».

(11) فيما عدا ل: «والرمك».

(12) أي إذا عاين البغل البغلة والتيس العنز اكتفى بالفعل المتقدم.

(13) فيما عدا ل: «يعشق للنساء» تحريف. وانظر ما سبق في (5: 149).

(14) يراد بالصميمين الصيف والشتاء في أشد حالاتهما. انظر (2: 192).

(15) فيما عدا ل: «في فصل معلوم».

(16) فيما عدا ل: «والإنسان».

(17) فيما عدا ل: «إذا لم يكن».

وبين نصيب كلِّ جنسٍ من هذه الأجناس مجموعاً ومفرَّقاً، وإنما ذكرنا نفس المخالطة فقط[1]، وما يدريكم أيضاً لعلها أَنْ تَسْتَوْفيَ[2] في هذه الأيَّام اليسيرة أضعافَ ما يأتِي الإنسان في تلك الأيَّام الكثيرة.

وعلى أنَّا قد نرى ممّا يعتري الحمارَ والفرسَ والبغلَ وضروباً كثيرة إذا عاينوا الإناث في غير أيام الهيج، وهاهنا أصنافٌ تُديم ذلك كما يُدِيمه الإنسان، مثل الحمام والدِّيَكَةِ وغير ذلك.

وقد علمنا أنّ السَّنانيرَ وأشباهَ السنانير لها وقتُ هيجٍ، ولكنَّ ذلك يكون مراراً في السّنة على أشدَّ مِن هَيج الإنسان، فليس الأمر على ما يظنّون.

فإن كان الإنسانُ موضعُ ذهنهِ من قلبه أو دماغه يكونُ أدقّ وأرقَّ وأنفَذَ، وأبصر، فإنّ حواسَّ هذه الأشكال أدقّ وأرقّ وأبْصر وأنفذ، وإن كان الإنسانُ يبلغُ بالرويّة والتصفُّح، والتحصيل والتمثيل ما لا يبلغه شيءٌ من السِّباع والبهائم، فإنّ لها أموراً تدركها، وصنعةً تحذِقها تبلغُ منها بالطبائع سهواً وهويّاً[3] ما لا يبلغ[4] الإنسان في ما هو بسبيله إلا أن يُكرِه نفسَه على التفكير، وعلى إدامة التنقير والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله.

ولكلِّ شيءٍ ضربٌ من الفضيلة وشكلٌ [من[5]] الأمور المحمودة، لينفيَ تعالى وعز عن الإنسانِ العُجْب، ويقبِّح عنده البَطر، ويعرِّفه أقدار القَسْم.

وسنذكر من فطن البهائم وأحساس الوَحْش وضروب الطير أموراً تعرفون بها كثْرَةَ ما أودعها اللّه تعالى من المعارف، وسخَّر لها من الصنعة[6]، ثم لا نذكر من ذلك في هذا الموضع إلاّ كلَّ طائر[7] منسوبٍ إلى الموق، وإلاّ[8] كلَّ بهيمةٍ معروفةٍ بالغثاثة، بعِدّةِ ما فيه أشْكالُها من المعرفة والفطنة، ولو أردنا الأجناسَ المعروفةَ بالمعارف الكثيرةِ، والأحساسِ اللَّطيفة، لذكرنا الفيلَ والبعير، والذَّرة والنملة، والذئب، والثعلب، والغرنوق، والنحلة، والعنكبوت، والحمامَ، والكلب، وسنذكر عَلى اسم اللّه تعالى بعضَ ما في البهائم والسِّباع والطير من المعرفة، ثم نخصُّ في هذا الكتابِ المنسوباتِ إلى المُوق، والمعروفاتِ بالغباوةِ وقِلة المعرفة، كالرَّخمة والزنبور، والرُّبَعِ من أولاد الإبل، والنَّسر من عظام الطير.

---

(1) الكلام بعد هذا إلى نهاية البيت الذي صدره: «وإن قيل احملي» في ص 11 ساقط من ل.
(2) ط، هـ: «تستوي»، صوابهما في ش.
(3) الهوي: السقوط. عنى به الوقوع على الصنعة بدون إرادة وإدراك.
(4) ط، هـ: «مما لا يبلغ».
(5) هذه من ش.
(6) ط، هـ: «وسخرها في الصنعة».
(7) في الأصل: «إلا من كل طائر».
(8) هذه الكلمة ساقطة من ش. وبدلها في ط، هـ: «وإلى».

وقال المفضَّل الضبيّ: قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت: ما معنى قول الكميت في الرَّخمة:

وذاتِ اسْمَيْنِ والألوانُ شَتَّى ... تُحَمَّقُ وهْيَ كيِّسة الحَويل[1]
لها خِبٌّ تلوذُ به وليست ... بضائعة الجَنين ولا مَذُولِ[2]

قال[3]: كأنّ معناه عندي حفظُ فراخها، أو موضع بيضها، وطلب طعمها، واختيارها من المساكن ما لا يَطُوره سبع طائر[4] ولا ذو أربع، قال: فقلتُ: فأيُّ كيس عند الرّخمة إلاّ ما ذكرت، ونحن لا نعرف طائراً ألأم لؤماً ولا أقذَر طُعْمةً، وَلا أظهر مُوقاً منها، حتى صارت في ذلك مثلاً؟ فقال محمد بن سهل: «وما حمقُها وهي تحضن بيضها، وتحمي فِراخها، وتحبُّ ولدها، ولا تمكِّنُ إلاَّ زوجها، وتقطع في أوَّل القواطع وترجِع في أوَّل الرواجع، [ولا تَطير في التحسير، ولا تغترُّ بالشكير، ولا تُرِبُّ بالوكور ولا تسقط على الجَفير».

أمّا قوله: تقطع في أول القواطعِ وترجع في أوّل الرواجع[5]] فإنَّ الرُّماة وأصحابَ الحبائلِ والقُنَّاصَ إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أنَّ القواطع قد قَطَعَتْ، فبِقطع الرّخمة يستدلُّون، فلا بدَّ للرَّخَمَةِ مِنْ أن تنجوَ سالمةً إذا كانت أوَّلَ طالعٍ عليهم.

وأمَّا قوله: ولا تُرِبُّ بالوُكور[6] [فإنّه[7]] يقول: الوكر لا يكون إلا في عُرْض الجبل، وهي لا تَرضى إلا بأعالي الهضاب، ثم مواضع الصّدوع وخِلالِ الصخور، وحيث يمتنعُ على جميع الخلقِ المصيرُ إلى فراخها، ولذلك قال الكميت:

ولا تجعلوني في رَجائيَ وُدَّكم ... كراجٍ على بيضِ الأنوق احتبالَها[8]

والأنوقُ هي الرّخمة، وقال ابن نوفل[9]:

وأنتَ كساقطٍ بينَ الحشايا ... يَصِيرُ إلى الخبيثِ مِن المَصِيرِ
ومثلُ نَعامةٍ تُدْعَى بعيراً ... تعاظُمِها إذا ما قيل طِيري[10]
وإن قيل احملي قالت فإنِّي ... من الطّير المُرِبَّة في الوكورِ[11]

(1) في اللسان: «حاولت الشيء: أي أردته؛ والاسم الحويل». وأنشد هذا البيت.
(2) المذول: وصف من المذل: بالتحريك، وهو الضجر والقلق. ش: «بضابعة» هـ: «الحنين» محرفتان.
(3) في الأصل: «قال المفضل»، وإنما القائل هو محمد بن سهل.
(4) يطوره: يقرب ويدنو منه. ط، هـ: «طائرًا»، صوابهما في ش.
(5) هذه التكملة من نهاية الأرب (10: 208) حيث نقل عن الحيوان.
(6) وأما قوله، ساقطة من هـ. وفي ط، ش: «وما قولهم» تحريف. وترب، من قولهم أرب بالمكان يرب به إربابًا: أقام به فلم يبرحه. وفي الأصل: «تراب»، تحريف.
(7) ليست في الأصل.
(8) الاحتبال: أخذ الصيد بالحبالة، وهي المصيدة. وفي الأصل: «احتيالها». صوابه من نهاية الأرب (10: 208).
(9) هو يحيى بن نوفل. انظر الحيوان (2: 149/ 4: 187).
(10) انظر روايات البيت في (4: 187).
(11) روى في (4: 187): «بالوكور».

وأما قوله: «[ولا تطير في التَّحسير[1]]، ولا تغترُّ بالشَّكير[2]» فإنها [تدعُ الطيرانَ أيام التحسير، فإذا نبت الشّكير ـ وهو أول ما ينبت من الريش ـ فإنها] لا تَنهض[3] حتى يصير الشكير قَصَباً، وأمّا قوله: «ولا تسقط عَلَى الجَفِير»، فإنما يعني جعبة السِّهام[4]، يقول: إذا رأته علمت أنّ هناك سهاماً، فهي لا تسقط في موضع تخاف فيه وقع السِّهام[5].

(اتباع الرخم والنسور والعقبان للجيوش)

والرَّخم والنّسور والعِقبان تتبع الجيوشَ لتوقع القتال وما يكون لها من الجيف، وتتبع أيضا الجيوشَ والحُجَّاج لما يسقط من كَسير الدَّواب[6]، وتتبعها أيضاً في الأزمنة التي تكون فيها الأنعام والحُجور حواملَ، لِمَا تؤمِّل من الإجهاض والإخداج[7]، قال النابغة[8]:

وَثِقْتُ له بالنَّصْرِ إذْ قِيلَ قد غَدَتْ ... كتائبُ من غَسّان غير أَشائِبِ[9]
بنو عمِّه دُنْيا وعمرُو بن عامر ... أولئك قومٌ بأسهُم غير كاذبِ
[إذا ما غَزَوْا بالجيش حَلَّقَ فوقهمْ ... عصائب طيرٍ تَهتدي بعصائب]
جوانح قد أيقنَّ أنّ قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ
تراهُنّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْراً عيونُها ... جُلوس شيوخٍ في مُسوك الأرانبِ[10]

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالي فقال:

إذا ما غزا يوماً رأيتَ عِصابةً ... من الطّير ينظُرْنَ الذي هو صانِعُ[11]

وقال آخر[12]:

---

(1) هذه التكملة من نهاية الأرب (10: 208).
(2) فيما عدا ل: «تغير»، صوابه في ل ونهاية الأرب.
(3) فيما عدا ل: «تنهض بالشكير». وكلمة «بالشكير» مقحمة.
(4) الجعبة، بالفتح: كنانة النشاب في أعلاها اتساع يفرج أعلاها لئلا ينتكث ريش السهام. والوفضة أصغر منها، وأعلاها وأسفلها مستو. فيما عدا ل: «قائمًا عني».
(5) كلمة «فيه» ليست في الأصل، وهو هنا ل؛ وإثباتها من نهاية الأرب.
(6) الكسير: المكسور. وفي نهاية الأرب: «كسرى» وهو جمع كسير، وفي ل: «حسرى» وهو جمع حسير، أي مجهد معي. وفي ش، هـ: «كثير» وهذه محرفة.
(7) الإخداج: أن تجيء بولدها ناقص الخلق.
(8) من أول قصيدة في ديوانه يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر.
(9) ل: «وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزوا». وفي الديوان: «وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت». الأشائب: الأخلاط من الناس؛ جمع أشابة بالضم.
(10) هذه رواية ل. وفيما عدا ل: «الشيوخ في ثياب المرانب». وانظر ما مر من الكلام على هذه الأبيات في (6: 205-206).
(11) انظر ما مضى في (6: 207). والبيت ساقط من ل.
(12) هذا الإنشاد ساقط من ل. والبيتان لمسلم بن الوليد كما سبق في (6: 207).

يكسُو السيوفَ نفوس النَّاكثين به ويجعل الرُّوسَ تِيجَانَ القَنا الذبُلِ
قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقن بها فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ في كلِّ مُرْتَحَلِ

فقال الكميت كما ترى[1]:

تحمّق وهي كيِّسةُ الحَويلِ

[فزعم أن النَّاس يحمقونها وهي كيِّسة].

(قول بعض الأعراب)

وقال بعضُ أصحابنا: قيل لأعرابيٍّ: أتحسن أنْ تأكلَ الرَّأْسَ؟ قال: نعم، قيل: وكيف تصنع به؟ قال: أبخصُ عينيه[2]، وأَسْحا خدَّيه[3]، وأعفص أذنيه[4]، وأَفكُّ لَحيَيْه، وأرْمي بالمخِّ[5] إلى مَنْ هُو أحوجُ منِّي إليه، قيل له: إنك لأحمق من رُبَع، قال: «وما حمق الرُّبَع؟! واللّه إنه لَيَجْتَنبُ العُدَاوَء[6] ويتبع أمّه في المرعى، ويُرَاوِحُ بين الأَطْباء، ويعلم أن حَنينها رُغاء، فأين حمقُهُ».

(قتل المكاء للثعبان)

وحدث ابنُ الأعرابيِّ عن هشام بن سالم، وكان هشام من رهْط ذي الرُّمّة، قال: أكلتْ حَيّة بيضَ مُكَّاء[7] فجعل المُكَّاءُ يشرشِر على رأسها ويدنُو منها، حتى إذا فتحت فاها تريده [وهمَّتْ به] ألقى فيه حَسَكة، فلم يزل يُلقي فيه حسكةً[8] بعد حسكة، فأخذَتْ بحلقها حتى ماتت.

وأنشد ابن الأعرابيِّ عند هذا الحديث قولَ الشاعر:

كأنَّ لكلِّ عند كُلّ سخيمةً يُرِيد بتخْرِيق الأدِيم استلالَهَا

---

(1) ل: «كما مر». وانظر ص 11 س4.
(2) بخص عينه يبخصها، بفتح الخاء: قلعها مع شحمتها. فيما عدا ل: «أعض عينيه»، تحريف.
(3) سحاه يسحوه ويسحيه ويسحاه، سحوًا وسحيًا: قشره. وهذه العبارة ساقطة من ل.
(4) العفص: الثني والعطف. ط، ش: «أعقص» بالقاف، صوابه بالفاء، والخبر رواه صاحب اللسان في مادة (عفص). وهذه العبارة وتاليتها ساقطة من ل.
(5) في الأصل: «بالدماغ»، والوجه ما أثبت من اللسان.
(6) الربع، بضم ففتح، يقال فرس ذو عدواء إذا لم يكن ذا طمأنينة وسهولة. فيما عدا ل: «ليجنب» تحريف، و«العدوى» تحريف كذلك.
(7) المكاء، بالضم والتشديد: طائر مثل القنبرة إلا أن في جناحيه بلقا، سمي بذلك لأنه يمكو، أي يصفر صفيرًا حسنًا. والمكاء مخفف: الصفير، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35].
(8) الكلام من: «فلم يزل» إلى هنا ليس في ل.

وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر، وهو هذا المعنى بعينه، وهو قول الأسدِيِّ الدُّبيريّ[1]:

إنْ كنتَ أبصَرْتني فذّاً ومُصْطَلَماً فرُبَّما قَتَلَ المُكَّاءُ ثُعبانا[2]

يقول: قد يظفر القليل بالكثير[3]، والقليلُ الأعوانِ بالكثير الأعوان؛ والمُكَّاء من أصغر الطير وأضعَفِه، وقد احتال للثُّعبان حتّى قتله.

(قول جالينوس في معرفة أنثى الطير)

وقال جالينوس في الإخبار عن معارف البهائم والطير، وفي التعجُّب من ذلك وتعجب الناس منه: قولوا لي: مَن عَلَّمَ النسرَ الأنثى إذَا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرِش ذلك الوَكْر بورق الدُّلْب[4] حَتى لا تقربه الخفافيش، وهذا أعجب[5]، والأطباء والعلماء لا يتدافعونه، والنُّسور هي المنسوبة إلى قلّة المعرفة والكيس والفطنة.

(حزم فرخ العقاب)

وقال ابن الأعرابيّ وأبو الحسن المدائني: قال رجلٌ من الأعراب: «كان سنان بن أبي حارثة أحزَم من فرخ العقاب[6]»، وذلك أنَّ جوارح الطير تتخذ أوكارها في عُرْض الجبال[7]، [فربّما] كان الجبلُ عموداً، فلو تحرَّك الفرخ إذا طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما وزادَ في حركته شيئاً من موضع مَجثِمه لَهوَى من رأس الجبل إلى الحضيض، وهو يعرف مع صِغره وضُعفه وقلّة تجربته، أنّ الصواب في ترك الحركة.

(اختلاف عادات صغار الحيوان)

ولو وُضِع في أوكار الوحشيَّاتِ فرخٌ من فراخ الأهليَّات لتهافتن تهافُتاً كفراخ القطا والحجَل والقَبج والدُّرَّاج والدَّجاج؛ لأنَّ هذه تَدْرُجُ على البَسيط[8]، وذلك لها عادة، وفراخ

---

(1) الدبيري: نسبة إلى «دبير» وهو أبو قبيلة من أسد، كما في القاموس (دبر): ط، هـ: «الزبيري» ش: «الزبيدي» صوابهما في ل.

(2) الفذ: الفرد: ط، ل: «قدا» ش: «فظا»، صوابهما في هـ.

(3) ط، هـ: «قد يظهر» تحريف.

(4) الدلب، بالضم: شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر، وهو مفرض الورق واسعه، شبيه بورق الكرم. وقال داود: «يعظم عند المياه جدًا، حتى رأيت شجرة منه تظل نحو عشرين فارسًا. وورقه كورق التين لكنه أدق، وأحد وجهيه مزغب».

(5) ط، ل: «أعجب».

(6) انظر المثل في كتاب البغال ص 375 والميداني 1/ 202.

(7) ل: «الجبن».

(8) تدرج: تمشي. والبسيط: المنبسط من الأرض. فيما عدا ل: «تدر على البسيط» تحريف.

الوحشيّة لا تجاوز الأوكار؛ لأنها تعرِف وتعلم أنّ الهلكةَ في المجاوزة، وأولادُ الملاّحين الذين وُلدوا في السفن الكبار، والمنشآت العظام[1] لا يخاف الآباءُ والأمَّهات عليهم إذا درجوا ومَشوا أنْ يقعوا[2] في الماء، ولو أن أولاد سُكان القصور والدّور صاروا مكان أولادِ أرباب السفن لتَهافتوا[3]، ولكلِّ شيء قَدْر، وله موضعٌ وزمانٌ وجهةٌ وعادةٌ.

فإذا استوى قصب ريش [فرخ] العقاب، وأحَسَّ بالقوة طار.

وأبَوَا فَرخ الخطّاف يعلِّمانه الطيران تعليماً.

(الختان عند اليهود والمسلمين والنصارى)

وزعم ناسٌ من أطبَّاء النصارى وهم أعداءُ اليهود، أن اليهود[4] يختِنون أولادَهم في اليوم الثّامن، وأن ذلك يَقَع[5]، ويوافِق أَنْ يكون في الصَّميمين، كما يوافق الفصلين[6]، وأنّهم لم يرَوْا قَطّ يهوديّاً أصابه مكروه من قِبَل الخِتان، وأنهم قد رأَوْا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يُحصى مِمَّنْ لقي المكروهَ في ختانه[7] إذا كان[8] ذلك في الصَّميمين من ريح الحمرة[9]، ومن قطع طَرَف الكمرة، ومن أن تكون المُوسَى حديثةَ العَهْد بالإحداد وسَقْي الماء، فتشيط[10] [عند] ذلك الكَمرة ويعتريها بَرَص، والصبيّ[11] ابن ثمانية أيام أعسرُ [ختاناً] من الغُلام الذي قد شَبَّ وشدن وقَوِيَ؛ إلاّ أَنَّ ذلك البرصَ لا يتَفشى[12] ولا يعدو مكانَه، [وهو في ذلك] كنحو البرص الذي يكون من الكيِّ وإحراق النار، فإنهما يفحشان ولا يتسعان[13].

(ختان أولاد السِّفْلة وأولاد الملوك وأشباههم)

ويختن من أولاد السِّفْلة والفقراء [الجماعة الكثيرة] فيؤمَن عليهم خطأُ الخاتن، وذلك غير مأمونٍ على أولاد الملوك وأشباهِ الملوك، لفِرط الاجتهاد، [وشدّة] الاحتياط، ومع ذلك

---

(1) المنشآت، بفتح الشين: السفن المرفوعة الشرع؛ وبكسرها: الرافعة الشرع. وبهما قرئ قول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن: 24]. ل: «والشاهرات» تحريف.

(2) ط: «أن يقع» ل: «لن يقعوا»، صوابهما في ش، هـ.

(3) فيما عدا ل: «تهافتوا».

(4) فيما عدا ل: «أنهم».

(5) ط، ش: «نفع» صوابهما في ل، هـ.

(6) سبق الكلام على الصميمين في ص9. فيما عدا ل: «كما وافق».

(7) فيما عدا ل: «ممن لا يحصى من لقى من المكروه في ختانه».

(8) فيما عدا ل: «إن».

(9) الحمرة: داء يعتري الناس فيحمر موضعها، وهو من جنس الطواعين.

(10) شاط يشيط: هلك، واحترق. فيما عدا ل: «فيسقط».

(11) فيما عدا ل: «ويظن أن».

(12) يتفشى: ينتشر. فيما عدا ل: «برص لا ينقشر» تحريف.

(13) فيما عدا ل: «وإن كان لا ينبتان» لكن في هـ: «لا ينسقان»، والصواب ما أثبت من ل.

يَزْمَعُ[1]، ومع الزَّمَع[2] والرِّعدة يقعُ الخطأُ، وعلى قدر رعدة اليد[3] ينال القلبَ من الاضطراب على حسَب ذلك.

(حسن التدبير في الختان)

وليس من التدبير أن يحضُر الصبيّ والخاتنَ إلاّ سفلة الخدم، ولا يحضره من يهاب.

(قدم ختان العرب)

وهذا الختان في العرب في النِّساء والرجال من لدُنْ إبراهيم وهاجر إلى يومنا هذا، ثم لم يُولَد صبيٌّ مختونٌ قط[4]؛ أو في صورةِ مختون.

(ختان الأنبياء)

وناسٌ يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم وُلِدَا مختونين، والسَّبيلُ في مثل هذا الرُّجوعُ إلى الرواية الصحيحة، [والأثر القائم].

(أثر الختان في اللذة)

قال: والبظراء تجد من اللذة ما لا تجدُه المختونة، فإنْ كانت مُستأصَلةً مستوعَبةً كان على قدر ذلك، وأصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحسنُ دونَ التماس نُقصان الشهوة، فيكون العفاف عليهنَّ مقصوراً[5].

قال: ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم [للخاتنة]: يا أم عطيَّة أشمِّيه ولا تَنْهَكِيه[6]، فإنه أسْرَى للوَجْه[7]، وأحظَى عند البعل، كأنه أراد صلى الله عليه وسلم أن ينقُص من شهوتها بقدر ما يردّها إلى الاعتدال؛ فإن شهوتها إذا قلَّتْ ذهبَ التمتُّع، ونقَصَ حُبُّ الأزواج، وحبُّ الزَّوج قَيْدٌ دون الفجور[8]، والمرأة لا تكونُ في حالٍ من حالات الجماع أشدَّ شهوةً منها للكَوْم الذي لقحت منه[9].

---

(1) أي يزمع الخاتن. والزمع: الدهش، ورعدة تعتري الإنسان إذا هم بأمر. فيما عدا ل: «يزيع»، تحريف.

(2) فيما عدا ل: «الزيع»، تحريف.

(3) فيما عدا ل: «وعلى قدر الاحتياط إليه»، تحريف.

(4) ل: «قط مختونًا».

(5) ل: «مقصورًا عليهن».

(6) الإشمام: أن تأخذ منه قليلاً. فيما عدا ل: «شميه» تحريف.

(7) أسرى: أجلى. ط: «أسر» هـ: «أسرا». ويروى: «أضوأ الوجه».

(8) فيما عدا ل: «فيه دون الفجور».

(9) ط، هـ: «الكرم».

وقد كان رجلٌ من كبار الأشراف عندنا يقول للخاتنة: لا تقرضي إلاّ ما يظهر فقط.

(أثر الختان في العفاف والفجور)

وزعم جَناب بن الخَشخاش[1] القاضي، أنه أحصى في قرية [واحدة] النساءَ المختونات والمُعْبَرَات[2]، فوجد أكثر العفائفِ مستوعَبات[3] وأكثر الفواجر مُعْبَرَات[4]. وأن نساء الهند والروم[5] وفارس إنما صار الزنا وطلب الرِّجال فيهنَّ أعم، لأنَّ شهوتهنَّ للرجال أكثر، ولذلك اتخذ الهند دوراً للزَّواني، قالوا: وليس لذلك علّة إلاّ وفارةَ البظْر[6] والقُلْفة.

والهند توافِق العربَ في كلِّ شيء إلاّ في ختانِ النِّساء والرجال، ودعاهم إلى ذلك تعمُّقهم في توفير حظ الباه، قالوا: ولذلك اتخذوا الأدوية، وكتبوا في صناعة الباه كتباً ودَرَسُوها الأولاد[7])

(السحق)

قالوا: ومن أكبر[8] ما يدعو النساء إلى السحق [أنهنَّ] إذا ألصقن موضع مَحَزِّ الخِتان وجَدْنَ هناك لذَّةً عجيبة، وكلما كان ذلك منها أوفَرَ كان السَّحقُ ألذّ، قال: ولذلك صار حُذّاق الرِّجالِ يضعون أطراف الكمر ويعتمدون بها على محزِّ الختان، لأنَّ هناك مجتمع الشهوة.

(ظمأ الأيِّل إذا أكل الحيات)

ومن هذا الباب الذي ذكرنا فيه صِدقَ إحساس الحيوان؛ ثم اللاتي يضاف منها إلى المُوق وينسب إلى الغثارة[9]، قال داود النبي عليه السلام في الزبور: «شوقي إلى المسيح مثل

(1) جناب بن الخشخاش العنبري، ترجم له في لسان الميزان (2: 138) وقال: «روى عنه عبد الله بن معاوية الجمحي». وذكره الذهبي في المشتبه. ل: «جناب بن الخشقاش» محرف، كما حرف في سائر النسخ، ففي ط: «حباب بن حسان». ش: «حباب بن جساس» هـ: «حباب بن حساس».

(2) معبرة، بفتح الباء المخففة: لم تخفض. فيما عدا ل: «مبظرات»، وهو خلاف الصواب؛ إذ أن المبظرات المختونات المخفوضات.

(3) ل، ش: «موعبات».

(4) فيما عدا ل «مبظرات». وانظر التنبيه الثاني.

(5) فيما عدا لك «الروم والهند».

(6) فيما عدا ل: «فارة البظر»، وإنما هي الوفارة بمعنى التمام والوفرة.

(7) في اللسان: «ابن جني: ودرسته إياه وأدرسته. ومن الشاذ قراء ابن حيوة: (وبما كنتم تدرسون).

(8) فيما عدا ل: «أكثر بالثاء».

(9) الغثارة: الحمق، ولم تصرح المعاجم بهذاالمصدر، لكن فيها: الأغثر: الأحمق الجاهل. فيما عدا ل: «الغباوة»، وليس يريدها الجاحظ.

الأيِّل إذا أكل الحيَّات[1]»، [والأيِّل إذا أكل الحيَّات[2]] فاعتراه العطش الشديد تراه كيف[3] يدور حَول الماء ويحجزه من الشرب منه علمُه بأنَّ ذلك عطبُه، لأن السموم حينئذٍ تجري مع [هذا] الماء، وتدخل مداخل لم يكن ليبلغها الطَّعامُ بِنفسه[4]، وليس علم الأيِّل بهذا كان عن تجربةٍ متقدمة[5]، بل هذا يوجد[6] في أوّل ما يأكل الحيّاتِ وفي آخِره[7].

(تعلُّق رؤوس الحيات في بدن الأيِّل)

وربما اصطيد الأيِّل فيجد القُنَّاصُ رؤوس الأفاعي وسائرِ الحياتِ ناشبةَ الأسنان في عنقه وجلد وجهه، لأنه يريدُ أكلها فرّبما بدرته الأفعى والأسود وغيرهما من الحيات فتعضُّه، وهو يأكلها ويأكل ما ينال منها [ويفوته ما تعلق به منها] بالعضِّ، فتبقى الرُّؤوس مع الأعناق معلَّقةً عليه إلى أن تنقطِع.

(نصول قرن الوعل)

[قالوا: وليس شيءٌ من ذوات القرون ينصل قرنه[8] في كلِّ عام إلا الوعل، فإذا علم أنَّه غير ذي قرن، وأنه عديم السلاح، لم يظهر من مخافة السباع، فإذا طال مُكثُه في موضعه سمن، فإذا سمن علم أن حركته تفقد وتبطئ، فزاد ذلك في استخفائه وقلَّة تعرُّضه، واحتالَ بألاَّ يكون أبداً على علاوة الريح، فإذا نجم قرنه[9] لم يجد بُدّاً من أن يمظِّعه[10] ويعرِّضه للشمس والريح، حتى إذا أيقن أنه قد اشتد أكثر المجيء والذهاب التماساً أن يذهب شحمه، ويشتد لحمه، وعند ذلك يحتال في البعد من السِّباع، حتى إذا أمكنه استعمال قرنيه في النزال[11] والاعتماد عليهما، والوثوب من جهتهما، رجَع إلى حاله من مراعيه وعاداته، ولذلك قال عصام بن زفر:

تَرجو الثَّوَاب من صبيح يا حَمَلْ ... قد مصَّه الدهر فما فيه بَلَلْ
إن صبيحاً ظاعِنٌ فمحتَمِلْ ... فلائذ منك بشِعبٍ من جبل

(1) النص في المزامير (42: 1): «كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله».
(2) بمثل هذه يلتئم الكلام.
(3) فيما عدا ل: «فكيف تراه».
(4) ط، هـ: «نفسه» تحريف.
(5) فيما عدا ل: «وليس علمي بهذا علمًا عن تجربة»، تحريف.
(6) فيما عدا ل: «هكذا يوجد».
(7) في الأصل: «وفي آخرها».
(8) ينصل قرنه: يسقط. وفي الأصل، وهو هنا ل: «ينصب» تحريف.
(9) نجم قرنه: ظهر. وفي الأصل: «لحم» تحريف.
(10) يمظعه: يعرضه للشمس، وفي الأصل: «يمطعه» بالمهملة، تحريف، قال أوس:
فمظعها حولين ماء لحائها ... تعالى على ظهر العريش وتنزل
(11) في الأصل: «النزول».

كـمـا يـلـوذ مـن أعـاديـه الـوَعِـلْ

فضرب به المثل كما ترى في الاحتيال والهربِ من أعدائه: وقال الراجز:

لـمـا رأيـتُ الـبـرقَ قـد تـبـسَّـمـا وأخـرج الـقَـطْـرُ الـقَـرُوعَ الأعـصَـمـا

قال ابن الأعرابيّ: إنما سمّوا الوعلَ القَروع لأنه يقرع عَجْب ذنبه من الناحيتين جميعاً].

(بيوت الزنابير)

وقال ابن الكلبي: قال الشرقي بن القطامي ذات يوم: أرأيتم لو فكَّر رجل منكم عُمرَه الأطولَ في أن يتعرَّف الشيء الذي تتَّخذ الزنابيرَ بيوتها المخرَّقة بمثل المجاوب[1]، المستوية في الأقدار، المتحاجزة بالحيطان، السخيفة في المنظر، الخفيفة في المحمل، المستديرة المضمر بعضها ببعض، المتقاربة الأجزاء، وهي البيوت التي تعلم أنها بُنيت من جوهرٍ واحد وكأنها من ورق أطباق صِغار الكاغد المزرّرة[2]، قولوا لي: كيف جمعتْه؟ ومن أي شيءٍ أخذته، وهو لا يشبه البناء ولا النَّسجَ ولا الخياطة.

ولم يفسر ابن الكلبيّ والشرقيُّ في ذلك شيئاً، فلم يصِرْ في أيدينا منهما[3] إلا التعجُّب والتعجيب، فسألت بعد ذلك مشايخ الأكرَة[4] فزعموا أنها تلتقطه من زَبَد المُدود[5]، فلا يدرى أمِن نَفْس الزَّبَدِ تأخذ، أم مِن شيءٍ يكون في الزَّبَد.

والذي عرَّف الزنابير مواضع تلك الأجزاء، ودلها على ذلك الجوهر هو الذي علَّم العنكبوتَ ذلك النسج، وقد قال الشاعر:

كـأنَّ قـفـا هـارون إذ يَـعْـتَـلـونَـهُ قـفـا عَـنْـكـبُـوتٍ سُـلَّ مـن دُبْـرِهـا غَـزْلُ

وقد قال بلا علم.

وأما دودة القزّ فلا نشك[6] أنها تخرجه من جوفها.

(معرفة الحقنة من الطير)

وتزعم الأطباء أنهم استفادوا معرفة الحُقنة من قِبل الطائر الذي إذا أصابه الحُصْر أتى

(1) ش، هـ: «المحذقة»، ط: «المحدقة». ط، ش: «بمثل المجالس» هـ: «المجارف» تحريف. والمجوب، بكسر الميم: آلة الجوب وهو الخرق والقطع.
(2) انظر للكاغد ما مضى في (4: 221).
(3) فيما عدا ل: «عنها»، والضمير لابن الكلبي والشرقي.
(4) الأكرة، بالتحريك: جمع أكار، كشداد، وهو الحراث.
(5) المدود: السيول، جمع مد. فيما عدا ل: «الممدود» تحريف.
(6) ل: «فبلا شك».

البحرَ فأَخَذَ بمنقاره من الماء المالح، ثم استدخَلَه فمجَّه في جوفه، وأمكنَه ذلك بطول العنق والمِنقار، فإذا فعل ذلك، ذَرَق فاستراحَ.

(ما يتعالج به الحيوان)

والقنفذ وابن عِرسٍ إذا ناهشا الأفاعيَ والحيَّاتِ الكبارَ تعالَجَا بأكل الصَّعتر[1] البرّيّ.

والعقاب إذا اشتكت كبدَها مِن رَفْعها الأرنَبَ والثعلبَ في الهواء وحَطِّها لهما مِرَاراً فإنها لا تأكل إلاّ من الأكباد حتى تبرأَ من وجَع كبدها.

(رغبة الثعلب في القنفذ)

[قال: وسألتُ القُنّاصَ: ما رغبة الثعلب في أكل القنفذ وإن كان حشو إهابه شحماً سميناً، وفي[2] ظاهر جلده شوك صلابٌ حدادٌ متقاربٌ كتقارُب الشعر في الجسد؟ فزعموا أنَّ الثعلبَ إذا أصابه قلبَه لظهره ثم بال على بطْنه فيما بين مغرِز عَجْبه إلى فكِّيه، فإذا أصابه ذلك البولُ اعتراه الأسَنُ[3] فأسبَطَ[4] وتمدَّد، فينقر عن بطنه، فمن تلك الجهة يأكل جميعَ بدنه ومسلوخِه الذي يشتمل عليه جلدهُ.

(صيد الظربان للضب)

وقالوا: وبشبيهٍ بهذه العلّة يصيد الظّربانُ الضبّ في جوف جُحْره حتى يغتصبه نفسَه؛ وذلك أنّه يعلم أنّه أنتن خلق اللّه فَسوة، فإذا دخل عليه جُحره سَدَّ خَصاصَه وفروجَه ببدنه، وهو في ذلك مستدبِرٌ له، فلا يفسو عليه ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُعْطِيَ بيده فيأكله كيفَ شاءَ.

قالوا: وربّما فسا وهو بقرْب الهَجْمة وهي باركةٌ فتتفرَّق في الصحراء فلا يجمعُها راعِيها إلاّ بجهد شديد، ولذلك قال الشاعر:

لا تمنحوا صقراً فما لمنيحةٍ ... أتت آلَ صقرٍ من ثوابٍ ولا شُكْرِ
فما ظَربانٌ يُؤْبِسُ الضبَّ فَسْوُهُ ... بألأَمَ لؤماً قد علمناه مِن صقْرِ[5]

---

(1) الصعتر، ويقال أيضًا «السعتر»: نبت من خواصه طرد الهوام. ط: «الصقر» ل: «الصعير»، صوابهما في ش، هـ.

(2) هذه الكلمة ليست في الأصل، وهو هنا ل.

(3) الأسن، بالتحريك: الدوار والغشى، ويقال الذي غشى عليه من رائحة البئر أسن، قال زهير:

يغادر القرن مصفرًا أنامله ... يميد في الرمح ميد المائح الأسن

(4) أسبط إسباطًا: امتد على وجه الأرض وانبسط؛ ومثله اسبطر.

(5) يؤبسه: يقهره. وفي الأصل: «يؤنس» تحريف. وفي اللسان: «وأبسه أبسًا: قهره. عن ابن الأعرابي. وأبسه: غاظه وروعه». وفي الأصل: «بآلم لؤمًا».

ولذلك قال الراجز، وهو يذكر تكسُّب الظربان بفسوه لِطُعْمِهِ[1] وقوته، كما يتكسَّب الناس بالصِّناعات والتِّجارات، فقال:

باتا يُحكَّان عراصِيفَ القَتَبْ[2] مستمسِكَيْنِ بالبِطانِ وَالحقَبْ[3]
كما يحُكُّ القينُ أطرافَ الخشَبْ[4] وابن يزيدَ حَرَبٌ من الحَرَبْ[5]
لا ينفع الصاحبَ إلاّ أن يَسُبّ كالظَّربان بالفُسَاءِ يكتسِبْ

(ما قيل في بلاهة الحمام)

قال ابن الأعرابيّ: قلت لشيخ من قريش: مَن علّمك هذا، وإنما يُحسِن من هذا أصحابُ التجارات والتكسُّب، وأنتَ رجلٌ مكفيٌّ مودّع[6]؟ قال: علّمني الذي علم الحمامةَ على بَلَهها تقليبَ بيضها كي تعطي الوجهين جميعاً نصيبَهما من الحَضْن، ولخوف طباع الأرض إذا دام على الشِّقِّ الواحد.

والحمام أبله؛ ولذلك كان أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقولون: «كونوا بُلْهاً كالحمام»، ألا ترى أنّ الحمام في الوجه الذي ألهمه اللّه مصالح ما يُعيشه، ويُصْلِح به شأنَ ذَرْئه ونسله ـ ليس بدونِ الإنسان في ذرئه ونسله، مع ما خُوِّل من المنطق، وأُلهم من العقل، وأُعطي من التّصريف في الوجوه[7]]؟!

(حيلة الفأرة للعقرب)

وإذا جَمَعَ بعضُ أهل العَبث وبعضُ أهل التَّجربة بين العقرب وبين الفأرة في إناءِ زجاج، فليس عندَ الفأرة حيلةٌ أبلغُ من قرض إبرة العقرب فإمّا أنْ تموتَ من ساعتها، وإمَّا أنْ تتعجل السَّلامةَ منها، ثم تقتلَها كيف شاءت، وتأكلَها كيف أحبَّت.)

---

(1) في الأصل: «وطعمه»، تحريف.

(2) العراصيف: أربعة أوتاد يجمعن بين رءوس أحناء الرحل، الواحد عرصاف وعرصوف، وتسمى أيضًا العصافير، واحدها عصفور. انظر المخصص (7: 140) واللسان (11: 148-149). وفي الأصل: «غضاريف» تحريف.

(3) البطان، بالكسر: حزام الرحل. والحقب، بالتحريك: حبل يشد به الرحل في بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير.

(4) في الأصل: «كما يحل»، تحريف.

(5) الحرب: الخصومة والغضب، وصفه بالمصدر.

(6) المكفي: الذي كفى أموره، وفي الأصل: «يتكفى» تحريف. والمودع: المرفه، يقال ودعه توديعا فهو مودع، ومودوع على غير قياس.

(7) إلى هنا تنتهي التكملة التي بدأت في ص 20 س9.

(علم الذرة)

قال: ومَن علَّم الذّرَّة أن تفلق الحبَّةَ فتأكل[1] موضع القِطمير لئلاّ تنبتَ فتفسُد، فإذا كانت الحبَّة من حبّ الكزْبُرة[2] ففلقتها أنصافاً لم ترض[3] حتى تفلِقها أرباعاً؛ لأن الكُزبُرة من بين جَميع الحبّ[4] تنبُت وإنْ كانت أنصافاً، وهذا عِلْمٌ غامضٌ. إذَا عرَفه الشّيخُ الفلاّح المجرِّب، والفاشكار[5] الرئيس والأكَّار الحاذِق، فقد بلغوا النهاية في الرِّياسة.

(معرفة الدبّ)

وقال جالينوس[6]: ومن علّم الدبّ الأنثى إذا وضعت ولدَها أنْ ترفعَه في الهواء أياماً تهرُب به من الذَّرِّ والنمل، لأنها تضعه كفِدْرة[7] من لحم، غيرَ متميِّز الجوارح، فهي تخاف عليه الذَّرَّ، وذلك له حتفٌ، فلا تزالُ رافعةً له وراصدة، ومُتفَقِّدَةً وَمُحَوِّلةً [له[8]] من موضع إلى موضع، حتى يشتد وتنْفرج أعضاؤه.

(شعر لبشار)

وقال بشَّار الأعمى:

أما الحيَاة فكلُّ النَّاسِ يحفظُها ... وفي المعيشةِ أبلاءٌ مناكيرُ[9]
وكلُّ قسمٍ فللعقبان أكثَرُهُ ... والحظُّ شيءٌ عليه الدهر مقصورُ

(أمنِيَّة بشر أخي بشار)

وقال بشر أخو بشّار ـ وكانوا ثلاثةً، واحد حنفيّ، وواحد سدوسيّ، وبشَّار عُقيليّ،

---

(1) فيما عدا ل: «وتأكل».
(2) فيما عدا ل: «وإذا أخذت الحية من حبة الكزبرة».
(3) فيما عدا ل: «فلقتها أنصافًا فلم ترض».
(4) فيما عدا ل: «البزور».
(5) الفاشكار، لفظة فارسية معربة؛ مأخوذة من «بشكاري» الفارسية، بمعنى الزراعة والفلاحة: Agriculture, tillage. انظر استينجاس 189.
(6) ش، هـ: «الجالينوس».
(7) الفدرة، بالكسر: القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة. فيما عدا ل: «كجذوة»، تحريف.
(8) فيما عدا ل: «وتفقده ونحوله».
(9) فيما عدا ل: «أما الجياد» تحريف. والأبلاء: جمع بلو، بالكسر، يقال رجل بلو شر وبلو خير، أي قوى عليه. فيما عدا ل: «أشياء» موضع: «أبلاء».

وإنما نزل في بني سدوس لسبب أخيه[1] ـ وقد كان قيل لأخيه: لو خيَّرك اللّه أنْ تكون شيئاً من الحيوان أيَّ شيءٍ كنتَ تتمنى أن تكون؟ قال: عُقاب، قيل: ولِمَ تمنّيت ذلك؟ قال: لأنَّها تَبيتُ حيثُ لا ينالها سَبُعٌ ذو أربعٍ، وتَحِيدُ عنها سباعُ الطَّير.

(معرفة في العقاب)

وهي لا تعاني الصَّيد إلاّ في الفَرْط، ولكنّها تسلُب كلّ صَيُودٍ صَيْدَه، وإذا جامع[2] صاحبُ الصقر وصاحبُ الشّاهين وصاحبُ البازي [صاحبَ العقاب، لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العُقاب، وهي طويلة العمر، عاقَّة بولدها]، وهي لا تحمِل على نفسها في الكَسْبِ، و[هي] إنْ شاءتْ كانت فوقَ كلِّ شيءٍ، وإن شاءتْ كانت بقُرْبِ كلِّ شيء، وتتغدّى بالعِراق وتتعشَّى باليمن، وريشُها الذي عليها هو فَروُها في الشتاء، وخَيْشُها في الصَّيف، وهي أبصرُ خلق اللّه.

هذا قولُ صاحب المنطق في عُقوق العقاب وجفائها بأولادها، فأمَّا أشعار العرب فهي تدلُّ على خلاف ذلك، قال دريد بن الصِّمَّة[3]:

وكلُّ لَجُوجٍ في العِنانِ كأَنَّها ... إذا اغتمست في الماءِ فَتْخَاءُ كاسِرُ[4]
لها ناهضٌ في الوكر قد مَهَدَتْ له ... كما مَهَدَتْ لِلْبَعْل حسناءُ عاقرُ[5]

(المحمق من الحيوان)

والحيوان المحمّق الرّخَمة والحُبارَى، قال عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه: «[كلُّ] شيءٍ يحبُّ ولدَه حتّى الحبارى».

---

(1) فيما عدا ل: «في بني عقيل لمكان أخيه». وفي الأغاني (3: 53): «وكان بشار مجاورًا لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيين».

(2) فيما عدا ل: «وإذا رآها الجامع»، تحريف.

(3) كذا، والمعروف نسبة الشعر إلى المعقر البارقي، واسمه سفيان بن أوس، وبالبيت الثاني سمى «معقرًا». انظر الأغاني (10: 44-45) والمزهر (2: 273). وقصيدته في الأغاني. وقبل البيتين:

تفرج عنا كل ثغر مخافة ... مسح كسرحان القصيمة ضامر

(4) عنى الفرس. اغتمست في الماء أي عرقت عرقًا شديدًا من الجري. والفتخاء: العقاب، سميت بذلك للين جناحيها. والكاسر: المنقضة. فيما عدا ل: «في العناق» تحريف. وفي الأغاني واللسان (14: 8): «وكل طموح» وفي اللسان: «إذا اغتسلت بالماء» قال: «ويقال للفرس إذا عرق قد غسل وقد اغتسل».

(5) الناهض: فرخ العقاب الذي وفر جناحاه ونهض للطيران. ل: «ناحض»، وفيما عدا ل: «ناهد»، صوابهما ما أثبت من الأغاني والمزهر والمقاييس (عقر). قال أبو الفرج: «وإنما خص العاقر لأنها أقل دلاً على الزوج من الولود فهي تصنع له وتداريه». وبعد البيت:

تخاف نساء يبتدرن حليلها ... محردة قد حردتها الضرائر

وأنثى الذئاب، وهي التي تسمَّى جَهِيزة[1]، والضبع، والنَّعجة، والعنز، هذه من الموصوفات بالمُوق [جدّاً].

قال: ومن الحيوان ما ليس عنده إلا الجمالُ والحسن [كالطاوس؛ وهو من الطير المحمَّق]، وكذلك التُّدْرُج[2] مع جماله وحُسنه وعجيب وَشْيه، والزرافةُ، وهي أيضاً موصوفة بالمُوق، وليس عندها إلا طَرَافة الصُّورة[3] وغرابة النِّتاج، وهي من الخَلْق العجيب مَواضِعِ الأعضاء، ويتنازعها أشباهٌ كثيرة.

والفيل عجيب[4] ظريف، ولكنه قَبيحٌ مَسيخ[5]، وهو في ذلك بهيٌّ [نبيلٌ]، والعين لا تكرهه[6]، والخنزير قبيح مَسيخ، والعين تكرهه، والقرد قَبيحٌ مليح.

وعند البَبْغاء[7] والمُكَّاء والعندبيل[8] وابن تَمْرة[9] مع صغر أجْرامها ولَطافة شُخوصها، وضَعْف أسْرِها[10]، من المعرفة والكَيس والفِطنة والخُبث ما ليسَ عند الزَّرافة والطاووس والببغاء عجيب الأمر[11])

ويقولون: عندليب [وعندبيل[12]]، وهو [من] أصغر الطير.

(ما قيل في حمق الأجناس المائية وفطنتها)

فأما الأجناس المائية من أصناف السَّمك، والأجناس التي تُعايش[13] السَّمك، فإنَّ جماعتَها موصوفَةٌ بالجَهل والمُوق وقِلَّة المعرفة، وليس فيها خُلُقٌ مذكور، ولا خَصْلة من

---

(1) فيما عدا ل: «جهيرة» صوابه بالزاي. وجهيزة علم ممنوع من الصرف، لكن نقل في اللسان عن الجاحظ أنه مصروف، وهو نقل عجيب؛ إلا أن يكون اعتمد الناقل في ذلك على نسخة من الحيوان، وليست النسخ بحجة في الضبط.

(2) فيما عدا ل: «والبقر» تحريف. وانظر ما سبق في (1: 244/ 5: 317).

(3) انظر حواشي (5: 142).

(4) الطريف: العجيب، يقال طرف طرافة. فيما عدا ل: «ظرافة» وهي صحيحة أيضًا، وفي القاموس: «ظرف ككرم ظرفًا وظرافة قليلة». وانظر ما سبق في (3: 92).

(5) ط، ش: «عجب».

(6) المسيخ: الذي لا ملاحة له؛ وقد مسخ مساخة. فيما عدا ل: «سمج».

(7) هذه الكلمة ساقطة من ل. وكلمة «نسخ» هي في الأصل «سمج»، والوجه ما أثبت.

(8) ل: «السقاء».

(9) انظر (5: 102/ 6: 187، 262). فيما عدا ل: «ابن نمرة» تحريف.

(10) الأسر، بالفتح: القوة. فيما عدا ل: «أمرها».

(11) ل: «والسقاء عجيبة الأمر».

(12) هذه الكلمة من ل، ش، هـ. وانظر التنبيه التاسع.

(13) فيما عدا ل: «تعاشر».

خِصال الفِطَن، إلا كنحو ما يروى من صَيد الجرِّيِّ للجِرْذَان، وحَمْل تلك الدابة للغَرْقى حتى تؤدِّيَهم إلى الساحل[1].

(شدة بدن السمكة والحية)

والسمكة شديدة البدن، وكذلك الحيّة، وكلُّ شيء لا يستعينُ بيدٍ ولا رجلٍ ولا جَناحٍ، وإنما يستعمل أجزاءَ بدنه معاً فإنه يكونُ شديد البدن.

(حيلة الشبوط في التخلص من الشبكة)

وخبَّرني بعضُ الصيّادين أنَّ الشبوطة تنتهي في النهر[2] إلى الشَّبكة فلا تستطيع[3] النفوذ منها، فتعلم أنها لا يُنجيها إلا الوثوب فتتأخّر قدرَ قابِ رُمح[4]، ثم تتأخَّر جامعةً لجراميزها[5] حتَّى تثِب، فربّما كان ارتفاعُ وثْبتِها في الهواء أكثرَ من عَشْرِ أذرُع، وإنما اعتمدَتْ على ما وصفنا[6]، وهذا العملُ أكثرُ ما روَوْه من معرفتها، وليس لها في المعرفة نصيبٌ مذكور.

(ما يغوص من السمك في الطين)

وأنواعٌ من السمك يغوص في الطِّين، وذلك أنها تَنْخَر[7] وتتنفَّس في جوفه، وتلزم أصول النبات إذا لم يرتفع[8]، وتلتمس الطُّعم والسِّفاد.

ونحن لم نر قَطُّ في بطن دِجلةَ والفراتِ وجميع الأودية والأنهار، عند نضوب الماء، وانكشاف الأرض، وظهور [وجه] الطين، وعند الجزْر والنُّقصان في الماء في مَوَاخِر الصَّيْف[9] وأيَّام مجاورة الأهلّة والأنْصاف[10] جُحْراً قَطُّ، فضلاً على ما يقولُون[11]، أنّ لها في بُطونِ الأنهار بيوتاً.

---

(1) لم يذكر الجاحظ اسم تلك الدابة البحرية، وقال أيضًا في ص 83: «وقد ذهب عني اسمه». وتلك الدابة هي «الدخس». انظر الحاشية الثامنة من (5: 367) والسابعة من (6: 17).

(2) فيما عدا ل: «إلى النحيز» تحريف.

(3) ط: «نستطيع» ش: «يستطيع» محرفتان.

(4) القاب: القدر. وكلمة «قدر» ليست في ل. وإضافة الاسم إلى مرادفه وردت كثيرًا في كلام العرب. وفي قول الله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [النحل: 30] و: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95] و: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: 9]. وانظر شرح الأشموني للألفية (2: 238).

(5) الجراميز: الجسد والأعضاء، يقال جمع جراميزه، إذا تقبض ليثب. فيما عدا ل: «بجراميزها» تحريف.

(6) ل: «على ماء»، ولها وجه.

(7) ل: «لها مسخر» ش، هـ: «أنها تسخر» ط: «أنها تسحر» والوجه ما أثبت.

(8) ل: «إذا لم ترتع» من الارتعاء، وهو الرعي. (9) جمع مؤخر بالتسهيل. وفي ل: «أواخر».

(10) أي أنصاف الشهور. ط، هـ: «وما نأمن مجاورة الأبلة» ش: «وما أنا من محاورة الأبلة» مع إسقاط كلمة: «والأنصاف». وانظر للمد والجزر ما سبق في (1: 62 س16-17/ 5: 195، 323).

(11) فيما عدا ل: فضلاً عما يقولون».

(جِحَرة الوحش)

ورأيْتُ عجَباً آخرَ، وهو أنّي في طولِ ما دخلت البَراريَّ، ودخلت البُلدان، في صحارى جزيرة العرب والرُّوم والشّام والجزيرة وغير ذلك، ما أعلمُ أني رأيتُ على لَقَم طريقٍ[1] أو جادةٍ، أو شَرَكٍ مُصَاقِبٍ ذلك[2] أو إذا جانبتُ الطُّرُق[3]، وأمعنْتُ في البَراري، وضربت إلى الموْضِع[4] [الوحشيِ ـ جُحراً واحداً يجوز أن يدخله ضبع أو تيس ظباء، أو بعض هذه الأجناس] الوحشيّة، وما أكثر ما أرَى الجِحَرةَ، ولكني لم أرَ شَيئاً يتسعُ للثّعلب[5] وابنِ آوى، فضلاً على هذه الوحوش الكِبار[6] مما هو مذكور بالتَّوْلَج والوِجار، وبالكِناس والعَرين.

وجُحْر الضبّ يسمَّى عريناً، وهو غير العَرين الذي يضاف إلى الشَّجَر[7].

(حيلة الضب واليربوع)

وأمَّا حفظ الحياةِ والبصَر بالكَسْبِ، والاحتراسُ مِن العدوّ والاستعداد بالحِيَل، فكما أعَدَّ الضبُّ واليَربوع[8].

(أوقات اختفاء الفهد والأيل)

والفهد إذا سَمنَ عَرَف أنه مطلوب، وأنّ حركته قد ثقلت، فهو يُخفي نفسَه بجهده حتى ينقضِيَ ذلك الزمان الذي تسمن فيه الفهود، ويعلم أنّ رائحة بدنه شهيَّةٌ إلى الأسد [والنَّمِر، وهو ألطفُ شمّاً لأراييح السباع القويَّة من شمّ السباع للرائحة الشهيّة]، فهي لا تكاد تكون [إلاّ] على عُلاوةِ الريح[9].

والأيِّلُ ينصُل قَرْنُه في كلّ عام، فيصير كالأَجمِّ، فإذا كان ذلك الزمانُ استخفَى وهربَ

---

(1) لقم الطريق، بالتحريك: متنه ووسطه ومعظمه.

(2) شرك الطريق: جواده، وقيل هي الطرق التي لا تخفى عليك ولا تستجمع لك، فأنت تراها وربما انقطعت، غير أنها لا تخفى عليك. والمصاقب: المجاور. فيما عدا ل: «سرك» وفي ل: «شراك» صوابهما ما أثبت. ط، هـ: «مصافت»، محرفة، وفي ل: «يصاقب».

(3) فيما عدا ل: «وأنا جاريت الطرق».

(4) فيما عدا ل: «المواضع».

(5) فيما عدا ل: «يسع الثعلب».

(6) فيما عدا ل: «عن» موضع «على».

(7) إذ العرين جماعة الشجر والشوك والعضاه، كان فيه أسد أو لم يكن.

(8) أما الضب فإنه يعد لمحترشه عقربًا. انظر (6: 27، 35). وأما اليربوع فإنه يحتال بالنافقاء. انظر (5: 187، 301).

(9) يقال: كن في علاوة الريح أو سفالتها، فعلاوتها: أن تكون فوق الصيد، وسفالتها: أن تكون تحت الصيد لئلا يجد الوحش رائحتك. فكلمة «إلا» التي أثبتها ضرورية لاستقامة الكلام.

وَكَمن، فإذا نبت قرنُه[1] عرَّضَهُ للرِّيح والشَّمْسِ في الموضع الممتنع، ولا يظهرُ حتى يَصْلُب قرنه ويَصيرَ سلاحاً يمتنع به، وقرنُه مُصمَتٌ، وليس في جوفه تجويفٌ، ولا هو مصمتُ الأعْلَى أجوف الأسفل.

(معرفة الإبل بما يضرها وما ينفعها)

والبعير يدخل الرَّوضة و الغيَضة، وفي النبات ما هو غذاءٌ، ومنه[2] ما هو سمٌّ عليه خاصة، و[منه] ما يخرج من الحاليْن[3] جميعاً، ومن الغِذاء ما يريده في حالٍ [ولا يريده في حالٍ] أخرى، كالحَمْضِ وَ الخَلَّة، ومنه ما يغتذيه غيرُ جِنسِه فهو لا يقرَبُه وإن كان ليس بقاتل ولا مُعْطِب، فمن تلك الأجناس ما يَعرفه برؤية العين دون الشمّ، ومنها ما لا يَعرفه حتّى يَشمَّه، وقد تغلَطُ في البِيش فتأكلُه، كصُنْع الحافرِ في الدِّفْلَى[4].

(معرفة الإبل بالزجر)

والناقة تعرفُ قولَهم: حَل، والجمل يعرف قولهم: جاه، قال الراجز وهو يحمِّق رجلاً هَجاه:

يـقـولُ لـلـنـاقـة قَـوْلاً لـلـجـمَـلْ يـقُـولُ جَـاهِ ثـم يَـثْـنِـيـهِ بِـحَـلْ[5]

(قدرة الحيوان على رفع اللبن وإرساله)

وممَّا فضلت به السِّباعُ على بني آدمَ أنّ اللّه جعَلَ في طِباع إناث السباع والبهائم، من الوحشيّة والأهلية، رَفْعَ اللَّبن[6] وإرسالَه عند حضور الولد، والمرأة لا تقدر أن تدرّ على ولدها وترفَعَ لبنها[7] في صدرها إذا كان ذلك المُقَرَّبُ منها غيرُ ولدِها[8].

والذي أعطى اللّه البهائم من ذلك مثل ما تعرف به المعنى وتتوهَّمه[9].

اعلم أنّ اللّه تعالى قد أقدر الإنسانَ[10] على أن يحبس بولَه وغائطه إلى مقدارٍ، وأن يخرجهما، ما لم تكن هناك عِلَّةٌ من حُصْرٍ وأُسْر، وإنما يخرج منه بولُه ورَجِيعه بالإرادة

---

(1) فيما عدا ل: «شب قرنه».
(2) فيما عدا ل: «فيعرف ما ينفعه من النبات و».
(3) فيما عدا ل: «الحالتين».
(4) انظر ما سبق في (5: 211).
(5) انظر كتاب البغال 274. وحل، بإسكان اللام وبكسرها منونة.
(6) في الأصل: «في رفع اللبن» وكلمة «في» مقحمة.
(7) فيما عدا ل: «ولدها» تحريف.
(8) فيما عدا ل: «إذا كان القرب منها لغير ولدها».
(9) ل: «والذي أعطى الله البهائم في ذلك مثل تعرف به المعنى فتوهمه».
(10) فيما عدا ل: «قدر» صوابه «أقدر» وفي ل: «قد أمكن».

والتوجيه والتهيؤ لذلك[1]، وقد جعل اللّه حبْسَه وإخراجَه وتأخيرَه وتقديمَه على ما فسَّرْنا، فعلى هذا الطريق [طوْقُ[2]] إناثِ السِّباع والبهائم، في رفْع اللّبَن.

(حشر الحيوان في اليوم الآخر)

وقد قال اللّه جل ثناؤه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]، فالكلمة في الحشر مطلقة عامّة، ومرسلةٌ غيرُ مستثنًى منها، فأوجب في عموم الخبَرِ على [الطَّير[3]] الحَشْرَ[4]، والطير أكثر الخلق، والحديث[5]: إنَّ أكثرَ الخلْقِ الجراد.

(ما يطرأ عليه الطيران)

ومن العقارب طيَّارة قاتلة، وزعم صاحب المنطق أنَّ بالحبشَة حياتٍ لها أجنحةٌ.

وأشياءُ كثيرةٌ تطيرُ بعد أن لم تكن طيَّارة، مثل الدعاميص، والنَّمْلِ، والأرَضةِ، والجعلانِ.

والجرادُ تنتقل في حالاتٍ قبلَ نبات الأجنحة.

(جعفر الطيار)

قالوا: وحين عظَّم اللّه شأن جعفر بن أبي طالب، خلق له جناحين يطير بهما في الجنّة، كأنه تعالى ألحَقَه بشبه الملائكة في بعض الوُجوه[6].

(ما يطير ولا يسمى طيراً)

وذكر اللّه الملائكةَ فقال: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: 1]. ولا يقال للملائكة طير، ولا يقال إنها من الطّير، رفعاً لأقدارها.

ولا يقال للنمل والدعاميص والجِعلان والأرَضةِ إذا طارت: من الطَّير، كذلك لا يقال للجِرجِس والبَعُوضِ وأجناس الهمَج إنها من الطير، وضعاً لأقدارها عن أقدار ما يسمَّى طَيْراً، فالملائكةُ تطير ولا يسمُّونها طيْراً لرفْع أقدارِها عن الطير، [والهمج يطير[7]] ولا يسمّى طيْراً لوضع أقدارها عن الطَّير.

---

(1) ل: «ورجعه»؛ والرجع والرجيع: النجو. ط، هـ: «والتوجه»، وأثبت ما في ش، ل.
(2) الطوق: القدرة والإطاقة.
(3) هذه من ل، ش.
(4) ط، هـ: «الشر»تحريف.
(5) كذا في الأصل، ولها وجه.
(6) انظر ما سبق في (3: 19، 129/ 6: 141).
(7) التكملة من ش، هـ. والكلام من: «والهمج» إلى كلمة «الطير» الثانية ساقط من ل.

(ملائكة العرش)

وفي الرواية أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أُنْشِدَ قولَ أميّةَ بن أبي الصَّلْت:

رَجُـلٌ وثـورٌ تَـحـتَ رِجْـلِ يَـمـيـنِـه والـنَّـسـرُ لـلأُخـرَى ولـيـثٌ مُـرْصِـدُ (1)

فقال: «صدَق(2)»، وقوله نسر يعني في صورة نسر، لأنَّ الملَك لا يقال له نَسْرٌ ولا صقْرٌ ولا عُقابٌ ولا بازٍ.

(ما جاء فيه الأثر من الطير)

وذكروا غرابَ نوح، وحمامة نوح(3)، وهدهد سليمان(4)، والنحل والدرّاج(5)، وما جاء من الأثر في [ذلك] الديكِ الذي يكون في السماء(6).

وقال الناس: غراب نوح، وهدهد سليمان، وحمامة نوح، ورووا في الخطاف والصُّرَد(7).

(أشرف الخيل والطير)

ولا نعرف شيئاً من الحيوان أشْرَفَ اسماً من الخَيل والطَّير، لأنّهم يقولون: فرس جواد، وفرس كريم، وفرسٌ وسيم، وفرس عَتيق، وفرس رائع.

وقالوا في الطير لذوات المخالب المعقَّفة، والمناسر المحدَّبة: أحرار، ومَضْرحِيَّات(8)، وعِتاق؛ وكواسب، وجوارح، وقال لبيدُ بنُ ربيعة:

---

(1) فيما عدا ل: «موصد»، تحريف. وانظر الخزانة (1: 120).

(2) في الخزانة: «صدق. وهذه صفة حملة العرش». ونقل عن شرح ديوانه لمحمد بن حبيب: يقال إن حملة العرش ثمانية: رجل، وثور، ونسر، وأسد. هذه أربعة، وأربعة أخرى، فأما اليوم فهم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى.

(3) فيما عدا ل: «وذكروا أن» وكلمة. «أن» مقحمة. وانظر لغراب نوح ما مضى في (2: 186)، ولحمامة نوح ما سبق في (1: 211/ 3: 109/ 4: 111).

(4) انظر لهدهد سليمان ما مضى في (1: 91، 211/ 3: 285/ 4: 45/ 6: 197).

(5) ل: «والرماح».

(6) انظر ما مضى في (2: 144).

(7) بعدها في ل: «والضوضية».

(8) المضرحيات، بالضاد المعجمة، وأصل معناه في الناس السيد الكريم والطويل. ومما جاء في تسمية عتاق الطير بالمضرحية قول طرفة:

كـأن جـنـاحـي مـضـرحـي تـكـنـفـا حفافيه شكا في العسيب بمسرد

ل: «المصرحيات» وفيما عدا ل: «المصرحات»، والوجه ما أثبت.

فانتضلنا وابنُ سَلْمَى قاعدٌ كَعتيقِ الطَّيرِ يُغْضِي ويُجَلّ[1]

وقال الشّاعر:

حُرٌّ صَنَعْنَاهُ لتُحْسِنَ كفُّهُ عَمَلَ الرفِيقةِ واستلابَ الأخْرقِ[2]

ولولا أنا قد ذكرنا شأن الهدهُد والغراب والنمل وما ذكرها به القرآن، والخصالَ التي فيها من المعارف ومِنَ القَوْلِ والعمَل[3]، لذكرناه في هذا الموضع.

[(4)](ما جاء في ذكر الطير)

قال اللّه جلّ ثناؤه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: 49]، وقال اللّه: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة: 110][5]، وقال: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]، وقال اللّه: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [يوسف: 41]، وقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ * أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ * وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ * تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ﴾ [الفيل: 1 ـ 4]، وقال اللّه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النّمل: 16].

ولم يذكر منطق البهائم والسباع والهمج والحشرات.

وقال اللّه: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 63]؛ لأنك حيثما تجد المنطقَ تجد الرُّوح والعَقل والاستطاعة.

وقالوا: الإنسان هو الحيُّ الناطقُ، وقال اللّه: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞۖ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88]، وقال: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ [طه: 89]، ثم قال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ﴾ [النّمل: 17] ولم يذكر شيئاً من جميع الخلق، وقد كان اللّه سخّر له جميعَ ذلك، ثم قال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ [النّمل: 20].

---

(1) ابن سلمى، هو النعمان بن المنذر. وجلى ببصره تجلية، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد. انظر اللسان (20: 164) وديوان لبيد 195.

(2) الرفيقة: اللطيفة الصنعة الحسنتها. وفيما عدا ل: «الرقيقة» بقافين، تحريف.

(3) كلمة: «لولا» ساقطة من ل.

(4) انفردت نسخة كوبريلي بإثبات هذا السقط الذي يبدأ هنا وينتهي في ص34.

(5) هذه قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب، وزاد أبو جعفر فقرأ: (كهيئة الطائر)، وقرأ سائر القراء: (فتكون طيرًا).

ولم يتفقد شيئاً ممَّا سخّر له، ولا دلَّ سليمانَ على مَلِكة سبأ إلاّ طائرٌ. وقال اللّه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ [الحج: 31]، وقال اللّه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، فلما ذكر داود قال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: 79]، وقال اللّه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصّلت: 21].

وقالوا: مَنطِق الطير، على التشبيه بمنطق الناس، ثم قالوا بعدُ: الصَّامت والناطق، ثم قالوا بعد للدار: تنطق.

وقال اللّه: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 46 ـ 47].

وقال اللّهُ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

وكان عبدُ اللّه بن عبّاسٍ يقول: ليس يعني بقوله: "تُكلِّمُهُمْ" من الكلام، وإنما هو من الكَلْم والجِراح، وجمع الكَلْم كُلوم، ولم يكن يجعلُه من المنطق، بل يجعله من الخُطوط والوسم، كالكتاب والعلامة اللذين يقومان مقام الكلام والمنطق.

وقال الآخرون: لا نَدعُ ظاهرَ اللفظ والعادةَ الدالّة في ظاهر الكلام، إلى المجازات، قالوا: فقد ذكر اللّه الدابّة بالمنطق، كما ذكروا في الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس[1]، وقولُ الهدهد مسطورٌ في الكتاب بأطول الأقاصيص، وكذلك شأن الغراب[2].

وقال اللّه: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصّلت: 21]، وجعل اللّه مقالة النملة قرآناً، وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، وقال في مكان آخر: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: 21]، وقال: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19]، وذكر الملائكة فقال: ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: 1].

وأنشدوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة بن أبي الصَّلت[3]:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمِينِهِ ... والنَّسْرُ لِلأُخْرَى وَلَيْثٌ مَرْصَدُ

(1) انظر الإصابة 350 والحيوان (1: 211/ 3: 285– 4: 46) وفي الأصل: «لأوس بن أهبان» تحريف.
(2) انظر لكلام الغراب مع الديك ما سبق في شعر أمية بن أبي الصلت (2: 186).
(3) انظر ما سبق في ص 29.

فقال: «صدق».

وخلق اللّه لجعفرٍ جناحَين في الجنّة، عوضاً من يديه المقطوعتين في سبيل اللّه[1]، قالوا: ولو كانت في الأرض يدٌ تفضل الجناحَ لجعلها اللّه بدل الجناح، وسمّاه المسلمون «الطيّار».

ويقال: ما هو إلا طائر، إذا أرادوا مديح الإنسان في السُّرعة، وقال الفرزدق:

جاؤوا مع الرِّيح أو طارُوا بأجنحةٍ ... وخَلَّفوا في جُؤاثَا سيِّدَيْ مُضَرَا[2]

والأمم كلُّها تضرب المثلَ بعَنقاءِ مُغْرِبٍ، وقد جاء في نسر لقمان ما قد جاءَ من الآثار والأخبار، وقال الخزرجي[3]:

إنّ مُعاذ بنَ مُسلم رَجُلٌ ... قد ضجَّ مِن طُول عُمره الأبَدُ
قد شابَ رأسُ الزَّمانِ وَاخْتَضَبْ الـ ... ـدَّهْرُ وأثوابُ عمْره جُدُدُ
يا نَسْرَ لقمانَ كمْ تَعيشُ وكم ... تسحَبُ ذَيلَ الحياةِ يا لُبَدُ
قد أصبحتْ دارُ آدم خَرِبَتْ ... وأنتَ فيها كأنّكَ الوتِدُ
تسألُ غِرْبانَها إذا حَجَلَتْ ... كيفَ يكونُ الصُّدَاعُ و الرّمدُ

وقال النابغة:

أضَحَتْ خَلاءً وأضْحَى أهلُها احْتَمَلوا ... أخنَى عليها الذي أخنى علَى لُبَدِ

وقال اللّه: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23] لأن ذلك الصنم كان عَلَى صورة النَّسر.

وقالوا: أحرار فارسَ، وأحرار الرَّياحين، وأحرار البقول، وأحرار الطير، وهي الأحرار، والعتاق، والكواسبُ، والجوارح، والمضرحِيّات.

وقال اللّه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾ [البقرة: 260].

---

(1) انظر ما مضى في (3: 129).

(2) جؤاثًا: موضع بالبحرين. وفي الأصل: «مضر» تحريف. والبيت ملفق من بيتين انظر الديوان 386.

(3) في الأصل: «الخارجي»، تحريف. وانظر ما سبق من التحقيق في حواشي (3: 225/ 6: 209).

أسماء ما في النجوم والبروج
والفرس والناس وغير ذلك، من أسماء الطير

مما يُعدّ في الفَرَسِ من أسماء الطير: الفَرَاش وهو المنخر[1]، والذُّباب، وهو ذُباب العَين، والصُّلْصُل، وهو الدائرة في الجبهة[2]، والعصفور، وهو الجلدة تحت الناصية والحدأة، وهو أصل الأذن والهامة، وهو الجلدة التي فيها الدماغ، والفَرْخ موضع الفَهقَة[3]، والناهضان في المنكبين. والصُّرَد: عرق تحت اللسان. والسَّمامة[4]: الدائرة في عرض العنق. والقَطاة: موضع الرِّدف. والغرابان: العظمان الناتئان بين الوركين؛ ويقال الغُراب طرف الوَرِك. والساق: ساق الفرس، وهو ذكر الحمام. والخُطَّاف: موضع الرِّكاب من جنبه. والرَّخَمة: البَضْعة الناتئة في ظهر الفخذ. والأصقع: الأبيض الناصية[5].

وقال الله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10].

وفي السماء النِّسر الطائر، والنسر الواقع

وفي الأوثان القديمة وَثَنٌ كان يسمَّى نَسرا، ويزعمون أنه كان على صورة نسر. وقال الله: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح: 23 ـ 24] وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ * وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17 ـ 19].

وفي أسماء الناس: غُراب، وصُرَد: وفي أسماء النساء: فاختة وحمامة وفي أسماء الناس: يمام ويمامة، وسمامة، وشاهين. وفي أسماء النساء: عقاب، وقطاة، وقُطيَّة، ودجاجة يكون للرِّجال والنساء. ويسمُّون بعصفور، ونقّاز، وحَجل[6]، ويسمُّون الرجال بِقُطَاميّ، مثل أبي الشرقي بن القُطامي الشاعر[7]، وإذا كانت امرأة قالوا قَطامِ مثل حَذَام. وقال امرؤ القيس بن حجر:

---

(1) كذا. والذي في المعاجم أن الفراش طرائق دقاق من القحف. وقيل هي العظام التي تخرج من رأس الإنسان إذا شج وكسر.

(2) والصلصل في الطير طائر تسميه العجم الفاختة.

(3) الفهقة: عظم عند مركب العنق، وهو أول الفقار.

(4) السمامة: واحدة السمام، بالفتح، وهو ضرب من الطير نحو السماني دون القطة في الخلقة.

(5) الأصقع: طائر كالعصفور في ريشه ورأسه بياض. وانظر الكلام على ما في الفرس من أسماء الطير، كتاب الخيل لأبي عبيدة ص 46.

(6) في الأصل: «حجاف».

(7) أي مثل ما سمى والد الشرقي بن القطامي، وفي الأصل: «أبو الشرقي». وقد سبقت ترجمة الشرقي في (5: 204).

وأنـا الـذي عَـرفـتْ مَـعـدٌّ فـضـلـه ونـشـدت حُـجـراً ابـن أمِّ قَـطَـام[1]

ويسمون بمضرحيٍّ. وكبار الطير هي المضرحية[2]؛ وأكثر ما يستعمل ذلك في عِتاق الطير وأحرارها، ويسمون بحُرّ، وليس الحر من الطير إلا العتيق. وقال الشاعر:

حـر صـنـعـنـاه لـتُـحـسِـنَ كَـفُّـهُ عَـمَـل الـرَّفِـيـقَـةِ واسْـتِـلاَبَ الأخْـرَقِ[3]

ويسمُّون صَعْوة وسُمَانىٰ، وسمامة، ويسمُّون بجناح، ويلقّبون بمنقار، يسمون بفرخ وفريخ، وصقر وصُقير وأبي الصَّقر، وطاوُس وطويس وفي الألقاب يُؤْيُؤ وَزُرَّق[4] وفي الأسماء حَيقطان وهو الدُّرَّاج الذَّكر، ويسمُّون بحذف[5] وحذيفة، وأبي حذيفة، وفي الألقاب أبو الكراكي، وفي الصفات الغرانيق والغُرنوق[6].

(نطق الطير)

وقال أمية أبي الصَّلْت:

فـاسـمـعْ لِـسَـانِ الـلـه كـيـف شُـكـولُـه عـجـبٌ ويُـنْـبـيـكَ الـذي تَـسْـتَـشْـهِـدُ
والـوحـشُ والأنـعـامُ كـيـفَ لُـغـاتُـهـا والـعـلـمُ يـقـسَـمُ بـيـنـهـم ويـبـدَدُ[7]

وقال الله عز وجل عن سليمان [أنه قال]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النّمل: 16] وقال الشاعر[8]:

يـا لـيـلـةً لـي بـحُـوَّارِيـنَ سـاهـرَةً حتى تكلَّمَ في الصُّبح العَصَافيرُ

وقال الشَّاعر:

---

(1) حجر بن أم قطام، هو والد امرئ القيس، وقد سجل هذه النسبة الحارث بن حلزة في معلقته إذ يقول:

ثـم حـجـرا أعـنـي ابـن أم قـطـام ولـه فـارسـيـة خـضـراء

وفي الأصل: «حجرًا وابن أم قطام»، تحريف. وفي الديوان: «ونشدت عن حجر بن أم قطام». قال الوزير أبو بكر: «يروى أشدت، أي رفعت ذكره وناديت به وفخرت به وشهرته.. وخص معدا من بين العرب لأن امرأ القيس من اليمن. ولا نسبة بينه وبين معد، فإذا أقرت البعداء بفضله واعترفت به، فسائر العرب أقرب إلى ذلك وأجدر به».

(2) في الأصل: «بمضرجي»، و«المضرجية»، صوابهما بالحاء المهملة.

(3) سبق البيت في ص 30.

(4) في الأصل: «درق» تحريف. وانظر الزرق في (3: 102/ 4: 130/ 5: 249).

(5) في القاموس: «الحذف محركة طائر، أو بط صغار: وغنم سود صغار حجازية أوجرشية بلا أذناب ولا آذان، والزاغ الصغير الذي يؤكل». والزاغ: غراب صغير إلى البياض.

(6) الغرنوق في الصفات، هو الشاب الأبيض الجميل. وهو طائر من طيور الماء. انظر ما مضى في (5: 282، 362). وإلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ في ص 30 س6.

(7) يبدد: يفرق.

(8) هو كلثوم بن عمرو العتابي، كما سبق في (2: 167/ 5: 154). وانظر العمدة (1: 179) والموشح 293.

وغـنَّـتِ الـطَّـيـرُ بـعـد عُـجْـمَـتـهـا واستـوفَت الـخـمـرُ حـوْلَـهـا كـمـلا[1]

وقال الكميت:

كـالـنـاطـقـات الـصـادقـا ت الـواسِـقـاتِ مـن الـذَّخـائـر[2]

(تدبير الحيوان)

قال: ولكلِّ جنسٍ من أجناس الحيوان احتراف[3] وتكسُّب، ورَوغانٌ من الباغي عليه، واحتيالٌ لما أراد صيده؛ فهو يحتالُ لما [هو] دونه، ويحتال في الامتناع مما فوقه[4]، ويختار الأماكن الحصينةَ ما احتملته[5]، والاستبدال بها إذا أنكرَهَا.

(منطق الطير)

ولها منطقٌ تتفاهم بها [حاجات بعضها إلى بعض. ولا حاجة بها إلى أن[6]] يكونَ لها في منطقها فضْلٌ لا تحتاج إلى استعماله. وكذلك معانيها [في[7]] مقادير حاجاتها.

(بعض ما قيل في العقل)

وقيل لرجل من الحكماء[8]: متَى عقَلتَ؟ قال: ساعَةَ وُلِدْتُ، فلما رأَى إنكارَهم لكلامه قال: أمّا أنا فقد بكيت حِينَ خِفْت، وطلبت الأكل حين جُعْتُ، وطلبت الثَّدَى حين احتَجْت، وسكتُّ حين أُعطيت، يقول: هذه مقاديرُ حاجاتي، ومن عَرَف مقادير حاجاته إذا مُنِعَها، وإذا أُعْطِيَها، فلا حاجة به في ذلك الوقت إلى أكثرَ من ذلك العقل، ولذلك قال الأعرابيّ:

سَقَى اللّهُ أرضاً يعلم الضّبُّ أنّها بَعِيدٌ من الآفات طيبةُ البَقْلِ[9]

بنىٰ بيتَه منها عَلَى رأس كُدْيةٍ وكلُّ امرئٍ في حِرْفة العَيش ذُو عَقْلِ[10]

---

(1) حول كمل، بفتح الكاف والميم: أي كامل. وفيما عدا ل: «بعد ما كلا» تحريف.

(2) انظر (5: 194) والعمدة (2: 23).

(3) فيما عدا ل: «احتراس»، تحريف.

(4) فيما عدا ل: «لما فوقه».

(5) في ط بعد «يختار»: «به حاجات بعضها ولا بد أن». وهو كلام مقحم. . وفيما عدا ل: «من الأماكن الحصينة وما احمتله» بزيادة «من». وفي ل: «ما حملته»، والوجه ما أثبت.

(6) في س بدل هذه التكلمة: «حاجات بعضها ولابد أن»؛ وما أثبت من ل أكمل وأقوم.

(7) التكملة من ل، ش.

(8) ل: «الخطباء».

(9) سبق البيت في (6: 34) برواية: «عذية بطن القاع».

(10) في (6: 34): «يرود بها بيتًا».

(منطق الطير وعقله)

فإن قال قائل: ليس هذا بمنطق، قيل له: أما القرآن فقد نطَق بأنّه منطِقٌ، والأشعارُ قد جعلته مَنطِقاً، وكذلك كلامُ العرب، فإن كنتَ إنما أخرجتَه من حدِّ البيان، وزعمت أنّه ليس بمنطقٍ لأنك لم تَفهم عنه، فأنتَ أيضاً لا تفهم كلامَ عامَّةِ الأمم؛ وأنتَ إن سمَّيْتَ كلامَهم رَطانةً وطَمْطمةً فإنّك لا تمتَنِعُ[1] من أن تزعم أنّ ذلك كلامُهم ومنطقُهم، وعامّة الأمم أيضاً لا يفهمون كلامَك ومنطِقَك، فجائزٌ لهم أن يُخْرِجوا كلامَك من البيان والمنطِق، وهل صار ذلك الكلامُ منهم بياناً [ومنطقاً إلاّ لتفاهمهم حاجةَ بعضهم إلى بعض، ولأنّ ذلك كان صوتاً مؤلّفاً خرج من لسانٍ وفم، فهلاّ كانت أصواتُ أجناس الطير والوحش والبهائم بياناً ومنطقاً] إذْ قد علمتَ أنّها مقطعةٌ مصوّرة، ومؤلّفة منظمة[2]، وبها تفاهموا الحاجات، وخرجت من فم ولسان، فإن كنتَ لا تفهم من ذلك إلاّ البعض، فكذلك تلك الأجناس لا تفهَمُ من كلامك إلاّ البعض.

وتلك الأقدارُ من الأصوات المؤلّفة هي نهايةُ حاجاتِها والبيان عنها، وكذلك أصواتك المؤلَّفةُ هي نهايةُ حاجاتك وبيانِك عنها، وعلى أنّك قد تعلِّم الطَّيرَ الأصوات فتتعلّم، وكذلك يُعلَّم الإنسانُ الكلامَ فيتكلَّم[3]، كتعليم الصبيِّ والأعجميّ، والفرقُ بين الإنسان والطير أنّ ذلك المعنى معنًى يسمَّى منطقاً وكلاماً على التشبيه بالنَّاس، وعلى السبب الذي يجري[4]، [و] النَّاسُ ذلك لهمْ على كلّ حال.

وكذلك قال الشاعر الذي وصفَها بالعقل، وإنما قال ذلك على التَّشْبيه، فليس للشاعر إطلاق هذا الكلام لها، وليس لك أن تمنعها ذلك من كلِّ جهةٍ وفي كلّ حال، فافهم فهَّمك اللّه، فإنَّ اللّه قد أمرك بالتفكّر والاعتبار، وبالتعرُّف والاتِّعاظ.

وقد قال اللّه عزَّ وجلَّ مخبِراً عن سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النّمل: 16] فجعل ذلك منطقاً، وخصَّ اللّه سليمانَ بأنْ فَهَّمه معانيَ ذلك المنطق، وأقامه فيه[5] مقامَ الطّير؛ وكذلك لو قال عُلِّمنا منطقَ البهائم والسِّباع، لكان ذلك آيةً وعلامة.

وقد علّم اللّهُ إسماعيلَ منطِق العرَب بعد أن كان ابنَ أربعَ عشرة سنة، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد[6] والترتيب[7] والمنشأ، صار ذلك برهاناً ودلالةً وأُعجوبةً وآية.

---

(1) ط فقط: «تمنع».
(2) فيما عدا ل: «منطقة».
(3) ل: «فيتعلم».
(4) ل: «وعلى السبب يجري»، أي الذي يجري.
(5) فيما عدا ل: «فيهم»، تحريف.
(6) فيما عدا ل: «والاعتبار».
(7) هذه الكملة ساقطة من هـ. ولعلها: «التربيب»، أي التربية.

وقال ابنُ عبّاس ـ وذكر عمرَ بن الخطاب فقال ـ: «كان كالطائر الحذِر»؛ فشبّه عزْمَ عمرَ وتخوّفَه من الخطأ، وحذَره من الخُدع بالطائر[1].

(ما قيل
في تجاوب الأصداء والديكة)

وقال ابن مقبل:

فلا أقومُ عَلَى المَوْلَى فأشتُمه ... ولا يخرّقه نابي ولا ظفري
ولا تَهيَّبُني المَوْماةُ أركبُها ... إذا تجاوبت الأصداءُ بالسَّحَرِ[2]

فجعلها تتجاوب، وقال الطرِمّاح بنُ حكيم ـ وذكر تجاوب الدِّيَكة كما ذكر ابنُ مقبلٍ تجاوبَ الأصْدَاء ـ فقال:

فيا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللّيْلِ مُصْعِداً ... بِبَمٍّ ونبِّهْ ذا العِفاء الموشَّحِ[3]
إذا صاح لم يُخْذَلْ وجاوَبَ صوتَهُ ... حِماشُ الشَّوَى يصدَحْنَ مِنْ كلِّ مَصْدَحِ[4]

(ما قيل
في ضبحة الثعلب وقبعة القنفذ والقرنبى)

وحدَّثَ أبو عبيدةَ عن أبي عمرو بن العلاء قال: خطب ابن الزبير [خطبة] فاعترض له رجلٌ فآذاه بكلمة، ثم طأطأ الرَّجلُ رأسَه، فقال ابنُ الزُّبير: أين المتكلم؟ فلم يجبْه فقال: «قاتله اللّه، ضبح ضَبْحَةَ الثَّعلب[5] وقبَعَ قِبْعةَ القُنفذ»، وقال ابن مقبل:

ولا أتبَعُ الجاراتِ باللَّيلِ قابعاً ... قَبُوعَ القَرَنْبَى أخلفَتْهُ مجاعرُهْ[6]

---

(1) فيما عدا ل: «كالطائر»، تحريف.

(2) في اللسان (2: 289): «قال ثعلب: أي لا أتهيها أنا، فنقل الفعل إليها. وقال الجرمي: «لا تهيبني المومأة، أي لا تملؤني مهابة». ل: «تجهضني»، وفيما عدا ل: «يجهمني»، صوابهما ما أثبت من اللسان.

(3) سبق البيت وتحقيق في (2: 141، 200). فيما عدا ل:

«كمش لي عن الليل مصعدًا ... ينم وبه ذا العناء الموشح»

تحريف، صوابه من اللسان (3: 473 س25) والديوان 69.

(4) فيما عدال: «حماس الصدا». محرف. وانظر ما سبق في (2: 141).

(5) الضباح: صوت الثعلب. والخبر في اللسان (3: 355 س4). فيما عدا ل: «صاح صيحة الثعلب».

(6) ط، هـ: «أخلقته» تحريف. والمجاعر: جمع مجعر، وهو الدبر. والقرنبي معروفة بتتبع الناس إلى الغائط، لولوعها بالجعر. وفي الأصل: «محاجره» تحريف، صوابه مما سبق في (1: 172، 222).

باب[1] ما جاء في الشعر من أحساس الطّير وغير ذلك من الحيوان

قال أبو عبيدة: تسلَح الحُبارَى على الصّقر، وذلك من أحدِّ سِلاحها، وهي تعلم أنّها تدبّق جناحَيه وتكتِفُه، حتى تجتمع عليه الحُبارَيات فينتفن ريشه طاقةً طاقة، فيموت الصَّقْر.

والحُبَارَى إذا تحسَّرت فأبطأ نبْت ريشِها، وهي لا تنْهض بالشَّكير[2]، فربَّما طار صُويحباتها إذا تقدَّمَ نبْتُ ريشها قيل نبْت ريش تلك الحُبارى، فعند ذلك تكْمَد حزناً حتى تموت كمداً؛ ولذلك قال أبو الأسود الدُّئِليّ:)

وزيدٌ ميّت كَمَدَ الحُبَارى إذا ظعنَتْ مَليحة أو تُلِمُّ[3]

وليس في الطَّيْر أسرعُ طيراناً منها، لأنها تُصَادُ عِندنا بظهر البصرة، فيوجَد في حواصلها حبَّة الخضراء غضّةً طريَّة، وبينها وبين مواضع ذلك الحبِّ بلادٌ وبلاد، ولذلك قال بشر بن مروان[4]، في قتل عبد الملك عَمرو بنَ سعيدٍ[5]:

كأنّ بني مروانَ إذ يقتلونه بُغاثٌ من الطَّيْرِ اجتمَعْنَ عَلى صَقْر

وبُغَاث الطّيْر ضعاف الطير وسَفِلَتها من العِظام الأبدان، والخشاش مثلُ ذلك إلا أنها من صغار الطّير، وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر:

سألتُ النّاسَ عن أنسٍ فقالوا بأندَلُسٍ وأندَلسٌ بعيدُ[6]
كأنّي بعد سكن مَضرحيٍّ أصابَ جَناحَه عنَتٌ شديدُ[7]
فقد طمِعت عِتاقُ الطّيرِ فيه وكانت عن عَقِيرَتِه تحيدُ[8]

وقال الذَّكوانيّ:

بِغَاثُ الطّير تعرِف قانِصِيهَا وكلَّ مكبَّدٍ منها لَهِيدِ[9]

---

(1) من هنا يبتدئ سقط كبير؛ فات النسخ جميعها، وأثبته من ل.
(2) الشكير: ما نبت من صغار الريش بين كباره.
(3) سبق الكلام على البيت في (5: 300).
(4) سبق في (6: 201): «بعض بني مروان» وم يعرف بشر بن مروان بشعر.
(5) هو عمرو بن سعيد الأشدق انظر ما سبق في حواشي (6: 201).
(6) أنشده ياقوت في معجم البلدان (رسم الأندلس) مستشهدًا به على جواز حذف (أل) منها. وانظر شرح همزيات أبي تمام ص 17.
(7) كذا وردت كلمة «سكن» في البيت.
(8) العقيرة: الصوت.
(9) اللهيد، أصله في الإبل أن يصيب جنبها ضغطة من حمل ثقيل فتورثها داء يفسد عليها رئتها.

يقول: لكلِّ جنس من الجوارح ضربٌ من الصيد، وضربٌ من الطلب، فالمصِيد منها يعرف ذكر، فيجعل المهرب من الآخر، ثم ذكر أنها تعرف الصائد المعتلّ من الصحيح، وهو معنى الخرَيمي[1] حيث يقول:

ويعلم ما يأتي وإنْ كان طائراً ... ويعلم أقدارَ الجوارحِ والبُغْثِ

وقوله البُغْث[2] يريد به جمع أبغث، وقال الأوَّل[3]:

بُغاث الطَّيرِ أكثرها فروخاً ... وأمُّ البازِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[4]

وأنشدني ابن يسير:

بالجَدّ طوراً ثم بالجِدّ تارةً ... كذاك جميعُ الناس في الجَدِّ والطَّلَبْ[5]

والجَدُّ مفتوح الجيم، يقول: الطير كالناس، فمرَّة تصيد بالحظّ وبما يتفق لها، ومرَّةً بالحيلة والطَّلب، وقال بشّار بنُ برْد:

وبجَدِّهِ يتقلّبُ العصفور

قال: وقال زاهر[6] لصبيانه: يرزقكم الذي يرزُق عصافير الدوّ، وقال صالح المُرّيّ[7]: تغدو الطّيرُ خِماصاً وتَرُوحُ شِباعاً، واثقة بأنّ لها في كلِّ غدْوةٍ رزقاً لا يفوتُها، والذي نَفْسي بيده أنْ لو غدوتُم على أسواقكم على مثل إخلاصها، لرُحْتم وبطونُكم[8] أبطنُ من بطون الحوامل.

وقال أعشى هَمْدان:

قالت تعاتبني عِرْسي وتسألُني ... أين الدَّراهم عَنّا والدَّنانيرُ
فقلتُ أنفقْتُها واللّهُ يُخْلِفُهَا ... والدَّهر ذو مرَّةٍ عسرٌ وميسورُ

---

(1) الخريمي، هو إسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي. انظر (1: 164، 244). وفي الأصل: «الخزيمي»، تحريف.

(2) في الأصل: «وليس قواء البغث»، وكلمة «ليس» مقحمة.

(3) هو العباس بن مرداس، كما في الحماسة (2: 21). ونسب في اللسان (2: 377) إلى كثير عزة.

(4) الفروخ: جمع فرخ. ورواية الحماسة: «فراخًا». والمقلات: «التي لا يبقى لها ولد. وفي الأصل: «مقلاة» تحريف. والنزور: القليلة الولد.

(5) في الأصل: «ثم بالحس»، ولا وجه له.

(6) زاهر، يروى عنه ابن الأعرابي. انظر (6: 253 س7).

(7) صالح المري، أحد زهاد البصرة وعبادها، وكان مملوكًا لامرأة من بني مرة بن الحارث، من بني عبد القيس، فأعتقته، إليها ينسب. انظر صفة الصفوة لابن الجوزي (3: 265-266). وقد سبقت ترجمته في (6: 330). وفي الأصل: (صالح المروي)، تحريف.

(8) في الأصل: «لرجعتم ودينكم».

إنْ يـرزقِ الـلّـهُ أعـدائـي فـقـد رُزِقَـتْ ... مـن قـبـلـهـم فـي مَـراعـيـهـا الـخـنـازيـرُ
قـالـت: فـرزقُـك رزقٌ غـيـرُ مـتَّـسـعٍ ... ومـا لَـدَيْـكَ مـن الـخـبـرات قِـطـمـيـرُ
وقـد رضـيـتَ بـأن تـحـيـا عـلـى رَمَـقٍ ... يـوماً فـيـوماً كـمـا تـحـيـا الـعـصـافـيـر[1]

وإنما خصَّ العصافير بقلّة الرِّزق، لأنها لا تتباعد في طلب الطعم؛ وإلا فإنّ السِّباعَ ووحشَ الطَّير كلّها تغدو خِماصاً وتروح بطاناً.

وقال لبيد:

فـإنْ تـسـألـيـنـا فـيـم نـحـنُ فـإنّـنـا ... عـصـافـيـرُ مـن هـذا الأنـامِ الـمُـسـحَّـرِ[2]

وقال[3]:

عـصـافـيـرٌ وذِبَّـانٌ ودودٌ ... وأجـرأُ مـن مـجـلِّـحـة الـذئـابِ[4]

ولولا أنّ تفسير هذا قد مرَّ في باب القول في العصافير في كتاب الحيوان لقلنا في ذلك.

(باب ذكر اختلاف طبائع الحيوان
وما يعتريها من الأخلاق)

الذئب لا يطمع فيه صاحبُه، فإذا دَمِيَ وثب عليه صاحبُه فأكلَه، وإذا عضَّ الذِّئْبُ شاةً فأفلتتْ منه بضربٍ من الضروب، فإنَّ عادة الغنم إذا وجدَتْ ريحَ الدَّم أن تشمَّ موضع أنياب الذئب، وليس عندها عند ذلك إلاّ أن ينضمَّ بعضها إلى بعض؛ ولذلك قال جريرٌ لعُمر بن لجأ التَّيميّ:)

فـلا يـضـغـمَـنَّ الـلَّـيـثُ تَـيـمـاً بِـغِـرَّةٍ ... وتَـيـمٌ يَـشـمُّـونَ الـفَـرِيـسَ الـمَـنَـيَّـبَـا[5]

فذكر أنّهم كالغنم في العجز والجُبن، وإذا دَمِيَ الحمارُ ألقى نفسَه إلى الأرض وامتنع ممن يريده بالعضّ وبكلِّ ما قدر عليه، غير أنه لا ينهض ولا يبرحُ مكانَه، وإذا أصاب الأسدَ خَدْش أو شَحْطَة[6] بعد أن يَدْمَى مكانَه فإنَّ ذبَّان الأسد تلحُّ عليه، ولا تُقْلع عنه أبداً حتى تقتله.

وللأُسود ذِبَّانٌ على حدة، وكذلك الكلاب، وكذلك الحمير، وكذلك الإبل، وكذلك الناس.

---

(1) الرمق: القليل من العيش الذي يمسك الرمق، أي بقية الحياة. وفي الأصل: «رنق»، والرنق: الكدر؛ ولا وجه له.

(2) انظر ما سبق من الكلام على نسة هذا البيت في (5: 155). والبيت في ديوان لبيد برواية الطوسي ص 81.

(3) أي لبيد. انظر الحيوان (5: 156). لكن البيت في شعر امرئ القيس 132 واللسان (3: 249– 250).

(4) المجلحة: الجريئة.

(5) الفريس: المفترس، كالفريسة. والمنيب: المعضض بالأنياب. وانظر البيان (3: 223).

(6) الشحطة: أثر سحج يصيب جنبًا أو فخذًا أو نحوهما.

وإذا دَمِيَ الإنسانُ وشمَّ الذئبُ منه ريحَ الدَّم فما أَقَلَّ من يَنْجُو منه؛ وإن كان أشدّ الناس بدَناً وقلباً، وأتَمَّهم سِلاحاً، وأثقفَهم ثقافة.

وإذا دَمِيَ الببرُ استكلب فخافه كلُّ شيء كان يسالمهُ مِن كبار السِّباع كالأسود والنُّمور، والببر على خلاف جميع ما حكينا.

وإذا أصاب الحية خدْشٌ فإنَّ الذرَّ يطالبه أشدَّ الطلب، فلا يكاد ينجو، ولا يعرف ذلك إلا في الفَرْط.

وإذا عضَّ الإنسانَ الكلبُ الكلِبُ فإنَّ الفأر يطالبه ليبولَ عليه، وفيه هَلَكَتُهُ، فهو يحتال له بكلِّ حيلة.

وربما أغَدَّ البعير فلا يعرف ذلك الجمَّالُ حتى يرى الذّبّانَ يطالبه.

وإذا وضعت الذِّئبةُ جَرْوَها فإنه يكون حينئذ ملتزقَ الأعضاء أمْعَطَ كأَنه قطعة لحم، وتعلم الذِّئبة أنّ الذرَّ يطالبه، فلا تزال رافعة له بيديها، ومحوِّلةً له من مكانٍ إلى مكان، حتى تفرج الأعضاء، ويشتدّ اللحم.

وإذا وضعت الهرَّة جروَها فإنْ طرَحُوا لها لحماً من ساعتها أو رُوبة[1] أو بعض ما يشبه ذلك فأكلته، لم تكد تأكل أجراءها، لأنّ الهرة يعتريها عند ذلك جُوعٌ وجُنون وخفَّة.

والأجناس التي تحدث لها قوَّةٌ على غير سبب يعرف في تقدير الرأي منها الذِّئبُ الضعيف الواثبُ على الذِّئب القويّ إذا رأى عليه دماً، والهِرَّةُ إذا سفِدها الهرُّ، فإنها عند ذلك تشدُّ عليه وهي واثقةٌ باستخذائه لها، وفضْل قوَّتها عليه، والجُرذ إذا خصِي فإنّه يأكل الجرذان أكلاً ذريعاً ولا يقوم له شيءٌ منها.

فأمَّا الفيل والكركدَّنَ والجمل، عند الاغتلام وطلَب الضِّراب، فإنها وإن تركت الشُّرْبَ والأكلَ الأيّامَ الكثيرة فإنّه لا يقوم لشيءٍ منها شيء من ذلك الجنس وإن كان قويّاً شاباً آكلاً شارباً.

وأمَّا الغيرانُ والغَضبان والسَّكران والمُعاين للحرب، فهم يختلفون في ذلك على عللٍ قد ذكَرْناها في القول في فضيلة المَلَك على الإنسان، والإنسان على الجانّ، فإنْ أردتَه فالتمسْهُ هناك، فإنَّ إعادة الأحاديث الطوال والكلامَ الكثيرَ مما يُهجر في السَّماع، ويهجِّن الكتب[2].

(1) الروبة بالضم: القطعة من اللحم. وفي الأصل: «ربة»، تحريف.

(2) إلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ في ص 38.

باب ما يستدل به في شأن الحيوان على حسن صنع اللّه

وإحكام تدبيره، وأن الأمور موزونة مقدرة[1]، قالوا: الأشياء البيَّاضة طائر، ومشترك، وذو أربع، ومُنْساح، فمنها ما يبيض في صُدوع الصَّخر وأعالي الهِضاب، ومنها ما يعيش في الجِحَرة كسائر الحيات[2].

وأما الدَّسَّاس منها فإنَّها تلد ولا تبيض، و[هي] لا تُرضِع ولا تُلقِم، والخفَّاش تَلد ولا تبيض وترضع، وهذا مختلف.

والدَّجاج والحجَل والقَطا وأشباه ذلك من الدّرَاريج وغيرِها أفاحيصُها في الأرض.

والحمام منها طُورانّي[3] جبَلِيّ، ومنها أَلوفٌ أهليّ، فالجبليُّ تبيض في أوكارٍ لها[4] في عُرْض مقاطع الجبال، والأهليُّ منها يبيض في البيوت، والعصافير بيوتُها[5] في أصول أجذاع السُّقُف، والخطاطيف تتّخذ بيوتَها، في باطن السقف في أوثق ذلك وأمْنَعِه[6]، والرّخَم لا ترضَى من الجِبال إلا بالوحشيّ[7] منها، ومن البعيد في أسحَقِها[8] وأبعدها عن مواضع أعدائها، ثم من [الجبال إلاّ في رؤوس هضابها، ثم من] الهضاب[9] إلا في صدوع صخورها[10]، ولذلك يُضرب بامتناع بيضها المثل.

وأما الرِّقّ والضِّفدِع والسُّلَحفاة والتمساح، وهذه الدوابّ المائية، فإنها تبيض في الأرض وتحضن، وأمَّا السَّراطِين فإنَّ لها بيوتاً في عُرْض شُطوط الأنهار والسّواقي، تمتلئ مرةً ماءً وتخلو مرة.

ومن الحيوان ما لا يجثم، كالضبَّة فإنها لا تجثِمُ على بيضها، ولكن تغطّيها[11] بالتراب وتنتظر أيّام انصداعها.

---

(1) فيما عدا ل: «وإحكامه وتدبيره، وأن أموره موزونة مقدرة».

(2) فيما عدا ل: «ما يبيض في الأجحرة»، تحريف. والجحرة، بتقديم الجيم: جمع جحر.

(3) يقال طوراني وطوري: منسوب إلى طور سيناء، وقيل منسوب إلى جبل يقال له طرآن، نسب شاذ، وفيما عدا ل: «طورى».

(4) ش: «في أوكارها».

(5) ط، هـ: «والعصافير في بيوتها».

(6) فيما عدا ل: «في باطن البيوت في أوساطه وأمنعه»، وأثبت ما في ل، وكلمة «أوثق» هي في الأصل: «أوسع» فأبدلتها بما يناسب «وأمنعه».

(7) ط، هـ: «لا تبيض من الجبال إلا في الوحشي».

(8) أسحقها: أشدها بعدًا. فيما عدا ل: «ومن أبعدها».

(9) ط فقط: «الهضبات».

(10) ل: «رءوس صدوعها».

(11) فيما عدا ل: «تغطيه».

(مواضع الفراخ والبيض)

فإذا كان مواضع الفِراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة، وإذا كان من الطير الذي يهيئ ذلك المجثِمَ[1] من العِيدان والرِّيش والحشيش فهو عُشّ، وإذا كان من الظّليم فهو أُدْحِيّ، ذكر[2] ذلك أبو عبيدة والأصمعي، وكلُّها وُكور ووكون، ووُكنات ووَكَرات[3].

(أكثر الحيوان بيضاً وأقله)

فالذي يبيض[4] الكثيرَ من البيض [الذي] لا يجوزه شيءٌ في الكثرة السَّمَك، ثم الجراد، ثم العقارب، ثم الضَّبة، لأن السَّمَكَ لا تزقُّ ولا تلقِم ولا تُلحِم ولا تحضُن ولا تُرضع، فحين كانت كذلك كثَّر اللّه تعالى ذَرْءَها وعددَ نسلِها، فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذي يُزاوِج أصنافَ الحمام ومثل العصافير والنَّعام، فإنها لا تزاوج.

فأما الحمام فلما جعله اللّه يزق ويحضن، ويحتاج إلى ما [يغتذيه[5] و] يغذو به ولده، ويحتاج إلى الزَّق، وهو ضربٌ من القيء، وفيه عليها وهْنٌ وشدَّة[6]، ولذلك لا يُزْجَل[7] إذا كان زاقّاً، فلما [أن] كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين وبيضتين.

ولما كانت الدَّجاجة تحضن ولا تزُقّ، وهي تأكل الحبَّ وكلَّ ما دبّ ودَرَجَ، زاد اللّه في بيضها، وعدد فراريجها، ولم يجعل ذلك في عدد أولاد السَّمك والعقارب والضِّباب التي لا تحضُن ألبتةَ ولا تزُقّ ولا تُلقِم.

ولما جعَلَ اللّه أولادَ الضبّ لها معاشاً، زاد في عدد بيضها وفراخها، وصار ما يسلمُ كثيراً غير متجاوزٍ للقدر.

وكذلك الظَّليم، لما كان لا يزق ولا يحضن اتسَع عليه مطلبُ الرِّزق من الحبوب وأصول الشَّجر[8].

وجعلها تبيض ثلاثينَ بيضةً وأكثر، [وقال ذو الرمة:

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مَرْتَعُه ... أبو ثلاثين أمسى فهو منقلبُ[9]

و]بيضها كبارٌ، وليس في طاقتها أن تَشتمل وتجثم [إلاّ] على القليل منها، وكذلك الحيَّة

---

(1) يقال مجثم ومجثم، بفتح الثاء وكسرها. وفعله من بابي دخل وضرب.
(2) فيما عدا ل: «يذكر».
(3) وكرات: جمع وكرة، بالفتح، يقال وكر ووكرة.
(4) فيما عدا ل: «فالتي تبيض».
(5) التكملة من ل، هـ.
(6) فيما عدا ل: «وهن شديد».
(7) زجل الحمام: إرساله على بعد. وفيما عدا ل: «لا يرحل»، تحريف.
(8) ل: «أصول الأشجار».
(9) سبق البيت في (4: 181، 191).

تضع ثلاثين بيضةً، ولها ثلاثون ضِلعاً، وبيضها وأضلاعها عدد أيام الشَّهر، ولذلك قويَت أصلابها لكثرة عدد الأضلاع، وحمل عليها في الحضن بعض الحمل[1] إذْ كانت لا ترضع.

(أثر الإلقام والزق في الحيوان)

والطائر الذي يُلقِم فرخه يكون أقوى من الطائر الزاقّ، وكذلك من البهائم المرضِعة.

ولما كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والأرَضَة إذا طارت، وتأكل الحبَّ واللَّحم، وكانت مع هذا تُلقم، لم تكثُر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقلِّل كتقليل الحمام.

(ما يزاوج من الحيوان)

وللعصافير فيها زِوَاجٌ، وكذلك النّعام، وليس في شيء من ذوات الأربع زِواج، وإنما الزِّواج في اللاتي[2] تمشي على رِجْلين، كالإنسان والطَّير والنَّعام، وليس [هو] في الطير بالعامّ، وهو في الحمام[3] وأصناف الحمام من هذه المغنيات والنوائح عامٌّ، وسبيل الحجل والقَبَج[4] سبيلُ الدِّيكة والدَّجاج.

والدَّجاجة تمكن كلَّ ديكٍ، والدِّيك يثِبُ على كلِّ دجاجة، وربمَّا غبر [الحمام[5]] الذَّكَر حياتَه كلَّها لا يقمط غير أنثاه، وكذلك الأنثى لا تدعو إلا زوجها، وربَّما أمكنت غيره، وفي الحمام في هذا الباب من الاختلاف ما في النساء والرجال.

فأما الشِّفْنين[6] فإنّه لا يقمُط غيرَ أنثاه، وإن هلكت الأُنثى لم يزاوِجْ أبداً، وكذلك الأنثى للذكر.

(عجائب البيض)

فأمَّا العلة في وضع القطا بيضَها أَفراداً، وخروج البيضة من جهة أوسع الرَّأسين، واستدارةِ بيض الرّقّ، واستطالة بيض الحيات، وما يكونَ منها أرقَطَ وأخضَر وأصفر وأبيض وأكدر وأسود، فإنّي لم أرْضَ لهم في ذلك[7] جواباً فأحْكِيَه لك.

---

(1) فيما عدا ل: «بعد الحضن».
(2) فيما عدا ل: «للتي».
(3) هاتان الكلمتان ساقطتان من ط.
(4) ط: «والفتخ» ش: «والفتح»، صوابهما في ل، هـ.
(5) التكملة من ل، ش.
(6) فيما عدا ل: «السفتين» محرف. وانظر (3: 287).
(7) فيما عدا ل: «بذلك»، تحريف.

(معارف في البيض)

قالوا: وإنما يعظُم البيض على قدر جُثَّة البيَّاضة، وبيضُ الأبكار أصغر، فأمَّا كثرة العدد فقالوا[1] إنه كلما كان أكثَر سِفاداً كانَ أكثَرَ عدداً، وليس الأمرُ كذلك، لأنَّ العصفور أكثَرُ سِفاداً من أجناسٍ كثيرةٍ هي أقلُّ بيضاً منه.

والجرادُ والسَّمَك لا حضنَ ولا زَقَّ ولا رَضاعَ ولا تَلقيم[2] عليهن، فحين جَعَل الفراخَ كثيرةَ العدد، وكانت الأمَّهات والآباءُ عاجزة عنها، لم يَجْعلْها محتاجةً إلى الأمَّهاتِ والآباء.

فتفهَّمْ هذا التدبيرَ اللطيفَ، والحكمةَ البالغة.

(أقل الحيوان نسلاً وأكثره)

قالوا: والأقلّ في ذلك البازي، والأكثر في ذلك الذَّرّ والسَّمك.

قال الشاعر[3]:

بغاثُ الطَّيرِ أكثرها فُروخاً وأمُّ البازِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[4]

وقال صاحب المنطق: نسل الأُسد أقلُّ[5] لأنه يَجْرح الرحم فيُعْقَم.

قالوا: والفِيَلة تضعُ في سبع سنين، وأقلُّ الخَلق عدداً وذَرْءاً الكركَدَّن، لأنّ الأنثى تكون نَزُوراً، وأيامُ حملها كثيرة [جِدّاً[6]]، وهي من الحيوان الذي لا يلد إلاّ واحداً، وكذلك عِظامُ الحيوان، وهي مع ذلك تأكل أولادَها، ولا يكاد يسلم منها إلاَّ القليل، لأنّ الولد يخرجُ سوِيّاً نابتَ الأسنانِ والقرنِ، شديد الحافر.

ما جاء في الفيلة

من عجيب التركيب، وغريب التأليف، والمعارف الصحيحة، والأحساس اللطيفة، وفي قبولها التثقيف والتأديب، وسرعتها إلى التلقين والتقويم، وما في أبدانها من الأعضاء الكريمة، والأجزاء الشريفة[7].

---

(1) ش: «فقال»، صواب هذه «فيقال» كما في ل.

(2) ط، ش: «ولا يلقم» هـ: «ولا تلقم»، صوابهما من ل.

(3) هو العباس بن مرداس، كما في الحماسة (2: 20-21). ونسب في اللسان (2: 377) إلى كثير عزة.

(4) فيما عدا ل: «فراخًا» كما في الحماسة. وفيما عدا ل أيضًا: «وأم الصقر» و«مقلات» هي فيما عدا ل: «مقلاة»، محرفة.

(5) فيما عدا ل: «يقل».

(6) التكملة من ل، ش.

(7) من مبدأ «ما جاء في الفيلة إلى هنا ليس في ل.

(بسم اللّه الرحمن الرحيم)

[والحمد للّه ولا حول ولا قوة إلا باللّه]، وصلى اللّه على سيدنا محمد خاصَّة وعلى أنبيائه عامّة، ونسأله التأييدَ والعصمة، ونعوذ به من كلِّ سبب جانَبَ الطَّاعة، ودعا إلى المعصية، إنه قريبٌ مجيب، فعَّالٌ لما يريد.

قد قلنا في أول هذا الجزء، [وهو الجزء السابع]، من القول في الحيوان في أحساس أجناسها المجعولة فيها[1]، وفي معارفها[2] المطبوعة عليها، وفي أعاجيب ما رُكِّبَتْ عليه من الدَّفع عن أنفُسها، والتقدُّم فيما يُحيِيها وفي تحسُّسها عواقبَ أمورها وكلِّ ما خوِّفت[3] من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبُها من الآفات، ويعتريها من الحادِثات[4] وأنّها تدْرِك ذلك بالطَّبع من غير رَويّة، وبحِسِّ النَّفس من غير فِكرة، ليعتبرَ مُعْتَبِرٌ، ويفكر مفكِّر، ولينفي عن نفسه العُجب، ويعرفَ مقدارَه من العجز، ونهاية قوَّته، ومبلغَ نفاذِ بصرِهِ، وأنه مخلوق مدبَّر ومصرّف وميسَّر، وأنَّ الأعجمَ من أجناس الحيوان، والأخرسَ من تلك الأشكال، يبلغ في تدبير معيشته، ومصلحةِ شأنِهِ، وفي كلِّ ما هو بسبيله، ما لا يبلغه ذو الرَّويَّة التامّة، والمنطقِ البليغ، وأنَّ منها ما يكون ألْطفَ مَدخلاً، وأدقَّ مسلكاً، وأصنَعَ كَفّاً، وأجودَ حنجرة، وأطبَعَ على الأصوات الموزونة، وأقْوَم في حفظ ما يُعيشُه طريقةً، إلاَّ أنّ ذلك منها مفرَّق[5] غيرُ مجموع، ومنقطعٌ غير منظوم.

والإنسان ذو العقل والاستطاعة، والتصرُّف والرويّة، إذا علم علماً غامضاً، وأدركَ معنًى خفياً، لم يكَدْ يمتنع عليه ما دونه إذا قاس بعض أَمْرِهِ على بعض.

وأجناس الحيوانِ قد يعلَّم بعضُها[6] علماً، ويصنع بكفِّه صنعةً يفوقُ بها الناس[7]، ولا يهتدي إلى ما هو دون [ذلك بطبعٍ ولا رويّة، وعلى أنّ الذي عجز عنه في تقدير العقول دون] الذي قَدَرَ عليه.

وأنا ذاكرٌ إن شاء اللّه، ما جاء في الفيلة من عجيب التركيب، وغريب التأليف، والمعارف الصَّحيحة، والأحساس اللطيفة، وفي قَبولها التّثقيفَ والتّأديب، وسرعتها إلى التلقين والتّقويم، وما في أبدانها من الأعضاء الكريمة، والأجزاء الشريفة، وكم مقدارُ منافِعها، ومبلغُ مضارِّها، وبكم فَضَلَتْ أجناسَ الحيوان، وفاقَتْ تلكَ الأجناسَ. وما جعل اللّه تعالىٰ فيها من الآيات والبرهانات، والعلامات النيِّرات، التي جَلاها لعُيون خلْقه وعرَّف بينها

---

(1) فيما عدا ل: «منها» تحريف.
(2) فيما عدا ل: «صغارها»، محرف.
(3) في الأصل: «وفي تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت».
(4) ل: «من الحاجات».
(5) فيما عدا ل: «مفترق».
(6) ط: «بعضه».
(7) ل: «الإنسان».

وبين عُقول عباده، وقيَّدَها عليهم، وحفِظَها لهم [ليكثِّر لهم[1]] من الأدلة، ويزيدَهم في وضوح الحُجَّة، ويسخِّرَهم لتمام النِّعمة، والذي ذكرها اللّه به في الكتاب الناطق[2]، والخبر الصادق، وما في الآثار المعروفة، والأمثال المضروبة، والتجارب الصحيحة[3]. وما قالت فيها الشعراء، ونطقَتْ به الخطباء، وميَّزتْه العلماء، وعجّبت منه الحكماء، وحالِها عند الملوك وموضع نفعِها في الحروب، ومهابتها في العيون، وجَلالتها في الصُّدور، وفي طُول أعمارها، وقوّة أبدانِها، وفي اعتزامها وتصميمها، وأحْقادها[4]، وشدَّة اكتراثها، وطلبها بطوائلها، وارتفاعها[5] عن مِلْك السُّقّاط والحشْوة، وعن اقتناءِ الأنذال والسِّفِلة، وعن ارتخاصها في الثمن وارتباطها على الخَسْف، وابتذالها وإذالتها، وعن امتناع طبائعها، وتمنُّع غرائزها[6] أن تَصْلُحَ أبدانُها، وتَنْبُتَ أنيابُها، وتعظُمَ جوارحُها، وتتسافدَ وتتلاقَحَ إلاّ في معادنها وبلادها، وفي منابتها ومَغارس أعراقها، مع التماس الملوك ذلك منها، حتى أعجَزت الحِيل، وخرجَتْ مِنْ حدِّ الطَّمَع[7]، وعن الإخبار عن حملها ووضعِها، ومواضع أعضائها، والذي خالَفتْ فيه الأشكالَ الأربعةَ التي تُحيط بالجميع مما ينْساح أو يعوم، أو يمشي أو يطير، وجميع ما ينتقل عن أوَّليَّةِ خَلقه، وما يبقى على الطّبائع الأُوَل من صُورته وعَمّا يتنازَعُه من شِبه الحيوان، أو ما يخالِفُ فيه جميعَ الحيوان، وعن القول في شدَّة قلبه وأسْرِه، وفي جرأته، على ما هو أعظمُ بدَناً وأشدُّ كلَباً، وأحدُّ أظفاراً، وأَذْربُ أنياباً، وهربه[8] ممَّا هو أصغَرُ منه جِرْماً وأكلُّ حدّاً، وأَضعَفُ أسْراً، وأخملُ ذِكراً، وعن الإخبار عن خصاله المذمومة، وأموره المحمودة وعن القول في لَوْنه وجِلده وشعره، ولحمه وشحمه وعظمه، وبَوْله ونَجْوه، وعن لسانه وفمه[9]، وعن أذنه وعينه، وعن خرطومه وغُرموله، وعن مَقاتِلِهِ وموضع سلاحه، وعن أدوائه ودوائه، وعن القول في أنيابه وسائر أسنانه، وسائر عظامه، وفرْقِ ما بين عِظامه وعظام غيره، وعن مَوَاضع عجزه وقوّته، والقَوْل في ألبانها وضُروعها، وعدد أخْلافها وأماكن ذلك منها، وعن سياحتها ومشْيها وحُضْرها وسرْعتها، وخِفَّة وطئها ولين ظهورها، وإلذاذ راكبها، وعن ثباتِ خُفِّها في الوَحل والرَّمل، وفي الحدَر والصَّعْداء، وعن أمْن راكبها من العِثار. وكيف حالها[10] عند اهتياجها

(1) التكملة من ش، هـ، ل. لكن في ل: «ليكرر».
(2) فيما عدا ل: «وما ذكرها الله بها في الحديث الناطق».
(3) فيما عدل ل: «والتجارب الصحيحة».
(4) ط، هـ: «وإخفارها» ش: «وإخفادها»، صوابهما في ل.
(5) فيما عدا ل: «وارتداعها»، تحريف.
(6) فيما عدا ل: «غواثرها»، محرف.
(7) فيما عدا ل: «خرجت من الطبع».
(8) فيما عدا ل: «ونفرقته».
(9) فيما عدا ل: «وفيه».
(10) فيما عدا ل: «واحتيالها»، تحريف.

واغتلامِها، وعن[1] سكونها وانقضاء هَيَجانها عند حملها، وعن طرَبها وطاعتها لسُوَّاسها، وفهمِها لما يُراد منها، وكيف حِدّةُ نَظَرها والفَهمُ الذي يُرَى في طَرْفِها، مع الوقار والنُّبل، والإطراق والسُّكون، وَلِمَ[2] اجتمعت الملوكُ عَرَبُها وعجمُها[3] وأحمرُها وأسودُها على اقتنائها[4] والتزيُّنِ بها، والفخر بكثرة ما تهيَّأ لهم منها، حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا، وأشْرَف الألطاف، وحتى صار اتخاذُها مُرُوءةً وعَتاداً وعُدّة، ودليلاً على أنّ مُقْتَنِيَها[5] صاحبُ حرب، وفي تفضيل [خصال] الفيل على خصال البعير، وفي أيِّ مكانٍ يكون أنفع في الحرب[6] من الفَرس، وأصبَرَ عند القتال من النَّمر، وأقْتلَ للأسد من الجاموس، وأكلَبَ من البِبر إذا تعرَّم[7]، وأشدَّ من الكرْكَدَّنِ إذا اغتلم، حتى لا يبلُغه مقدارُ ما يكون من [تماسيح الخُلجان، وخيل] النِّيل، وَعِقبان الهواء، وأُسْدِ الغياض.

(قصيدة هارون مولى الأزد في الفيل)

وقد جمع هارونُ مولى الأزد الذي كان يرُدُّ على الكميت ويفخر بقحطان، وكان شاعرَ أهل المُوْلتان[8]، ولا أعرف من شأنه [أكثر من اسمه] وصِناعته، وقد قال في صفات الفيل أشعاراً كثيرة، ذكر فيها كثيراً ممّا قدَّمْنا ذِكرَه[9]، فمن ذلك قولُه:

أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ ... له فِطَنُ الإنْس في جِرْم فيلِ

وأنشدني هذا البيت صفوانُ بن صفوانَ الأنصاريّ، وكان من رُواة داود بن مزيد[10]:

أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ ... له فِطَنُ الإنس في جِرْم فيلِ
وأظرفُ مِنْ قِشَّةٍ زَولةٍ ... بحِلْمٍ يجلُّ عن الخنشَلِيلِ[11]

---

(1) ل: «وعند»، محرف.
(2) فيما عدا ل: «ولو»، تحريف.
(3) ش: «عربيها وعجميها».
(4) ل: «اجتلابها».
(5) فيما عدا ل: «يقتنيها».
(6) فيما عدا ل: «للحرب».
(7) تعرم: صار صاحب عرامة؛ وهي الشراسة والشدة. وفيما عدا ل: «تعرض» محرفة.
(8) المولتان، بضم أوله وسكون ثانيه واللام، يلتقي فيه ساكنان، بذلك ضبطه ياقوت، ثم قال: «وأكثر ما يسمع فيه ملتان بغير واو، وأكثر ما تكتب كما هنا» وهي بلد في بلاد الهند على سمت غزنة». فيما عدا ل: «وكان شاعرًا مولدًا».
(9) فيما عدل ل: «ذكرتها في ما قدمنا ذكره»، تحريف.
(10) ل: «وكان من زوار داود بن يزيد». والأبيات في مروج الذهب (2: 10-11).
(11) القشة: بالكسر: الأنثى من القرود. والزولة: الظريفة. فيما عدا ش: «وأكرم»، محرف. وفي نهاية الأرب (9: 311): «وأطرف» بالطاء المهملة. ط: «ذولت» هـ: «زولت» صوابهما في ل، س ونهاية الأرب والخنشليل: الماضي، والمسن القوي. وبه لقب أحد العلماء. انظر نهاية الفهرست لابن النديم. فيما عدا ل: «الخشنبيل»، صوابه في ل والنهاية.

وأوقصُ مختلفٌ خَلْقُهُ ... طويلُ النُّيُوب قصير النَّصِيلِ[1]
ويلقى العدُوَّ بنابٍ عظيم ... وجَوفٍ رَحيب وصوتٍ ضَئيلِ
وأشبهُ شيءٍ إذا قِسْتَه ... بخنزير بَرٍّ وجاموسِ غِيلِ
تَنازَعَهُ كلُّ ذِي أربَع ... فما في الأنام له مِن عَدِيلِ
ويخضعُ للَّيثِ ليْثِ العَرينِ ... بأنْ ناسَبَ الهِرَّ من رأس مِيلِ[2]
ويعصِفُ بالبَبْر بعد النُّمورِ ... كما تعصف الرِّيحُ بالعندبيلِ[3]
وشخصٌ تُرَى يَدُه أنفَه ... فإن وصَلوه بسيفٍ صَقيلِ[4]
وأقبلَ كالطَّوْدِ هادِي الخميسِ ... بِهوْلٍ شديدٍ أمامَ الرَّعِيلِ[5]
ومرَّ يَسِيلُ كَسَيْل الأتيِّ ... بخطوٍ خفيفٍ وجِرْم ثقيلِ[6]
فإن شِمْتَه زادَ في هوله ... شناعةُ أُذْنَينِ في رأسِ غولِ[7]
وقد كنتُ أعدَدْتُ هِرّاً لهُ ... قليلَ التهيُّبِ للزَّندَبيلِ[8]
فلما أَحسَّ به في العَجاج ... أتانَا الإلهُ بفتحٍ جميلِ
فطارَ وَرَاغَمَ فَيَّالَهُ ... بقلبٍ نجيبٍ وجسمٍ نبيلِ
فسبحانَ خالِقِهِ وحْدَه ... إلهُ الأنامِ وربُّ الفُيولِ

(احتيال هارون بالهر لهزيمة الفيل)

وذكر صفوانُ بن صفوان أنّ هارون هذا خبَّأ معه هرّاً[9] تحت حِضْنِه، ومشى بسيفِه إلى الفيل، وفي خرطومه السَّيف، والفيالونَ يَذْمُرُونه[10]، فلما دنا منه رمى بالهرِّ في وجهه، فأدْبَرَ هارباً، وتساقط كلُّ مَن كان فوقَه، وكبَّر المسلمون، وكان ذلك سببَ الهزيمة.

(1) الأوقص: القصير العنق. ط، ش: «رواقص» صوابه في ل، هـ والنهاية. والنصيل: ما تحت العين إلى الخطم. ط فقط: «النعيل» محرفة.
(2) أي يخاف الأسد لمشابهته الهر في الصورة.
(3) كذا وردت «العندبيل» بباء بعد الدال، والذي في المعاجم أنه بلام بعد الدال.
(4) ط، هـ: «فإن وصفوه». ط: «بسيف ثقيل».
(5) هدى الخميس، أي تقدم الجيش، والهادي: المتقدم.
(6) الأتي: السيل لا يدري من أين أتى. فيما عدا ش: «بسيل كسيل».
(7) شمته: رأيته، يقال شامه يشيمه. فيما عدا ل ونهاية الأرب: «فإن سمته ذاك»، تحريف.
(8) ط: «ثقيل التثبت» ش، هـ: فقيل التثبت»، صوابهما في ل.
(9) ط: «جاء معه هر» ش، هـ: جاء معه بهر»، وأثبت ما في ل.
(10) الذمر: بالذال المعجمة: الحض والحث. فيما عدا ل: «يدمرونه»، تحريف انظر (2: 38س5). والخبر مروج الذهب (2: 9-10).

وسنذكر الهرَّ في هذا الشِّعر كما كتبته لك.

(استطراد لغوي)

وأمَّا قوله:

بحِلم يَجِلُّ عن الخنْشليل [1]

فقد قال الأنصاريُّ في صفة النَّخل[2]:

تُليصُ العِشَاءَ بأذنابها ... وفي مَدَر الأرض عنها فُضُولُ[3]
ويشبعها المصُّ مصُّ الثَّرَى ... إذا جاعت الشَّاةُ والخنْشلِيلُ[4]

وهذا غير قوله:

قد علمتْ جاريةٌ عُطبولُ ... أنِّي بنَصْل السيف خنْشلِيلُ[5]

(العندبيل)

وأما العَندبيل فهو طائرٌ صغيرٌ جدّاً، ولذلك قال الشاعر:

وما كان يَوْمَ الرِّيح أوَّلَ طائرٍ ... يَرُوحَ كَرَوْحِ العَندبيل إلى الوكْرِ[6]

لأنَّ الرِّيح تعصف به من صِغره، فهو يعرفُ ذلك من نفسِه، فإذا قويت الرِّيح دخلَ جُحْره، ويقولون عندليب وعَندبيل[7] وكلٌّ صواب، ولذلك قال هارون:

ويعصِفُ بالبَبْر بَعْدَ النمورِ ... كما تعصِفُ الرِّيح بالعندبيلِ

وسنخبر عن تقرير ما في هذه القصيدة مفرَّقاً، إذ لم نقْدِرْ عليه مجموعاً متَّصلاً، ولو أمكن ذلك لكان أحسن للكِتاب، وأصَحَّ لمعناه، وأفهَمَ لمنْ قرَأه[8].

---

(1) فيما عدا ل: «الخنشبيل» تحريف. وانظر ما مضى في ص 48.
(2) في الأصل: «النحل»، وثاني البيتين يعين أنه «النخل» إذ جعلها تمص الثرى.
(3) تليص بذنبها: تديره وتحركه. المدر: قطع الطين اليابس. فيما عدا ل: «تمص العشايا ذناباتها».
(4) الخنشليل من الإبل: المسن البازل. فيما عدا ل: «الخنشبيل» محرف.
(5) البيتان في اللسان (13: 236).
(6) العندبيل، كذا وردت. ولم أجد إلا «العندليل» بلامين.
(7) عندبيل، كذا في الأصل. وانظر التنبيه السابق.
(8) فيما عدا ل: «وأوضح وأفهم لمعناه».

باب ما يدخل في ذكر الفيل..
وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك

قال رؤبةُ في صفة الفيل:

أَجْرَدُ كالحِصْنِ طويلُ النَّابَيْنْ مُشَرَّفُ اللَّحْيِ صغيرُ الفقْمَيْنْ[1]
عليه أُذْنَانِ كفضْل الثَّوْبَيْنْ

وأنشد ابنُ الأعرابيّ:

هو البعوضةُ إنْ كلّفتَه كَرَماً والفيل في كلِّ أمرٍ أصلُه لُومُ[2]

وقال أعرابيٌّ وَوَصَف امرأةً له[3]:

لو أكلتْ فِيلينِ لم تَخْشَ البَشَمْ

وقال أعرابيٌّ [وتروىٰ] لبعض الأكْرِياء[4]:

لو تركبُ البُختِيَّ مِيلاً لانْحَطم[5] أو تركبُ الفِيلَ بها الفيلُ رَزَمْ[6]

وحمل ناسٌ أبا الحَلال الهدَادي[7] على الفيلِ أيَّام الحَجَّاج، فتمنَّع وأنشأ يقول:

أأرْكبُ شيطاناً ومِسْخاً وهَضبْةً إلا إنّ رأيي قبل ذاك مُضلَّلُ[8]

فقالوا له: لو علوتَه ما كانَ عندَك إلاّ كالبغْل فلما علاه صاحَ: الأرضَ الأرضَ فلما خافوا أنْ يرْمِي بنفسه وهو شيخٌ كبير، أنزلوهُ، فقال بعد ذلك في كلمة له:

وما كان تحتي يومَ ذلك بَغْلةٌ ولكِنَّ جُلْباً مِنْ رَفِيع السَّحائبِ[9]

---

(1) الفقمان: بالضم: اللحيان. فيما عدا ل: «العينين»، وأثبت ما في ل ومباهج الفكر (3: 79) مصورة دار الكتب.

(2) ط، هـ: «إذ كلفته».

(3) ل: «في وصف امرأة له».

(4) الأكرياء؛ جمع كرى، وهو المكاري الذي يكريك دابته. ل: «وقال أعرابي لبعض الأكرياه». وفيما عدا ل: «وقال الأعرابي يصف الأكرياء»، وقد جمعت من بينهما الصواب زائدًا كلمة «وتروى».

(5) فيما عدا ل: «انحطم».

(6) رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزومًا ورزامًا، إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحاً وهزالاً، ط: «نهى الفيل ورم»، ش، هـ: «نها الفيل ورم» صوابهما في ل.

(7) الهدادي: نسبة إلى هداد كسحاب: حي من اليمن. فيما عدا ل: «الهداهدي» وهداهد، بضم أوله وكسر رابعه: حي من اليمن أيضًا.

(8) فيما عدا ل: «وأسلم إني قبل ذاك فعلل»، محرف.

(9) الجلب، بالكسر والضم: السحاب الذي لا ماء فيه. ط، هـ: «ولكي تحتي» ش: «ولكن حتى»، صوابهما في ل. والرفيع: المرتفع. ل: «رجيع»، ولا وجه له.

وقال بعض [المتحدِثين و]المملِّحين[1] في بعض النساء:

أرادت مـــرّةً بـــيـــتـــاً ... لـــهـــا فـــيـــه تـــمـــاثـــيـــلُ
فـــلـــمـــا أبـــصـــرْتَ سِـــتْـــراً ... لـــوجـــهَـــيْـــه تـــهـــاويـــلُ
وفـــيـــه الـــفـــيـــلُ مـــنـــقـــوشـــاً ... وفـــي مِـــشْـــفَـــرِهِ طُـــولُ
قـــالـــت: انْـــزعُـــوا الـــســـتـــر ... فـــلا يـــأكـــلْـــنـــيَ الـــفِـــيـــلُ[2]

وقال خلَف بن خليفةَ الأقطع، حين ذكر الأشرافَ الذين يدخلون على ابن هُبيرة:

وقـامـتْ قـريـشٌ قـريـشُ الـبِـطـاح ... مـع الـعُـصَـبِ الأوَل الـدَّاخِـلـهْ[3]
يـقـودهـم الـفِـيـلُ والـزَّنْـدَبِـيـلُ ... وَذو الـضِّـرْسِ والـشَّـفَـةِ الـمـائـلـه

الفيل والزّنْدَبيل: أبان والحكم، ابنا عبد الملك بن بشر بن مَرْوان[4]، وذو الضِّرس: خالد بن سَلَمة المخزومي الخطيب، وهو ذو الشَّفة، قتل مع يزيد بن عُمَر بن هبيرة[5] فيمن قتل.

وقد فَصَل خلف بن خليفة الفيلَ من الزَّنْدَبيل، ولم يفسِّر[6]، وقد اختلفوا في ذلك، وسنذكرهُ إذا جرّ[7] سببه إن شاء اللّه تعالى.

(طرائف من اللغات والأخبار في الفيل)

[[8]الفيلُ، المعروف بهذا الاسم، ويقال رجلٌ فِيلٌ إذا كان في رأيه فِيَالة، والفِيَالة: الخطأ والفساد، ويسمُّون أيضاً الرَّجل بفيل، منهم فيلٌ مولى زياد وحاجبُه، وفي أنهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بانان وموضعٌ آخر يقال له فِيلان[9].

---

(1) في اللسان والقاموس: «ملح الشاعر، إذا أتى بشيء مليح». ل: «المتملحين».
(2) في البيت ما يسميه العروضيون الخرم.
(3) قريش البطاح: الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها. وقريش الظواهر: الذين ينزلون ما حول مكة. وأكرمهما قريش البطاح. فيما عدا ل: «هي القضب» موضع: «مع العصب».
(4) في المعارف 155 أن بشر بن مروان، «أول أميرمات بالبصرة، وله عقب». فيما عدا ل: «بشر بن عبد الملك». وليس لعبد الملك بن مروان ولد يسمى بشرًا. انظر المعارف 156، وجمهرة ابن حزم 89 والطبري (9: 145 س16).
(5) يزيد بن عمر بن هبيرة، ولاه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على العراق، وقتله أبو جعفر المنصور بعد حصاره له في واسط تسعة أشهر في شوال سنة132، وانظر للفيل والزندبيل جمهرة ابن حزم 107 بتحقيقنا. وانظر المعارف 162، فيما عدا ل: «يزيد بن عمرو»، تحريف.
(6) فيما عدا ل: «ولم يقصر»، محرفة.
(7) فيما عدا ل: «وسنذكر شبهه».
(8) من هنا يبدأ سقط كبير انفردت بإثباته نسخة كوبريلي.
(9) فيلان: بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحي الخزر. عن ياقوت.

وقد يعرض بقدم الإنسان ورَم جاسٍ حتَّى تعظم له قدمُه وساقُه، وصاحبُه لا يبرأ منه، ويسمّى ذلك الورمُ داءَ الفيل.

ويسمَّى الرَّجُل بدَغْفَلٍ، وهو ولد الفِيل[1]، ولا يسمُّونَ بَزنْدبيل، وبعض العرب يقول للذَّكر من الفيلة فِيل وللأُنثى فِيلة، كما يقولون أسد وأسدة، وذئب وذئبة، ولا يقولون مثل ذلك في ثعلب وضبع، وأمورٍ غير ذلك، إلاّ أن يكون اسماً لإنسان.

وبعث رجلٌ من العرب بديلاً مكانَه في بعض البعوث، وأنشأ يقول:

إذا ما اختَبَّتِ الشَّقْرَاءُ مِيلاً ... فهانَ عَلَيَّ ما لقيَ البَديلُ[2]
يشنِّفُها ويحسَبُها بعيراً ... قليلٌ علمه بالخيل فِيلُ[3]

وأنشدنا الأصمعيّ:

يفرُّون والفيل الجبان كأَنّه ... أزَبُّ خَصِيٌّ نفّرتْه القَعاقِعُ

قال سَلَمة بن عَيَّاش[4]: قال لي رؤبة: «ما كنت أحب أن أرى في رأيك فِيالة».

وبالكوفة باب الفيل، وبواسط باب الفيل.

ومنهم فِيلُويه، وهو أبو حاتم بن[5] فِيلُويه، وكان أبو مسلم ربَّى أبا حاتم حتّى اكتهل، وهُما سقَيا أبا مسلم السمّ حتى عُولج بالترياق فأفاق، فقتلهما أبو مسلم بعد ذلك، وكانا على شبيهٍ بدين الخُرَّميّة.

ويقولون عنبسة الفيل، وهو النحويّ، وهو أحد قدماء النحويِّين الحذّاقَ، وهو عنبسةُ بن مَعْدَانَ، وكان معدانُ يروض فيلاً لزياد، فلما أَنشَد عنبسةُ بنُ معدانَ هجاءَ جريرٍ للفرزدق قال الفرزدق:

لقد كان في مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ ... لعنبسةَ الرَّاوِي عَلَيَّ القصائدا

فلمَّا تناشَدَ النّاسُ بعد ذلك هذا الشعر قال عنبسةُ: إنَّما قال الفرزدق:

لقد كان في مَعْدانَ واللُّؤْمِ زاجرٌ

---

(1) ممن سمي بذلك دغفل بن حنظلة الشيباني النسابة، المترجم في (3: 267).

(2) اختبت: سارت الخبب، وهو ضرب من العدو. قال:

مذكرة الثنيا مساندة القرى ... جمالية تختب ثم تنيب

والشقراء: فرسه.

(3) الفيل هنا: الضعيف الرأي.

(4) سلمة بن عياش: شاعر بصري من مخضرمي الدولتين، وكان منقطعًا إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يمدحهما. ترجم له أبو الفرج في (21: 84-86). وفي الأصل: «بن عباس»، محرف.

(5) هذه الكلمة ليست بالأصل، وهي تكملة يستقيم بها الكلام.

فقالوا: إنَّ شيئاً فررتَ منه إلى اللُّؤْم لَنَاهِيكَ به قُبحاً فعند ذلك سُمِّي «عنبسةَ الفيل[1]».

وغيلان الراجز كان يقال له «غيلانُ راكب الفيل» كان الحجّاج بن يوسف ربَّما حَمَلَه على الفيل، وسَعْدُويه الطُّنبوريّ، وكان يقال له: سعدويه عين الفيل.

قال أبو عبيدة: حدَّثني يونس قال: لما بنى فِيلٌ مولى زيادٍ دارَه وحَمَّامَه بالسَّبابجة[2]، عمل طعاماً لأصحاب زياد، ودعاهم إلى داره، وأدْخلهم حمَّامَه، فلمَّا خرجوا منه غدَّاهم، ثم ركِب وغَبَّر في وجوههم، فقال أبو الأسود الدُّؤلي:

لَعَمْرُ أبيكَ مَا حمّامُ كِسرى ... على الثُّلُثَينِ من حمَّام فيلِ

وقال الجارود بن أبي سَبرة:

وما إرقاصنا خَلْفَ الموالي ... كَسُنّتِنا عَلَى عهدِ الرسولِ[3]

وأنشد الأصمعي وغيره:

خلافاً علينا من فَيالة رأيه ... كما قيل قبلَ اليومِ خالفْ فَتُذْكَرا[4]

ويقال للرّجُل إذا عُنّف عند الرأي يراه: لِمَ تفيِّلُ رأيَكَ؟ وقد فَال رأي فلان.

وحدَّثنا عبد اللّه بن بكر، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «لمّا انتهيت إلى السّدْرَة إذا ورَقُها أمثالُ آذانِ الفِيَلة، وإذا ثمَرها أمثالُ القِلال[5]، فلما غشِيَها من أمر اللّه ما غشِيها تحوَّلت ياقوتاً».

وقال صاحب الكيمياء في جرير بن يزيد:

مهلاً أبا العبَّاس رِفقاً ولا ... تكنْ خَصيمَ المَعْشَرِ الخُونِ
هيهات هيهاتَ لما رُمْتَهُ ... أو يُولَدَ الفيلُ من النُّونِ
أنت إذا ما عُدَّ أهلُ الحِجا ... والحِلْمِ كالأحنف في سينِ[6]

---

(1) كان عنبسة تلميذ أبي الأسود. وانظر القصة في بغية الوعاة 368.

(2) السبابجة، أراد به موضعًا كان ينزله السبابجة بالبصرة، والسبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن. انظر معرب الجواليقي 173، وكان كثير من خطط البصرة وغيرها يسمى بأسماء الطوائف والقبائل النازلة فيها.

(3) في اللسان: «أرقص القوم في سيرهم إذا كانوا يرتفعون وينخفضون». وفي الأغاني (21: 30): «وما إيجافنا»، مع نسبة الشعر إلى حارثة بن بدر.

(4) في الأصل: «خالف تذكر» ويأباه الشعر، وصوابه في البيان (2: 187). وانظر المثل في الميداني (1: 213).

(5) القلة: الجرة العظيمة.

(6) كأنه أراد: هما في الاستواء كاستواء أسنان حرف السين.

(الفرخ والفروج)

وكلُّ طائرٍ يخرج من البيض وكلُّ ولدٍ يخرج من البيض وإن لم يكن طائراً، فإنما يسمَّى فرخاً، كفرخ الحمام والوزغة والعظاءة والرقُ والسُّلحفاءِ والحُلَكَاء، وبنات النَّقا، وشحمة الأرض، والضب، والحِرْذون، والورل، والحرباء، إلا ما يخرج من بيض الدجاج فإنه يقال له «فرّوج» ولا يقال له فرخ، إلا أنَّ الشعراءَ يتوسَّعون في ذلك، قال شَّماخ بن أبي شداد[1]:

ألا مَـن مـبـلـغٌ خـاقـان عَـنَّـا ... تـأمَّـلْ حـيـن يـضـرِبُـك الـشِّـتـاءُ
أتـجـعـلُ فـي عـيـالـك مـن صـغـيـرٍ ... ومـن شـيـخٍ أضَـرَّ بـه الـفَـنَـاءُ
فـراخَ دجـاجـةٍ يـتـبـعـن ديـكـاً ... يـلُـذْنَ بـه إذا حَـمِـسَ الـوغـاءُ

وقال الآخر:

أحـبُّ إلـيـنـا مـن فـراخ دجـاجـة ... ومـن ديـك أنـبـاط تـنـوسُ غَـبـاغـبـهْ [2]

وإذا سمَّى أهل البصرة إنساناً بفيل فأرادوا تصغيره قالوا فِيلويه، كما يجعلون عمراً عَمرويه، ومحمداً حمدويه. وكان محمد بن إبراهيم الرّافقي الفارسُ النَّجيد قتيل نصر بن شَبث، مولى بني نصر بن معاوية، له كنيتان: أبو الفيل وأبو جعفر، ولم يكن بالجزيرة أفْرَسُ من داود بن عيسى، وأبي الفيل وعيسى بن منصور من ساكني الرافقة[3]].

(حمل الفيل وعمره)

وذَكرَ بعضُ الفيَّالين أنّ الفِيَلة تضعُ لِسبع سنينَ ولداً مستويَ الأسنان، وأنهم يرصدون ذلك الوقتَ من الوحشية منها[4]، ويحتالون في أخذ الولد، وأن ذلك الولدَ يعيش في أيديهم[5] ما بين الثمانين سنةً إلى المائة، وأنّ عُمر الوحشية أطولُ.

وأنّ كلَّ شيءٍ منها اليومَ بالعَسْكر إناث، وأَنّ الموتَ بالعراق إلى الذُّكورة أسرعُ، وأنَّ نابَه لا يطول عندنا، وأنَّهم يَعْملون من جلودها التِّرَسَة[6] أجودَ من جلود الجواميس، ومن

---

(1) سبق في (1: 150) نسبة الشعر إلى الشماخ بن ضرار. ويبدو أن ما هنا صوابه، إذ أن الأبيات لم ترو في ديوان الشماخ. والشماخ بن أبي شداد الغابي، ذكره الآمدي في المؤتلف 138 وروى له شعرًا.

(2) قبله كما سبق في (1: 150):

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى ... وسود تداعى بالعشى نواعبه

(3) الرافقة: بلدة كانت متصلة البناء بالرقة على ضفة الفرات، قال ياقوت: «فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة، وصار اسم المدينة الرقة». وإلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ في ص 52.

(4) فيما عدا ل: «بها»، محرف.

(5) فيما عدا ل: «فيهم في أيديهم»، وكلمة «فيهم» مقحمة.

(6) الترسة: جمع ترس. ش، هـ: «أترسة». وفي اللسان: «قال يعقوب: ولا تقل أترسة».

الخيزُران[1]، ومن الدّرق والحَجَف التي تتخذ من جلود الإبل[2]، ومن هذه المعقَّبة [المطليَّة]، ومن جميع ما يؤلَّف من أنواع الخشَب والجلودِ التي قد أُطيل إنقاعها في اللَّبن، ومن كلِّ تُبَّتيّ وصينيّ[3].

(مروج الفيلة)

وذكر أن لها مُروجاً، وأن المروج أصلحُ لها من القرى، ومواضِعَهَا من الوحش أصلحُ لها من المُروج.

(فهم الفيلة)

وذكر رسول لي إلى سائسها أنه قد اتّبعها إلى دجلة، وأنّ بعض الغَوغاء صاح بها: يا حجَّام بابَك وهذا الكلام اليومَ ظاهرٌ على ألسنة الجهَّال، وأن فيلاً منها ركلَه برجله رَكلةً صكَّ بها الحائط[4] حَتَّى خيف عليه منها، وأنه رأى منها الإنكارَ لذلك القول، وأنَّ الفيّالَ كان يحثُّها على الانتقام لَمَّا صاحَ بها.

وإذا عرفَ الكلبُ اسمه، وكذلك السنّور، وكذلك الشّاة والفرس، والطفل والمجنون المصْمَت الجنون، وعرفت النّاقةُ [فصْل] ما بين حَلْ وجاهِ[5]، وعرَف الحمارُ الصَّوتَ الذي يُلْتَمَسُ به وقوفُه، والذي يلتمس به سيُره، وعرف الكلبُ مخاطبةَ الكلاَّب، والبَبْغاءِ مناغاةَ المُكَلِّم له[6]، فجائزٌ أن يكون الفيلُ بفضل فِطنته [أنْ[7]] يفهم أضعافَ ذلك، فإذا أمره بضرب إنسانٍ عند ضروبٍ من الكلام استعاد ذلك وأدامَه، لم ينكر أنْ يعرفَه على طول الترداد.

(فائدة نجو الفيل)

قالوا: وإذا احتملت[8] المرأة شيئاً من نَجْو الفيل بعد أن يُخْلَطَ به شيءٌ[9] من عسَل فإنها لا تَحبَل أبداً[10].

---

(1) فيما عدا ل: «الحيوان».

(2) الحجف بتقديم الحاء: الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. فيما عدا هـ: «الجحف» محرف، وفي ل: «المتخذة من جلود الإبل».

(3) فيما عدا ل: «ومن كل شيء رصين».

(4) ل: «لها الحائط».

(5) جاه، بالجيم، وهو مبني على الكسر، وربما قالوه بالتنوين: انظر اللسان (18: 380). وفي الأصل: «حاء» بالمهملة، تصحيف.

(6) فيما عدا ل: «المتكلم له»، ولها وجه.

(7) هذه من ل، ش.

(8) فيما عدا ل: «حملت» وحمل واحتمل بمعنى.

(9) فيما عدا ل: «تخلط به شيئًا».

(10) فيما عدا ل: «لا تحمل أبدًا» بالميم، وهما بمعنى.

قالوا: ومما يؤكِّد ذلك أنّك لو علّقتَ على شجرةٍ من نَجْوه شيئاً، أنَّ تلك الشجرةَ لا تحمِلُ في تلك السنة.

قالوا: وزواني الهند[1] يفعلن ذلك استبقاءً للطّراء[2] [وللشّباب]، ولأنها إذا كانت موقوفةً على جميع الأجناس من الرِّجال كانت أسرَعَ إلى الحبَل[3] لأنها لا تعدَم موافقاً لطبعها، وإذا حملت ووضعت مراراً بطلت.)

(ضروب من الدواء)

وليس هذا بعجيب، لأنهم يزعمون أنَّ صاحب الحصاة إذا أَخذَ روثَ الحمار حين يَرُوثه حارّاً فعصرهَ وشرِب ماءَه أنه كثيراً ما يبول تلك الحصاة، وفي [ماء] روثِ الحمارِ أيضاً دواءٌ للضِّرس المأكول.

وقال الأصمعيّ: سألتُ بعضَ الأكلة ممن كان يقدَّم على مَيْسرة التَّرَّاس[4]: كيف تصنعُ إذا جَهَدتك الكِظَّة؟ والعرب تقول: إذاً كنت بطيناً فعدِّلْ نفسَك زَمناً[5]، فقال: آخذ روْثَ حمار حارّاً فأعصرْه وأشرب ماءه[6] فأختلف عنه مراراً[7]، فلا أثبت[8] أنْ يلْحَقَ بطني بصُلْبي، فأشتَهي الطّعامَ.

والمرأة من نسائنا اليومَ إذا استُحِيضَت استفَّتْ مثقالاً من الإثمد، لأنها عندهن إذا فعلت ذلك لم تَلِد.

وأنا رأيتُ امرأة [قد] فعلتْ ذلك ثم ولدت.

وخُرء الكلب إذا كان الجعرُ أبيضَ اللَّوْن، وكان غذاءُ الكلب العظامَ[9] دون اللحم، فهو عجيبٌ لصاحب الذُّبحة، وكذلك رَجِيع الإنسان[10].

---

(1) ل: «وزواني اليد بالهند».

(2) الطراء، بالفتح: النضرة، والطرى خلاف الذاوي. فيما عدا ل: «الطراق»، وهو بالكسر: الضراب. والأوفق ما أثبت من ل ليلائم ما بعده.

(3) فيما عدا ل: «في الحبل».

(4) فيما عدا ل: «التياس».

(5) كلمة «نفسك» ليست في ل. وفيما عدا ل: «فعد».

(6) ل: «روثًا حارًا فأعصره ثم أشرب ماءه».

(7) الاختلاف: أن تصيبه الخلفة، فيختلف إلى المتوضأ، فيما عدا ل: «عليه مرارًا».

(8) هي بمعنى «لا ألبث».

(9) ل: «وكان عن أكل الكلب العظام».

(10) ل: «رجع الإنسان».

وخرء الفأر يكون شِيافاً[1] للصِّبيان، يحملونه إذا استوكى بطنُ أحدهم [2]وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيماً كان الواحد منه هو الشِّياف.

ويصلح أيضاً خُرْء الفار[3] لداء الثَّعلب، وهو القَرَع الذي يعرض لشَعر الرَّأس.

وخرء الحمام الأحمر يصلحُ، من المَبْوَلات للرَّمْل[4] والحصَى، يُقمَحُ منه وزن درهم مع مثله من الدَّارصيني[5].

(شعر في الفيل)

وقال بعض المُحْدَثين:

يا لحيةً طالت على نَوكها ... كأنها لحيةُ جِبريلِ[6]
لوْ كانَ ما ينصَبُّ من مائها ... نَهْراً إذاً طمَّ على النِّيلِ
أو كان ما يقطر من دهنها ... كَيْلاً لَوَفَّى ألفَ قِنديلِ
فلو تراها وهي قد سُرّحَتْ ... حسبْتَها بَنداً على فيلِ[7]

وأنشد أبو عمرو الشيبانيّ لبعض المولّدين:

إذا تلاقَى الفُيولُ وازدحَمتْ ... فكيفَ حالُ البَعوضِ في الوَسَطِ

وأنشد علي بن محمد[8]:

وما الفِيلُ أحمِلُه مُوقَرا ... رَصاصاً بأثْقَلَ من مَعْبَد
ولا قِرْمليٌّ عليه الغَبيطُ ... ينوء بِعِدْلَين من إثمِدِ[9]
وجاموسةٍ أُوقِرَتْ زِئبقاً ... بأثْقَلَ منه ولا أنْكَدِ

وقال آخر:

---

(1) في القاموس: والشياف. ككتاب: أدوية للعين ونحوها».

(2) استوكى بطنه: لم يخرج منه نجوه. فيما عدا ل: «يجعلونه»، محرفة. ل: «إذا استرخى» وفيما عدا ل: «إذا استوكأ»، صوابهما ما أثبت.

(3) فيما عدا ل: «خرء الكلب».

(4) مبولة: يحمل على البول. وفيما عدا ل: «من الهيولات من الرمل»، محرف.

(5) يقال قمح السويق ونحوه - من باب علم- واقتمحه إذا استفه. ش: «يقتمح» ل: «دار صيني» بطرح اللام.

(6) النوك: الحمق. فيما عدا ل: «على كونها»، صوابه في ل وعيون الأخبار (4: 55).

(7) البند: العلم الكبير، فارسي معرب. فيما عدا ل: «نبذًا»، صوابه في ل وعيون الأخبار.

(8) فيما عدا ل: «وقال» فقط.

(9) القرملية من الإبل: الصغار الكثيرة الأوضار، وهي إبل الترك. فيما عدا ل: «قزملي»، صوابه بالراء المهملة. والغبيط: الرحل. فيما عدا ل: «العبيط» محرف.

بـــابٌ يـــرى لـــيـــس لـــه داخـــلٌ إلاّ خِـــراً جُـــمِّـــع فـــي الـــزَّاويـــهْ
إن جـئـت فـالـفـيـلُ عـلـى هـامـتـي ومـــثـــلـــه نِـــيـــطَ بـــأوصـــالِـــيـــهْ

ووصف[1] مرَّة بن مَحْكَان[2] قِدراً فقال:

تَـرمـي الـصُّـلاةَ بـنـبْـلٍ غـيـر طـائـشـةٍ وَفْـقـاً إذا آنـسـت مـن تَـحـتِـهـا لـهـبـا[3]
زيَـافـة مـثـل جـوفُ الـفِـيـل مُـجـفَـرة لـو يُـقـذَف الـرَّأْلُ فـي حـيـزومـهـا ذَهَـبـا[4]

وقال بعض الأكرياء في امرأة كان حَملَها:

بـيـضـاء مـن رُفـقـةِ عِـمْـرَانَ الأصـمّ لا ثَـعـلٌ فـي سِـنِّـهـا ولا قَـصَـمْ[5]
بَـهْـكـنَـة لـو تـركـب الـفـيـلَ رَزَمْ[6] كـأنَّـهـا يـوم تُـوافـي بـالـحـرمْ
غـمَـامَـةٌ غـرَّاءُ عَـنْ غِـبِّ رِهَـمْ[7]

وقال رؤبةُ بن العجَّاج:

إنّ الـرّدافـى والـكـريّ الأرْقـبـا[8] يـكـفـيـكَ دَرْءَ الـفِـيـل حَـتـى تَـرْكَـبـا[9]

ثم قال:

---

(1) فيما عدا ل: «ورأى».

(2) محكان، بفتح الميم، كما ضبط بالقلم في اللسان والقاموس (محك) وضبط بالقلم في الاشتقاق 151 بكسر الميم. وفي حواشي المبهج لابن جني ص 61: «في حاشية الأصل: حكى السكري محكان ومحكان، بالكسر والفتح في اسم هذا الشاعر». وفي معجم المرزباني 383: «مرة بن محكان السعدي من بني عبيد أحد اللصوص هجا الفرزدق». وأنشد له الأبيات البائية التي رواها أبو تمام في الحماسة (2: 253). وترجم له أبو الفرج في (20: 9-10).

(3) الصلاة، بالضم: جمع صال، وهو الذي يصطلي بالنار. وفقا: متوافقات. وفيما عدا ل: «وقعا».

(4) زيافة، هي من قولهم: زافت المرأة في مشيها تزيف، إذا رأيتها كأنها تستدير. فيما عدا ل: «زرافة مثل جوف الليل» محرف. والمجفرة: الواسعة، يقال ناقة مجفرة عظيمة الجفرة، والجفرة، بالضم: الوسط. والرأل: فرخ النعام. فيما عدا ل: «لم يقذف»، تحريف.

(5) الثعل: تراكب الأسنان بعضها على بعض. والقصم: «انقصام الثنية إذا كان منكسرها من النصف. ط: «لا تقل» ش، هـ: «لا نقص»؛ وأثبت ما في ل.

(6) البهكنة: الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة. فيما عدا ل: «بهنكة» تحريف. و«رزم» فسرت في ص 51. فيما عدا ل: «ورم» محرف.

(7) الرهم: جمع رهمة، بالكسر، وهو المطر الضعيف. فيما عدا ل: «وهم»، محرف.

(8) الردافي: الحداة، جمع حاد. والكري: الذي يكريك دابته. والأرقب: الغليظ الرقبة.

(9) درء الفيل: دفعه وكفه. أراد أن ركوب الإبل يغني عن ركوب الفيل وعن الحاجة إلى درئها قبل اعتلائها. فيما عدا ل: «رن الفيل»، محرف.

يشقى بي الغيرانُ حَتّى أُحْسَبا[1] سِيداً مُغِيراً أو لياحاً مُغْرَبا[2]

(ما ورد في كليلة ودمنة من الأمثال في شأن الفيل)

ومما قرأه الناسُ من الأمثال في شأن الفيل التي وجدوها في كتاب كليلة ودمنة، فمن ذلك[3] قوله: «أفَلاَ تَرَى أنَّ الكلب يُبصبصُ بذنبَه مِراراً حتى تُلقَى له الكِسرة، وإنّ الفيلَ المغتلِم لَيعرِف قوّتَه وفضله، فإذا قُدِّمَ إليه عَلَفه مُكَرّماً[4] لم يأكلْ حتى يُمَسح[5] ويُتملّق».

قال[6]: «وقيل في أعمال ثلاثة[7] لا يستطيعها أحدٌ إلا بمعونةٍ من ارتفاع هِمة[8]، وعظيم خطر، منها عملُ السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ، [و]قالت العلماء في الرَّجُل الفاضل الرشيد: إنّه لا ينبغي أن يُرَى إلا في مكانَين، ولا يليق به غيرهما[9] إمَّا مع الملوك مُكرَّماً، وإمَّا مع النُّسَّاك متبتِّلاً، كالفيل إنما بهاؤه وجماله في مكانَين: إمَّا في برّية وحشيّاً، وإما مَرْكَباً للمُلوك».

[قال[10]]: وقد قيل في أشياءَ ثلاثةٍ فضْلُ ما بينها متفاوِت: فضل المقاتل على المُقاتل، و[فضل] الفيلِ على الفيلِ، و[فضل] العالم على العالم[11]».

وقال في كلام آخر[12]: فإن لم تنجَع[13] الحيلة فهو إذاً القَدَرُ الذي لا يُدفع، فإنَّ القدرَ هو الذي يسلب الأسَدَ قوَّتَه حَتى يُدْخِله التَّابُوت، وهو الذي يَحمِل الرَّجُل الضَّعيف على ظهر

---

(1) الغيران، بالكسر: جمع غور، وهو المطمئن من الأرض. فيما عدا ل: «سعارى العيران حتى أجبنا»، لكن في ط: «سعادي»، والصواب ما أثبت من ل. يقول: تشقى به الأغوار من شدة سيره.

(2) السيد، بالكسر: الذئب. واللياح، بالفتح والكسر: الثور الأبيض. والمغرب، بفتح الراء: الأبيض. فيما عدا ل: «شرا معيرا ولياحا معربًا»، محرف.

(3) في أوائل باب (الأسد والثور). انظر ص 47 من الطبعة التذكارية لدار المعارف.

(4) ط فقط: «عكرها»، تحريف صوابه في سائر النسخ وكتاب كليلة ودمنة.

(5) في كليلة ودمنة: «حتى يمسح رأسه».

(6) في باب (الأسد والثور) انظر ص 50–51 من النسخة السالفة الذكر.

(7) في كليلة ودمنة: «وقد قيل في أمور» فقط. والوجه حذف كلمة «ثلاثة».

(8) ط، هـ: «ابداع همة» ش: «إبداع» صوابهما في ل والكتاب.

(9) فيما عدا ل: «به إلا أحدهما» وأثبت ما في ل وكليلة ودمنة.

(10) في باب (الأسد والثور). انظر ص 52–53 من الكتاب.

(11) في كليلة ودمنة تأخير: «وفضل الفيل على الفيل».

(12) في باب (الأسد والثور) انظر ص 77–78 من كليلة ودمنة.

(13) فيما عدا ل: «تجمع» محرفة. وبدله في كليلة ودمنة: «فإن لم يكن هذا».

الفيل المغتلِم[1]، وهو الذي يسلِّط الحوّاء على الحَيَّة ذات الحُمَة فينزِعُ حمتَها ويلعبُ بها.

[قال: «[2] ومَن لم يرضَ من الدُّنيا بالكفَاف الذي يُغْنيه، وطمحت عيناه إلى ما فوق ذلك، ولم ينظر إلى ما يتخوّف أمامه، كان مثله مثل الذباب الذي ليس يرضى[3] بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل المغتلم، فيضربه بأُذنهِ فيهلك»].

وقال[4]: «فأقام الجملُ مع الأسد حَتى إذا كان ذاتَ يوم توجّه الأسد نحو الصيد، فلقيَه فيلٌ فقاتلَه قتالاً شديداً، وأفلَتَ الأسد مُثْقَلاً يسيل دماً، قد جرحه الفيل بأنيابه، فكان لايستطيع أن يطلُبَ صيداً، فلبث الذئبُ والغرابُ وابن آوى أياماً لا يجدون ما يعيشون به من فضول الأسد».

وقال[5]: «وكيف يرجو إخوانُك عندك وفاءً وكرَماً[6] وأنتَ قد صَنَعت بملكك الذي كَرَّمك وشَرَّفك ما صَنعتَ، بل مَثلُك في ذلك كما قال التاجر: إنَّ أرضاً يأكلُ جرْذانها مائة مَنٍّ من حديد، غيرُ مستنكَر أن تخطِف بُزاتها الفِيَلة».

[قال[7]]: «وقال الجرذُ للغراب: أشد العداوةِ عداوة الجوهر، وعداوةُ الجوهر عداوتان، منها عداوة متجازَية[8] كعداوة الفيل والأسد، [فإنّه] ربَّما قتل الفيلُ الأسد، وربَّما قتل الأسدُ الفيل، ومنها عداوة إنما ضرَرُها من أحد الجانبين [على الآخر] كعداوة ما بيني وبين السنّور، فإنّ العداوة بيننا ليست لضرٍّ متّي عليه، ولكن لضرٍّ منه عليّ».

وقال[9]: «إن الكريم إذا عَثَر لم يستعنْ إلا بالكريم، كالفيل إذا وَحِل لم يستخرجْه إلا الفيلة».

---

(1) فيما عدا ل زيادة: «فيضربه الفيل بأذنه فيهلك» وكلمة «المغتلم» لم ترد في نسخة كليلة ودمنة. وأما هذه الزيادة فقد وردت في موضع بعد هذا من كليلة ودمنة في ص 78-79 في كلام آخر نصه: كان كالذباب الذي ليس يرضى بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل المغتلم، فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله» وسيأتي في التكملة التالية.

(2) انظر ص 78-79 من باب الأسد والثور.

(3) في الأصل: وهو هنا ل: «لم يرض»، وأثبت ما في كليلة ودمنة.

(4) من باب الأسد والثور ص 79-80.

(5) في باب الأسد والثور ص 94.

(6) فيما عدا ل: «وكيف يرجو إخوانك عندنا كرمًا»، تحريف ونقص. وفي كليلة ودمنة: «وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم».

(7) انظر باب (الحمامة المطوقة) ص 129-130.

(8) فيما عدا ل: «متجارية» تحريف. وفي كليلة ودمنة: «منها عداوة من يجتزيان». وفي نظم كليلة ودمنة لابن الهبارية المسمى «نتائج الفطنة» ص 129:

«وهو النجازي لاسواه إنما ... ما جانب الفرد يصير لازمًا»

(9) من باب الحمامة المطوقة ص 142.

(ضروب العداوات)

وسنذكرُ عداوة الشيطان للإنسانِ، [والإنسان للشَّيطان، وهما عداوتان مختلفتان وعداوة اللّه للكافر، وعداوة الكافر للّه، وهاتان العداوتان غير تينك، وهما في أنفسهما مختلفتان، وهما والتي قبلها مخالفة لعداوة العقرب للإنسان]، وعداوةُ العقرب مخالفةٌ لعداوة الحيَّة، [وعداوة الإنسان لهما مخالفة لعداوة كلٍّ منهما للإنسان]، وعداوة الذئب والأسد، [والأسد] والإنسان خلاف عداوة العقرب والحية، وعداوة النمر للأسد والأسد للنمر مخالفةٌ لجميع ما وصفنا، ومسالمة البَبر للأسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب، وشأن الحيات والوزغ خلافُ شأنِ الخنافس والعقارب، وعداوة الإنسان خلافُ عداوة ذلك كلِّه، وابن عِرْس أشدُّ عداوة للجُرذان من السنَّور، وعداوةُ البعير للبعير، والبرذون للبرذون، والحمار للحمار شكل واحد، وعداوة الذِّئب خلاف ذلك، والشَّاةُ أشدُّ فَرَقاً منه منها من الأسد والنمر والببر، وهي أقوى عليها من الذِّئب، وفَرَق الدَّجاج من ابن آوى أشدُّ من فَرَقها من الثَّعلب، والحمام أشدُّ فرَقاً من الشاهين منه من الصَّقر والبازي.

(عداوات الناس)

وأسباب عداوات النَّاس ضروبٌ: منها المشاكلة في الصناعة، ومنها التقارُب في الجِوار، ومنها التقارب في النَّسب، والكثرة مِن أسباب التّقاطع في العشيرة والقبيلة، والسَّاكن عدو للمُسْكِن، والفقير عدوٌّ للغني وكذلك الماشي والراكب، وكذلك الفحل والخصيّ، و «بَغْضاء السُّوَق موصولةٌ بالملوك»، وكذلك [المعتق عن دُبُر[1]]، والموصَى له[2] بالمال الرغيب، وكذلك الوارث والموروث، ولجميع هذا تفسيرٌ ولكنه يطول.

(عداوات الحيوان)

وذكر صاحب المنطق عداوةَ الغرابِ للحمار، والنَّحويون ينشدون في ذلك قولَ الشَّاعر:

عَادِيتَنَا لا زِلْتَ فِي تَبَابِ[3] عَدَاوَةَ الْحِمَارِ لِلْغُرَابِ

[ولا أدري من أينَ وقعَ هذا إليهم].

---

(1) ش: «وكذلك المعين» وباقي التكملة من ل. والمعتق عن دبر، هو ما يسميه الفقهاء: «المدبر»، وهو الذي تعلق حريته بموت مالكه، يقول له: أنت حر بعد موتي.

(2) فيما عدا ل: «الوصلة»، محرفة.

(3) التباب: الهلاك. ل: «عاديتني»، والرجز مضى في (2: 31/ 3: 245) برواية: «عاديتنا».

وذكر أيضاً عداوة البُوم للغراب[1]، وكذلك عصفور الشَّوك للحمار، وفي هذا كلامٌ كثيرٌ قد ذكرنا بعضه في أوَّل كتابنا [هذا] من الحيوان[2].

(نصوص من كليلة ودمنة)

ثم رجعنا إلى الإخبار عن الأمثال.

قال[3]: وأكيس الأقوام[4] مَن [لا] يلتمس الأمر[5] بالقتال ما وجد عن القِتال مذْهباً[6]؛ فإن القتال إنما النفقة فيه من الأنفس[7]، وسائر الأشياء إنما النَّفقة فيها من الأموال، فلا يكوننَّ[8] قتال البوم من رأيك، فإنّ من يُرَاكل الفيل يُرَاكل الحَيْن[9].

قال[10]: فأجابه الجرذ فقال: إنّه رُبَّ عداوةٍ باطنةٍ ظاهرُها صداقة[11]، وهي أشدُّ ضَرَراً من العداوة الظاهرة[12]، ومن لم يَحترسْ منها وقعَ موقِعَ الرَّجُلِ الذي يَركب نابَ الفيل المغْتَلِم ثمَّ يغلبُه النُّعاس.

قال[13]: واعلم أَنَّ كثيراً من العَدوّ لا يستطاع بالشدَّة والمكابرة[14] حتى يُصادَ بالرِّفق والملاينة، كما يصاد الفيل الوحشيُّ بالفيل الأهليّ[15].

وقال[16]: إنّ العُشب كما رأيتَ في اللِّينِ والضَّعف، وقد يُجْمَعُ[17] منه الكثيرُ فيصنع منه الحبلُ [القويُّ[18]] الذي يوثق به الفيل المغتلم.

---

(1) ل: «والغداف». والغداف: ضرب من الغربان.

(2) انظر لعداوة عصفور الشوك للحمار ما مضى (2: 31-5: 153).

(3) انظر ما سبق في ص 60، والنص التالي من باب البوم والغربان في كليلة ودمنة ص 150.

(4) فيما عدا ل: «القوم»، وما أثبت من ل يطابق ما في كليلة ودمنة.

(5) فيما عدا ل: «الأمن»، صوابه في ل وكليلة ودمنة.

(6) في كليلة ودمنة: «من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً».

(7) فيما عدا ل: «فإنما القتال النفقة فيه من الأنفس».

(8) فيما عدا ل: «يكون»، وما أثبت من ل يطابق كليلة ودمنة.

(9) المراكلة: مفاعلة من الركل، وهو الضرب بالرجل. ط، هـ: «يؤاكل» س وكليلة ودمنة: «يواكل» من الأكل. وفي نظم ابن الهبارية:

فإن من واكل فيلاً هائلاً ... فللبلاء والشقاء واكلاً

(10) انظر باب السنور والجرذ ص 234 من كليلة ودمنة.

(11) بعدها فيما عدا ل: «قال»، وهي كلمة مقحمة.

(12) ل: «وكليلة ودمنة: «أشد ضرا» ل: «من عداوة الظاهر».

(13) انظر ص 240 من «باب الملك والطير قبرة» في كليلة ودمنة.

(14) كذا في ل وكليلة ودمنة. وفي ط، ش: «والمكايدة»، هـ: «والمكابدة».

(15) في كليلة ودمنة: «بالفيل الداجن».

(16) انظر ص 255 من باب الأسد وابن آوي في كليلة ودمنة.

(17) فيما عدا ل: وكليلة ودمنة: يجتمع».

(18) هذه الكلمة من كليلة ودمنة.

[قال]: وقالوا: نريد أحبَّ بَنيك إليك[1]، وأكرمهم عليك، ونريد[2] كالَ الكاتبَ[3] صاحبَ سرِّك[4]، والسيف الذي لا يوجد مثله[5]، والفيلَ الأبيضَ الذي لا تلحقه الخيلُ [الذي] هو مَركبكَ في القتال، ونريد الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذَّكَر.

(الفيلة في الحروب)

وقد سمعنا في هذا الحديثِ والإخبار عن أيام القادسيَّة[6] ويوم جسر مِهْرَان[7]، وقُسِّ النَّاطف[8]، وجَلولاء، ويوم نَهاوند، بالفيل الأبقع، والفيل الأسود، والفيل الأبيض، والناس لم يَرَوْا بالعراق فِيلاً أوبَرَ، ولا فيلاً أشْعَرَ.

(الفيلة المستأنسة)

والفيلة التي كانت مع الفرس، حُكمُها حكمُ الفِيَلة التي كانت عند[9] أمير المؤمنين المنصور، وعند سائر الخلفاءِ [من بَعدِه]، وكلها جُردٌ مُغَضّبة[10]، ولم نلْقَ أحداً رآها وحشيَّةً قبل أن تصير في القُرَى والمواضع التي يذكرها[11].

---

(1) انظر ص 191 من باب إبلاد وإبراخت من كليلة ودمنة. ط: «يريبك» ش، هـ: «يربيك»، والوجه ما أثبت من ل. وفي كليلة ودمنة: «من تريدون؟ قلنا له: «إبراخت امرأتك وابنها جوبر، وابن أخيك، وإبلاد صاحب أمرك».

(2) ط: «ويريبك» ش، هـ: «يربيك»، صوابهما في ل.

(3) فيما عدا ل: «اكتب الكتاب» بدل «كال الكاتب». وانظر تعليق الدكتور عزام في حواشي كليلة ودمنة ص 297.

(4) في كليلة ودمنة: «كاتبك ولسانك».

(5) هذه العبارة ليست في كليلة ودمنة. وقد أحسن الجاحظ في تتبعه المواضع التي ذكر فيها الفيل في كتاب كليلة ودمنة.

(6) القادسية: بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال. وكان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب في سنة 16 من الهجرة. وكانت القادسية أربعة أيام: أولها أرماث والثاني يوم أغواث، والثالث عماس، والرابع القادسية. وكان الفتح للمسلمين، ولم يقم للفرس بعده قائمة. انظر ياقوت وكتب التاريخ في سنة 16، وفيما عدا ل: «يوم القادسية».

(7) مهران: نهر بالسند.

(8) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين في سنة13 في خلافة عمر بن الخطاب، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمرو الثقفي وكان النصر للفرس، ويعرف هذا اليوم أيضًا بيوم الجسر.

(9) فيما عدا ل: «مع».

(10) مغضبة، من التغضيب: وليس في المعاجم. وهو من الغضاب؛ وهو الجدري وكلمة «جرد» في ل فقط. ط، ش: «معصمة» هـ: «مغصمة».

(11) ط، هـ: «تنكرها» ش: «ينكرها»، صوابهما في ل.

(تبدل حال الحيوان إذا أخرج من موطنه)

وقد علمنا[1] أنّ الطائر الصَّيود من الجوارح، لو أقام في بلاده مائة عام لم يحدُثْ لمنسره[2] زوائد، وعَيْرَ العانة إذا أقام في غيرِ بلاده احتاجَ إلى الأخذ من حافره، و إلى أن يُخْتَلَف به إلى البَيطار[3]، والطائر الوحشيّ من هذه المغنِّيات والنوائح، لو أقام عندنا دهراً طويلاً لم يُصوِّتْ إذا أخذناه وقد كُرِّز[4]، وكذلك المزاوجة والتعشيش والتَّفريخ.

(التكاثر بالفيلة)

[قال]: وكلُّ مَلكٍ [كان] يصلُ إلى أن تكون عنده فِيَلة فإنّه[5] كان لا يَدَعُ الاستكثار منها والتجمل بها[6]، والتَّهويل بمكانها عنده، ولا يَدَعُ ركوبَها في الحروب، وفي الأعياد، وفي يوم الزِّينة.

(الفيل في الشعر)

و[قد] كانت عند حِمير والتبابعة والمقَاول والعباهلة[7] من ملوكهم، وأبي اليكسوم من ملوك الحبشة[8]، وعند ملوك سبأ، مقرَّبة مكرَّمة، يدلّ على ذلك الأشعارُ المعروفة، والأخبار الصحيحة، ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرِب[9] وملوك سَبأ وسَيلَ العرِم، فقال[10]:

فـفـي ذاك لـلـمـؤتـسـي أُسْـوَةٌ ومـأرِبُ عَـفَّـى عـلـيـهـا الـعَـرِمْ

---

(1) فيما عدا ل: «فقد».

(2) فيما عدا ل: «بمنسره».

(3) ط، ش: «إلى من يختلف به إلى البيطار».

(4) كرز الطائر، بالبناء للمجهول: إذا سقط ريشه. فيما عدا ل: «لو أقامت عندنا دهرًا طويلاً لم تصوت إذا اتخذناها وقد كبرت».

(5) فيما عدا ل: «الفيلة فإن»، محرف.

(6) ل: «الاستكبار منها» ط، هـ: «الإكثار منها»، وفيما عدا ل: «والتجمل منها».

(7) العباهلة: هم ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه. فيما عدا ل: «والعاهلة» تحريف.

(8) أبو اليكسوم: بتقديم الياء على الكاف، كنية أبرهة الملك الحبشي صاحب الفيل الذي وجه لهدم الكعبة. وفي السيرة ص 41 جوتنجن: «فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يكنى». وقال لبيد:

لـو كـان حـي فـي الـحـيـاة مـخـلـدًا فـي الـدهـر ألـفـاه أبـو يـكـسـوم

يعني أبرهة ط، ل: «والكيسوم» ش، هـ: «واليكسوم»، صوابهما «أبو اليكسوم» فإنه هو الذي يعنيه الجاحظ.

(9) فيما عدا ل: «وقال الأعشى لما ذكر حضر موت»، محرف.

(10) انظر الأبيات في ديوان الأعشى ص 345، والسيرة 9جوتنجن، ومعجم البلدان (مأرب).

رخَـامٌ بـنَـتْـه لـه حِـمْـيَـرٌ إذا جـاء مـاؤُهُـمُ لـم يَـرِمْ[1]
فـأروى الـحـروثَ وأعـنـابَـهـا عـلـى سـاعـة مـاؤهـم قـد قُـسِـمْ[2]
وطـار الـفُـيُـولُ وفَـيَّـالُـهـا بـتَـيْـهَـاءَ[3] فـيـهـا سَـرابٌ يَـطـمّ[4]

وكان الأقيِل[5] القينيّ مع الحجاج يقاتل ابنَ الزُّبير، فلما رأى البيتَ يُرْمَى بالمنجنيق أنشأ يقول:

ولـم أَرَ جَـيْـشـاً غُـرَّ بـالـحـجِّ قـبـلـنـا[6] ولـم أرَ جـيْـشـاً مِـثْـلَـنَـا كـلُّـهـم خـرسُ[7]
دَلَـفْـنَـا لِـبَـيْـتِ الـلّـهِ نَـرْمِـي سُـتُـورَه بـأحـجـارِنَـا نَـهْـبَ الـولائـد لـلـعُـرْسِ[8]
دَلَـفْـنَـا لـهـمْ يَـوْمَ الـثـلاثـاءِ مِـنْ مِـنًـى بـجـيـش كـصَـدْرِ الـفـيـلِ لـيـس لـه رأسُ[9]

فلما فزِعَ وعاذ بقبر مروان[10]، وكتبَ له عبدُ الملك كتابا إلى الحجَّاج يخبره فيه، وفوَّض الأمرَ إليه، قال[11]:

وقـد عـلـمـتُ لـوَ انَّ الْـعِـلْـمَ يَـنْـفَـعُـنـي أَنَّ انْـطِـلاَقِـي إلـى الـحـجَّـاج تـغـريـرُ
مُـسـتَـحْـقِـبـاً صُـحُـفـاً تَـدْمَـى طَـوَابـعُـهـا وفـي الـصَّـحـائِـفِ حَـيَّـاتٌ مَـنـاكـيـرُ
لـئـنْ رَحَـلـتُ إلـى الـحـجَّـاج مـعـتـذِراً إنِّـي لأَحْـمَـقُ مَـنْ تَـخْـدِي بـه الـعِـيـرُ[12]

(لسان الفيل)

وكلُّ حيوانٍ في الأرض ذو لسانٍ فأصْلُ لسانِه إلى داخل، وطرفه إلى خارج؛ إلاّ الفيل، فإنّ طَرَف لسانه إلى داخل، وأصله إلى خارج.

(1) لم يرم: لم يبرح. ط، هـ: «رجام» صوابه في ل: س والسيرة والديوان والمعجم. فيما عدا ل: «بنته لنا»، وفي السيرة والمعجم والديوان: «لهم».
(2) فيما عدا ل: «فأردى الحروث وأعيانهم»، محرف. وفي الديوان والسيرة: «على سعة ماؤهم».
(3) التيهاء: المفازة. ط، ش: «بتيماء» هـ: «بينما»، صوابهما في ل. وفي الديوان والمعجم: «بيهماء».
(4) طم السراب: ارتفع وعلا كما يرتفع الماء.
(5) سبقت ترجمته في (4: 146). فيما عدا ل: «وكان العتبى»، تحريف.
(6) فيما عدا ل: «بالحج مثلنا».
(7) العرس، بالضم وبضمتين: طعام الوليمة في الزواج. ل: «في العرس» هـ: «للموس» وهذه محرفة، وفي هذا البيت إقواء.
(8) فيما عدا ل: «دلفناهم»، محرفة.
(9) فيما عدا ل: «فلما فرغ وعاد تغيب مروان»، صوابه في ل والمؤتلف 23.
(10) في المؤتلف 24: «فامنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له وجعله في ذمته». فلعل للوجه: «ويجيره فيه».
(11) فيما عدا ل: «فقال».
(12) فيما عدا ل: «تجري»، وفي المؤتلف والحيوان (4: 146): «تحدي».

(بعض خصائص الحيوان)

وتقول الهند: إنّ لسان الفيل مقلوب، ولولا أنّه مقلوب ثمَّ لقن الكلامَ لتكلم[1].

وكلُّ سمكٍ يكون في الماء العذْب فإنّ له لساناً ودِماغاً، إلاّ ما كان منها في [الماء] الملح، فإنّه ليس لسمك البحر لسانٌ ولا دِماغ.

وكلُّ شيءٍ يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنّه إنما يحرِّك فكه الأسفلَ، إلاّ التمساح فإنَّه إنّما يحرِّك فكّه الأعلى.

وكلُّ ذي عينٍ من ذوات الأربع من السِّباع[2] والبهائم الوحشية والأهلية، فإنما الأشفار لجفونها الأعالي إلاّ الإنسان، فإنّ الأشفار للأعالي والأسافل.

وكلُّ حيوانٍ ذي صَدْرٍ فإنَّه ضيِّق الصَّدْر، إلاّ الإنسانَ فإنّه واسعُ الصَّدْر وليس لشيء من ذكورةِ جميع الحيوان [وإناثها] ثديٌ في صدره إلا الإنسان والفيل[3]، وقال ابن مُقبل:

ولـيـلـةٍ مـثـل ظَـهْـرِ الـفِـيـل غُـبَّـرَهـا طَـلْـسُ الـنُّـجُـوم إذا اغـبـرَّ الـديـاميـمُ[4]

(ضخم الفيل وظرفه)

والفيل أضخم الحيوان[5] وهو مع ضِخَمه أملَحُ وأظْرَف وأحْكَى[6] وهو يفوق في ذلك كلَّ خفيفِ الجسم، رشيق الطبيعة.

وإنّما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقِرد والدُّبّ والشّاة المكّيّة[7]، وليس عند البَبْغاء إلاّ حكايةُ صورِ الأصوات، فصار مع غِلظه [وضِخَمه] وفخامته أرشقَ مَذهباً[8]، وأدقَّ ظرفاً، وأظهَرَ طرَباً، وهذا[9] من أعجب العَجَب، وما ظنُّكم بِعِظَم خَلْقٍ ربّما كان في نَابَيْهِ[10] أكثر من ثلاثمائة مَنّ[11].

---

(1) فيما عدا ل: «تكلم».

(2) فيما عدا ل: «والسباع».

(3) فيما عدا ل: «وليس شيء من ذكور الحيوان له ثدي في صدره إلا الإنسان والفيل».

(4) غبرها، بضم أوله وتشديد الباء، أي بقيتها؛ وغير كل شيء: بقيته. وفي الأصل: «غيرها» محرفة. طلس الجوم، أي نجومها طلس، والطلسة، غبرة إلى سواد.

(5) ط، هـ: «حيوان».

(6) أي أكثر حكاية. وفيما عدا ل: «وأخطر»، محرفة.

(7) انظر ما سبق في (2: 102/ 5: 194/ 6: 201).

(8) فيما عدا ل: «ذهبًا».

(9) فيما عدا ل: «فهذا».

(10) فيما عدا ل: «نابه»، تحريف. وانظر ما سيأتي في ص 75.

(11) المن، ويقال أيضًا المنا: بالفتح والقصر: رطلان.

(أعظم الحيوان في قول المتعصبين على الفيل)

فقال من يعارضهُم[1]: قد أجمعوا على أنّ أعظمَ الحيوان خَلْقاً السمكةُ والسرَطان، وحكَوْا عن عِظَم بعض الحيَّات، حتى ألحقوه[2] بهما، وأكثروا في [تعظيم] شأن التّنّين؛ فليس لكم أنْ تَدَّعُوا للفِيل ما ادّعيتم.

(رد صاحب الفيل على خصمه)

قال صاحبُ الهند والمعبِّرُ عن خصال الفيل: [أمَّا الفيل] وعلوّ سَمْكه، وعِظم جُفْرته، واتِّساع صَهْوَته، وطولُ خُرطومه، وسعَةُ أذنه، وكِبر غُرموله، مع خِفّة وطئه[3]، وطول عُمره، وثقل حمله، وقلة اكتراثهِ لِما وُضع على ظهره، فقد عايَنَ ذلك من الجماعات مَن لا يستطيعُ الردَّ عليها إلاّ جاهلٌ أو مُعاند، وأمَّا ما ادّعيتم من عِظَم الحيَّة وأنّا[4] متى مسَحْنا طولَها وثخنها، وأخذْنا وَزْنَها كانت أكثرَ[5] من الفيل، فإنّا لم نَسْمَعْ هذا إلا في أحاديث الرقّائين، و[أكاذيب] الحوّائين، وتزيُّد البحريِّين.

وأما التنِّين فإنّما سبيلُ الإيمان به[6] سبيلُ الإيمان بِعَنْقَاءِ مُغْرِب، وما رأيتُ مجلِساً قطُّ جَرَى فيه ذكر التنِّين إلاَّ وهم ينكرونه[7] ويكذِّبون المُخبِر عنه، إلاّ أنا في الفَرْط ربَّما رأينا بعضَ الشاميِّين يزعمُ أنَّ التِّنِّين إعصارٌ فيه نار يخرج من قِبَل البحر في بعض الزَّمان، فلا يمرُّ بشيءٍ إلاَّ أحرَقه، فسمَّى ذلك ناسٌ «التِّنّين»، ثمَّ جعَلوه في صورة حيّة.

وأما السَّرَطان فلم نرَ أحداً قط ذكرَ أنَّه عايَنَه، فإنْ كنَّا إلى قول بعض البحريِّين نرجع، فقد زَعَم هؤلاء أنَّهم ربما قَرُبوا إلى بعض جزائر البحر[8]، وفيها الغِياض والأَودية واللَّخاقيق[9]، وأنَّهمْ في بعض ذلك أوقدُوا ناراً عظيمة، فلما وصلَتْ إلى ظهر السرطان هَاجَ بهم[10] وبكلِّ ما عليه من النَّبات، حتَّى لم ينْجُ منهم إلا الشريد.

وهذا الحديثُ قد طمَّ على الخرافات والتُّرَّهات[11] وحديث الخَلْوَة[12].

---

(1) ط فقط: «يعارضه».
(2) فيما عدا ل: «وقد ألحقوه».
(3) فيما عدا ل: «مع خفته وطيشه»، تحريف.
(4) فيما عدا ل: «فإنه»، محرفة.
(5) فيما عدا ل: «أكبر».
(6) فيما عدا ل: «فيه».
(7) فيما عدا ل: «خبر التنتين إلا وهم ينكرون».
(8) ل: «بعض الجزائر».
(9) اللخاقيق: جمع لخقوق، بالضم، وهو الشق والخد في الأرض، ومثله الأخقوق، بالضم. ولم يعرفه الأصمعي إلا باللام. ل: «الأخاقيق»، وفيما عدا ل: «اللحاقيق»، صوابهما ما أثبت وما نبهت عليه.
(10) فيما عدا ل: «ساح بهم».
(11) الترهات: الأباطيل، فيما عدا ل: «التهورات».
(12) ل: «الخلق».

وأمّا السَّمك فلعمري إنَّ السمكة التي يقال لها «البالُ» لفاحشة العظم[1]، وقد عاينوا[2] ذلك عياناً، وقتلوه يقيناً، ولكن أحسِبوا[3] أنَّ الشَّأن في البال[4] على ما ذكرتم، فهل علمتم[5] أن فيه[6] من الحسِّ والمعرفة، واللّقَن والحكاية، والطَّرَبِ[7] وحسن المَواتاة[8] وشدَّة القتال، والتمهُّد[9] تحتَ الملوك، وغير ذلك من الخصال، كما وجدنا ذلك وأكثر منه[10] في الفيل.

وهل رغبتْ في صيده الملوكُ واحتالت له التجار[11]، أو تمنَّى الظّفَرَ بأجزائه[12] بعض الأطبَّاء، وهل يَصلح لدواءٍ أو غذاءٍ أو لبْس[13]، إنّما غاية البحريِّين أنْ يسلَمُوا من عبثه إن هجموا عليه نائماً أو غافلاً، حتّى ينفر ويفزع وينبّه[14] بقَرْع العصا، واصطكاك الخشب.

وإنما قَدَّمْنا خصالَ الفيل على خِصال الحيوان الذي في كفِّه ومنقاره الصنعةُ العجيبة، أو يَكون فيه من طريف[15] المعرفة، وغريب الحس، وثقوب البصر[16]، أو بعض ما فيه من الجمال والحُسْن، ومن التفاريج ومن التَّحاسين، والوشي والتلاوين[17]، بالتأليف العجيب، والتَّنضيد الغريب، أو بعض ما في حنجرته[18] من الأصوات الملحَّنة، والمخارج الموزونة، والأغاني الدَّاخلة في الإيقاع، الخارجة من سبيل الخطأ، ممَّا يجمع الطَّرَب والشّجا، ومما يفوق النوائح ويروق كلَّ مغنّ، حتى يُضرب بحسن تخريجه [وصفاء صوتِه] وشجَا مخرَجه المثلُ، حتى[19] يشبَّه به صوتُ المزمار والوَتر.

وأما [بعض] ما يُعرف بالمكر والحِيَل، والكَيْس والرَّوغان، وبالفِطنة وبالخديعة، والرِّفق والتكسُّب، والعلم بما يُعِيشُه[20] والحذَرِ ممّا يُعْطِبُه[21]، وتأتِّيه لذلك وحِذقه [به]؛ وأمّا بعضُ ما يكون في طريق الثِّقافة يوم الثِّقافة[22] [والبصر] بالمشاولة[23]، والصَّبر على المطاولة، والعزم[24] والرَّوغان، والكرِّ والجَوَلان، ووضْع تلك التدابير في مواضعها[25] حتى

---

(1) فيما عدا ل: «الفاحشة»، وفي ط: «البالسة»، ش، هـ: «البالينة»، تحريف.
(2) فيما عدا ل: «علينا» محرفة. وفي ط: «فقد».
(3) ط فقط: «احسب».
(4) ط: «البالة» هـ، ش: «البالينة» صوابهما في ل.
(5) ط: «عرفتم».
(6) فيما عدا ل: «فيها».
(7) فيما عدا ل: «والظرف».
(8) ط، هـ: «المؤاتاة» بالهمز.
(9) فيما عدا ل: «والتصمد»، محرفة.
(10) فيما عدا ل: «منه»، تحريف.
(11) فيما عدا ل: «صيدها» و«لها».
(12) فيما عدا ل: «أو حث على الظفر بأجزائها».
(13) فيما عدا ل: «أو ليس».
(14) فيما عدا ل: «من عينها نائمة أو غافلة حتى تفزع وتنفر».
(15) في الأصل: «من طوف».
(16) ش، هـ: «نكوب» محرفة. ط: «نقوذ»، وأثبت ما في ل.
(17) فيما عدا ل: «والتساوي».
(18) ط، هـ: «وما في خلقه»، صواب هذه: «حلقه». ش: «صوته» محرفة. وأثبت ما في ل.
(19) ط فقط: «وحتى».
(20) فيما عدا ل: «يعنيه».
(21) فيما عدا ل: «والحذر بالمشاولة والصبر على المطاولة مما يعطيه»، وفيه إقحام وتحريف.
(22) ل: «الثقاف».
(23) المشاولة: «المطاعنة بالرماح».
(24) فيما عدا ل: «والقدم»، محرف.
(25) ط، هـ: «موضعها» ط، هـ: «حيث»، ش: «بحيث».

لا تردُّ له طعنة ولا تخطئ له وثْبة، وأما بعضُ ما يُعرَف بالنَّظر في العاقبة[1] وبإحكام شأن المعيشة[2] والأخذ لنفسه [بالثقة]، وبالتقدُّم في حال المُهْلة والادِّخار ليوم الحاجة، والأجناسُ التي تدَّخر لأنفسها ليوم العجْز عن الطلب والتكسُّب ـ فَمِثْلُ الذَّرَّة، والنملة، والجُرَذ والفأرة، وكنحو العنكبوت والنَّحل.

فإذا كان ليس للفيل إلا عِظَمه وإن كان العِظَم قد يدخل في باب من أبواب المفاخرة، فلا ينبغي لأحد أن يُنَاهِد[3] به الأبدانَ التي لها الخصال الشّريفة، ويناضلَ به ذواتِ المفاخر العظيمة، فما ظنُّكَ ببدنٍ قد جمع مع العِظَم من الخصال [الشريفة] ما يُغني الطَّواميرَ الكثيرة، ويستغرق الأَجلاد[4] الواسعة، وقد علمت أنَّ مِنْ[5] جَهْلِ هذه السمكة بما يُعِيشُها ويُصْلِحُها أنَّها شديدةُ الطّلب والشَّهوة لأكل العَنبر، والعنبرُ أقتَلُ للبال من الدِّفلَى للدوابّ، فإذا أصابوه ميِّتاً استخرجوا من جَوفه عنبراً كثيراً فاسداً.

وما فيه من النفْع إلاّ أنّ دهنَه يصْلُح لتمرينِ سُفن البحريين[6].

(تعصب غانم الهندي على الفيل)

فسمِعنِي[7] غانمٌ العبد يوماً وأنا أحكِي هذا الكلامَ، وكان منْ أَمْوَق الناس وأرْقَعهم رَقاعةً، مع تِيهٍ شَدِيدٍ وعُجْب ورِضاً عن نفسه، وسُخط على النَّاس، فمِن حُمْقه أنه هنديٌّ وهو يتعصَّب على الفيل، فقال [لي]: ما تقول الهند في الحوت الذي يحمل الأرض، أليس أعمَّ نفعاً وأعْلَى أمراً؟ قلت له: يا هالكُ، إنَّ مدارَ هذا الكلام إنما يقع على الأقسام الأربعة من بين جميع الحيوان المذكورة في الماء وفي الأرض وفي الهواء، كالذي ينساح من أجناس[8] الحيَّات والدِّيدان، وكالذي يمشي من الدوابّ والنَّاس، وكالذي يَطير مِن أحرار الطير وبغاثها وخَشاشها وهَمَجها، وكالذي يعوم كالسَّمك وكلِّ ما يعايش السمك.

فأمَّا الحوت الذي تكون الأرض على ظهره[9] فقد علمْنا أَنَّ في الملائكة مَن هو أعظمُ من هذا الحوت مراراً، ولولا مكانُ مَن قد حَضَرَنا لكان ممن لا يستأهِلُ الجواب[10]، وهذا مقدارُ معرفته.

---

(1) فيما عدا ل: «والعاقبة»، تحريف.
(2) فيما عدا ل: «شأن الحال والمعيشة».
(3) المناهدة: المناهضة. وفي الأصل: «يشاهد»، محرفة.
(4) فيما عدا ل: «الجلود».
(5) ل، ط: «من أن»، صوابه في ش، هـ.
(6) ل: «البحر».
(7) فيما عدا ل: «فرآني».
(8) فيما عدا ل: «من جميع».
(9) فيما عدا ل: «يكون على وجه الأرض»، محرف.
(10) ط، ش: «يتساهل» هـ: «يساهل»، صوابهما في ل. وفي ط، هـ: «بالجواب» محرف.

(قوة الفيل)

قالوا: والفيل أقوى مِن جميع الحيوان إنْ حُمِّل الأثْقال[1]، ومن قوة عظْمه وعصَبِه[2] أنّه يمرُّ خلفَ القاعد مع عِظَم بَدَنه، فلا يشعر بوطئه، ولايُحسُّ بمَرِّه[3] لاحتمال بعض بدَنه لبعض، وهذه أعجوبةٌ أخرى.

(طول مدة حمل الفيلة)

وليس في حوامل إناث الحيوان أطولُ مدَّة حبَل[4] من الفيل، والكركَدَّن، فإنه مذكورٌ في هذا الباب، والفيلُ يزيد عليه في قول بعضهم[5].

فأمَّا الهِنْدُ ففتنتُهم بالكركدَّن أشدُّ مِن فِتنتهم بالفيل.

فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولُها حملاً الحافر والخفّ، ولا يزيدان على السّنَة إلا أن تُسحَب الأنثى وتُجرَّ[6] أيّاماً، فأمَّا الظِّلف فعلى ضربين، فما كان منها من البقر فإنّ مدَّة حَمْلها وحمل النساء[7] تسعة أشهر، وما كان من الغنم فإنّ حملها خمسةُ أشهر.

وقد ذكرنا [حال] أجناس الحيوان في ذلك فيما سلف من كتابنا هذا.

(صولة الفيل)

قالوا: والفيلة هَوْلُها في العين، فاحْذَر أنْ تتخذ ظهورها[8] كالمناظر والمسالح والأرصاد.

وللفيل قتالٌ وضرب [بخرطومه]، وخَبْطٌ بقوائمه، وكانت الأكاسرة ربما قتلت الرَّجلَ بوَطْءِ الفيلة، وكانت قد درّبت على ذلك وعُلِّمَتْه، فإذا أَلقوا[9] إليها الرّجل تركت العلَف وقصدَتْ نحوه فداسَتْه، ولذلك أنشد العباس[10] بن يعقوب العامريّ، لناهِض بن ثومة[11] العامري قوله:

أنا الشَّاعرُ الخطَّارُ مِن دون عامرٍ وذو الضَّغْم إذْ بعضُ المحامِين ناهشُ[12]

(1) ط: «في حمل الأثقال».
(2) فيما عدا ل: «وعظمه»، محرف.
(3) ش، هـ: «سيره» ط: «بسيره».
(4) فيما عدا ل: «حمل».
(5) فيما عدا ل: «في بعض قوته».
(6) فيما عدا ل: «وتزيد».
(7) فيما عدا ل: «السمكة».
(8) فيما عدا ل: «واحد وإن فتحت ظهورها»، لكن في ش: «وإن قبحت».
(9) فيما عدا ل: «ألقى».
(10) فيما عدا ل: «أبو العباس».
(11) ل: «نومة»، فيما عدا ل: «بوصة»: صوابه ما أثبت من القاموس (مادة نهض).
(12) ل: «المحابين نهس»، محرف.

بخبطٍ كخَبْط الفيلِ حتى تركته أَمِيماً به مُسْتَدْمِياتٌ مَقارشُ[1]

وأنشد الأصمعي وأبو عمرو لتميم بن مقبل[2]:

بني عامرٍ ما تأمُرُون بشاعر تَخَيَّرَ آياتِ الكتاب هِجائيا[3]
أأعفُو كما يعفُو الكريمُ فإنّني أرَى الشَّعب فيما بيننا متدانِيا
أَمَ اخْبِطُ خبْطَ الفيل هامةَ رَأسِه بِجَرْدٍ فلا أُبقي مِن الرأس باقيا[4]

(بعض من رمي تحت أرجل الفيلة)

وكانت الأكاسرة ـ وهي الكُسُور[5] ـ تؤدِّبها وتعوِّدها وطْءَ الناس وخَبْطهم إذا أُلقِيَ تحت قوائمها بعض أهلِ الجنايات، فكان ممنْ رُمِيَ به تحتَ أرجل الفِيَلة النُّعمان بن المنذر، وقال في ذلك الشاعر:

إنّ ذا التّاجِ لا أبا لَكَ أضْحَى وَذرَى بَيْتِهِ بِجَوْزِ الفُيُولِ[6]
إنّ كِسْرَى عَدَا على الملك النُّعْـ ـمَانِ حَتَّى سقاه أمَّ البَلِيلِ[7]

(كتاب ملك الصين)

وذكر الهيثم بن عديٍّ، عن أبي يعقوب الثَّقفيّ، عن عبد الملك بن عمير قال: رأيت في ديوان معاوية [بعد موته] كتاباً مِنْ ملك الصين [فيه: «من ملك الصِّين] الذي على مَرْبِطه ألفُ فيل، وبُنيت دارُه بلبِن الذهب والفضة، والذي تخدمه بناتُ ألفِ ملكٍ، والذي له نهرانِ يسقيان الأُلُوّة[8]، إلى معاوية».

قالوا: ولمَّا أراد كِسرى قتلَ زيوشت[9] المغنِّي، لقتله فهلبذ[10] المغني، وأمر أن يرمى [به] تحت الفيلة و[قال: قتلتَ أحسنَ النّاس غِنَاءً، وأجودَهم إمتاعاً للملِك؛ حسداً له، فلمّا

(1) الأميم: الذي بلغت طعنته أم الدماغ. ل: «مستدميان مفارس»، تحريف. وفيما عدا ل: «مفارش» صوابه بالقاف كما أثبت، يقال أقرشت الشجة فهي مقرشة إذا صدعت العظم ولم تهشم.
(2) فيما عدا ل: «وأبو محمد لتميل بن مقبل»، تحريف. والأبيات في العمدة (2: 136).
(3) ط: «يحبر بآيات» ش: «يحير بآيات» هـ: «يخير بآيات»، صوابه في ل والعمدة. وفي اللسان (بوب): «تخير بابات». وفسر البابات بأنها السطور.
(4) الجرد: أخذ الشيء عن الشيء عسفًا وجرفًا. وفي ش: «بحرد» والحرد: «الغضب». وفي العمدة: «بمبرد رومي يقط النواحيا» فيما عدا ل: «من الريش»، محرف.
(5) الكسور: جمع كسرى، كما سبق في(4: 223).
(6) ل: «نحور الفيول».
(7) أم البليل، من كنى الداهية، كما في مقاييس اللغة لابن فارس (1: 26).
(8) الألوة: العود الذي يتبخر به. أراد يسقيان منابته. ط: «ينشفان اللؤلؤ» هـ، ش: «ينشعان اللؤلؤ»، صوابهما في ل.
(9) فيما عدا ل: «روشك» في جميع المواضع.
(10) ط، هـ: «فلهوذ» ش: «فلهيد»، وأثبت ما في ل.

سحبوه نحوالفيلة التفت إلى كسرى وقال: إذا قتلتُ زيوشت المُغني، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يُطربك[1]؟ فقال كسرى: المدة التي بقيت لك [هي[2]] التي أنطقَتْكَ، خلُّوا سبيله.

(تأديب الهند الفيلة)

وقال صفوان بن صفوان الأنصاريّ، وكان عند داود بن يزيد بالمولتان[3]: الهند تؤدّب الفيلة بأنواع[4] من التّأديب، وبضروب من التقويم، فمنها آدابُ الحروب[5]، حتى ربَّما رَبَطُوا السَّيف [الهُذَام[6]] الرَّغيب، الشَّديد المتن، الحديد الغَرْب، التّام الطول[7]، الطَّويل السِّيلان[8]، في طرف خُرطوم الفيل، وعلموه[9] كيف يضرب به قُدُماً، يميناً وشمالاً[10]، وكيف يرفعُه بخرطومه حتى يكونَ فوقَ رؤوس الفَيَّالين القعودِ على ظهره.

(شعر هارون في الفيل)

قال: وأنشدني هارون بن فلان[11] المولى، مولى الأزد، قصيدته التي ذكر فيها خروجَه في الحرب إلى فيلٍ في هذه الصفة، فمشَى إليه، فلما كان حيثُ يناله السَّيفُ وثَبَ وَثْبَةً أعجَلَه بها عن الضَّربة، ولصق[12] بصدْر الفيل، وتعلّق بأُصول نابَيه ـ وهما عندهم[13] قرناه ـ فجال به الفيلُ جوْلة كاد يحطِمُه مِن شدَّة ما جال به، وكان رجلاً شدِيد الخَلْق، رابط الجأش، قال: فاعتمدتُ وأنا في تلك الحال ـ وأصولُ الأنياب جُوف ـ فانقلعا من أصلِهما، وأدبَرَ الفيلُ، وصار القرنان في يَدَيَّ، وكانت الهزيمة وغَنِم المسلمون غنائمَ كثيرة، وقلت في ذلك:

مشيتُ إليه وادعاً متمهِّلا ... وقد وصَلُوا خُرطومَه بحُسَام
فقلتُ لِنفسي: إنّه الفيلُ ضاربٌ ... بأبيضَ مِن ماءِ الحديد هُذَام[14]
فإنْ تَنْكلي عنْه فعذْرُكِ واضحٌ ... لَدَى كلِّ منخُوب الفُؤَادِ عَبامَ[15]
وعندَ شُجاع القومِ أكلفُ فاحمٌ ... كظُلمة لَيْلٍ جُلِّلت بقَتامَ[16]

(1) ل: «مطربك».
(2) هذه من ل، هـ.
(3) فيما عدا ل: «المرزبان» والمولتان: بلد بالهند.
(4) ل: «بأشكال».
(5) فيما عدا ل: «ويدربونهم على أنواع آداب الحروب».
(6) الهذام، كغراب: القاطع. فيما عدا ل: «اللهذم». واللهذم، بالفتح: الحاد
(7) فيما عدا ل: «الصقل».
(8) سيلان السيف: ما يدخل في نصابه.
(9) فيما عدا ل: «وعلمن».
(10) فيما عدا ل «قداما ويمينًا وشمالاً».
(11) كذا، وفي نهاية الأرب (9: 304): «هارون بن موسى».
(12) ل: «ولزق».
(13) فيما عدا ل: «عنده».
(14) الهذام: القاطع، كما سبق في التنبيه السادس.
(15) العبام، بالفتح: العيي الأحمق.
(16) ل: «خللت بقتام».

فناهَشْتُه حَتى لَصِقتُ بصدْره ... فلما هوى لازمت أيَّ لِزام[1]
وَعذْتُ بِقَرْنَيْهِ أُرِيدُ لَبَانَهُ ... وذلك مِن عاداتِ كلِّ محامِي[2]
فجَال وهِجِّيراهُ صوتُ مُخَضْرَمٍ ... وَأُبْتُ بقَرْنَيْ يَذبُلٍ وشَمام[3]

وقال هارون:

ولمَّا أتاني أنّهُم يَعقِدُونه ... بقائم سَيفٍ فاضِل الطُّول والعَرض[4]
مَرَرتُ ولم أحْفِلْ بذلك منهمُ ... إذا كانَ أنفُ الفيلِ في عَفَر الأرض[5]
وحين رأيتُ السَّيفَ يَهْتَزُّ قائِماً ... ويَلمَعُ لَمْعَ الصُّبْح بالبَلَدِ المفْضِي[6]
وصارَ كمِخراقٍ بِكَفِّ حَزَوَّرٍ ... يُصَرِّفه في الرَّفْع طوراً وفي الخَفْض[7]
فأقبلَ يَفْري كلَّ شيءٍ سَما لَهُ ... وصرتُ كأَنِّي فَوقَ مَزْلَقَةٍ دَحْض[8]
وأهوىٰ لجارِي فاغتنمْتُ ذُهولهُ ... فلاذَ بقرنيه أخو ثقةٍ محضُ[9]
فجال وجَالَ القَرْن في كفِّ ماجِدٍ ... كثيرِ مِراسِ الحرب مجتنبِ الخفْضِ[10]
فطاحَ وَوَلّى هارباً لا يَهيده ... رطانةُ هِنديٍّ برفعٍ ولا خفضِ[11]

(نابا الفيل)

والهندُ تزعمُ أنّ نابَي الفِيل يخرجان مستبطِنين حتى يخرِقا الحنك ويخرجا أعقَفين، وإنما يجعَلهما نابين مَن لا يفهمُ الأمور، قالوا: والدَّليل على ذلك أنّ لهما أصلين في [موضع] مخارج القرون، يُوجَد ذلك عند سَلْخ جلده، ولأنّ القرن لا يكون [إلاّ مصْمت الأعلى مجوَّف الأسفل وكذلك صفةُ هذا الذي يسمِّيه مَن لا علم له] نابا، ومع ذلك إنّا لا

(1) فيما عدا ل: «فما هو أن لازمت»، محرف.
(2) عذت: لجأت. وفي الأصل: «فعدت» بالعين المهملة. والقرنان، عنى بهما نابيه، كما تقدم الكلام عليه قبل الشعر. فيما عدا ل: «لبانة» وإنما هي «لبانه» بمعنى صدره.
(3) فيما عدا ل: «فحال». والمخضرم: المقطوع نصف أذنه. ويذبل وشمام: جبلان. وفيما عدا ل: «بشام محرفة».
(4) ط، ش: «يعتدونه»، هـ: «يفتدونه»، صوابهما في ل.
(5) ل: «سررت» بدل «مررت».
(6) يقال مكان فاض ومفض، أي واسع، فيما عدا ل: «لمع البرق بالبلد الغض» محرف.
(7) المخراق: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به، أو يلف فيفزع به. والحزور: الغلام الذي قد شب وقوي.
(8) ط فقط: «وأقبل سفري» محرف. وسما: ارتفع وشخص. ط، هـ: «شماله»، صوابه في ل، ش.
(9) ط، ش: «وأهوى نجاتي»، هـ: «بحالي»، صوابهما في ل. وفي ط، هـ: «ولم يقترب عنه» ش: «منه» وفي ل: «فلذ بقرينه» وأثبت ما في ل مصححًا، وفي البيت إقواء.
(10) ش، هـ: «وحال القرن». وفي ل: «مراس الكف».
(11) لا يهيده: لا تزعجه ولا يكترث لها. فيما عدا ل: «لا تهيده».

نجد الفيل يعضّ كعضِّ الأسد للأكل[1]، ولا كعضِّ الجمل الصَّؤُول للقتل[2]، ولا كعضِّ الأفعى لإخراج السمّ، ولا تراه يصنع به ويستعمله إلاّ [على شبيهٍ] بما تستعمله ذوات القرن[3] عند القِتال والغضب.

فقال لهم بعضُ من يردُّ عليهم: أمَّا قولكم إنّ القرنَ لا يكون إلاّ مجوَّفَ الأصل، فهذا قرنُ الأيِّل مُصمَت من أوَّله إلى آخره، وهو ينصل[4] في كلِّ سنة، فإذا نبتَ حديثاً لم يظهَرْ حتى يستحكِم في يُبسه وصَلابته، وإذا علم أنه قد بلغ [ذلك] ظهَرَ، وأكثرُ القُرُونِ الجُوفِ يكون في أجوافها قرونٌ، وليس ذلك لقرن الفِيل[5].

قالوا: ولم نجد هذا القرنَ في لون القُرون، ووجدناه بسائر أسنانه[6] وأضراسه أشبهَ، للبياض واليبس[7]، وليس كذلك صفةُ القرون.

وتقول الهند[8]: فم الأيِّل صغير، وهو أفقَم، ولا يجوز أن يكون مثلُ ذلك اللَّحي والفكِّ ينبُتُ فيه ومنه نابان يكون فيهما ثلاثمائة مَنّ، وقد رأيتُ قروناً كثيرة الأجناس، بِيضاً، وبُرْشاً، وصُهْباً[9]، وهذه أيضاً من أعاجيب الفيل[10].

وقرن الكركَدَّن أغلظُ من مقدار ذراع، وليس طولُه على قدر غِلَظه[11]، وهو أصلب وأكرم مِن قرني الفيل.

(أعضاء التناسل لدى الحيوان)

ويقال: [إنّ] أكبر أُيور الحيوان أيْر الفيل[12]، وأصغَرَها قضيبُ الظبي، وقضيب البطّ لا يذكر مع هذه الأشكال[13]، وليس شيءٌ على قَدْره ومقدار جسمه أعظمُ أيراً من البغل[14].

وقد علمنا[15] أنّ للضب أيرَين، وكذلك الحِرذَون والسَّقَنْقُور[16]، وعرفنا[17] مقدارَ ذلك، ولكنَّه لا يدخل في هذا الباب [لضَعفٍ لا يخفَى].

(1) فيما عدا ل: «الأكول».
(2) فيما عدا ل: «للعمل».
(3) فيما عدا ل: «كما يستعمله ذو القرن».
(4) ينصل: يسقط. فيما عدا ل: «بتنقل»، محرفة.
(5) فيما عدا ل: «كقرن الفيل».
(6) فيما عدا ل: «لسائر أسنانه».
(7) فيما عدا ل: «والسمرة»، محرف.
(8) فيما عدا ل: «ووجدناه يقول».
(9) ط، ش: «بيضاء وبرشاء وصهباء».
(10) فيما عدا ل: «عجائب الفيل».
(11) فيما عدا ل: «إلا على قدر غلظه»، تحريف.
(12) فيما عدا ل: «قرن الفيل». وانظر كتاب البغال ص 321.
(13) فيما عدا ل: «الأشياء». وانظر كتاب البغال.
(14) فيما عدا ل: «الفيل» تحريف.
(15) فيما عدا ل: «علمت».
(16) بعدها في ل: «نظير الحمار»، وهي كلمة مقحمة.
(17) ط، هـ: «وقد عرفنا».

(خرطوم الفيل)

ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلاّ خرطومُه الذي هو أنفه وهو يدُه، وبه يوصِل الطعامَ والشَّرَابَ إلى جوفه، وهو شيءٌ بَيْنَ[1] الغُضروف [واللحم] والعصبِ، وبه يقاتِل ويضرِب، ومنه يصيح، وليس صياحُه في مقدارِ جرْم بدنه، ويضرِبُ به الأرضَ ويرفعِه في السَّماء ويصرِّفه كيف شاء، وهو مَقتلٌ من مقاتله، والهند تربِط في طرَفه سيفاً شديدَ المتْن فيقاتِلُ به، مع ما في ذلك من التهويل على من عايَنه[2].

(سباحة الفيل والجاموس والبعير)

وهو مع عِظم بدَنه جيِّد السِّباحة إلاّ أنه يخرج خرطومه ويرفعُه في الهواء صُعُداً[3] لأنّه أنفه، ألا ترى أنّ الجاموسَ يغيب جميعُ بدنِه في الماء إلاّ منخريه.

والبعير قبيح السِّباحة: لأنه لا يسبح إلاَّ على جنبه[4] فهو في ذلك بطيءٌ ثقيل، والبعير [مما] يُعايَر بينه وبين الفيل[5]، فلذلك ذكرناه.

(ما يغرق من الحيوان)

وقد علمنا أنَّ الإنسان يغرق في الماءِ ما لم يتعلَّم السِّباحة، فأمّا الفَرس الأعسرُ والقِرد فإنَّهما يغرقان ألبتَّة، والعقرب تقُومُ[6] وسطَ الماءِ لا طافيةً ولا لازقة بالأرض[7].

(أشراف السباع وساداتها)

وأشراف السِّباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة: الكَرْكدَّن والفِيل والجاموس، قال: ولعلَّ بعضَ مَن اعتاد الاعتراض[8] على الكتب يقول: وأينَ الخيل والإبل، وفيها من خصال الشَّرَف والمنافع والغَناء في السَّفر والحَضَر، وفي الحرْب والسّلم، وفي الزِّينة والبهاء، وفي العُدَّة والعتاد، ما ليس عند الكركدَّنِ ولا عندَ الفيل ولا عند الجاموس.

---

(1) فيما عدا ل: «من»، تحريف.

(2) فيما عدا ل: «من التهويل على العدو».

(3) ل، ش: «صعداء»، تحريف.

(4) ل: «لأنه يسبح على جنبه» والعبارتان بمعنى. وفي ش، هـ: «لا يسبح على جنبه»، وهذه محرفة.

(5) يعاير بينهما، أي يقابل ويوازن. وفي ل: «يغاير». والمغايرة المعاوضة في البيت والمبادلة وليست مرادة. وفيما عدا ل: «يخاير». وانظر ما سبق في 2: 84.

(6) ط، هـ: «يقوم» ش: «يعوم»، صوابهما في ل.

(7) فيما عدا ل: «في الأرض».

(8) ط: «أغرى بالاعتراض». وفي ش، هـ: «اغترى بالاعتراض»، وهذه محرفة.

قال القوم: ليس إلى هذا الباب ذَهبْنا، ولا إليه قصدنَا، ولا ذلك البابُ ممَّا يجوز أَن نُدخله في هذا الباب، ولكنَّا ذَهبْنا إلى المحاماة والدَّفع عن الأنفس[1] والقتال دون الأولاد، وإلى الامتناع من الأضداد بالحيلة اللطيفة، وبالبطش الشديد، وليس عند الخيل والإبل إذا صافت[2] الأُسد والنُّمور والبُبُور، ما عند الجاموس والفِيل[3]، فأمّا الكركَدَّن فإن كلَّ شيء من الحيوان يقصِّر عن غايته التقصيرَ الفاحش[4].

(إنكار الكركدن والعنقاء)

وما أكثر مَن ينكر أن [يكون] في الدنيا حيوانٌ[5] يسمّى الكَرْكدَّن، ويزعمون أنَّ هذا وعَنْقاءَ مُغْرِبٍ سواء، وإنْ كانوا يرون صُورة العَنقاء مصوَّرَةً في بُسُط الملوك، واسمها عندهم بالفارسيَّة سِيمَرْكْ[6] كأنه قال: هو وحدَه ثلاثون طائراً، لأنَّ قولهم بالفارسية سي هو ثلاثون بالعربية[7]، ومرغ[8] بالفارسيَّة [هو] الطائر بالعربية، والعرب إذا أخبرت عن [هلاك] شيءٍ وبطلانه قالت: «حلّقت به في الجوِّ عنقاءُ مغرب[9]»، وفي [بعض] الحديث: أنّ بعضَ الأمم سألوا نبيَّهم وقالوا: «لن نؤمن لك حتى تفعل كذا وتفعل كذا، أو تلقي في فم العنقاء اللِّجام، وتردَّ اليومَ أمسِ».

(شعر في العنقاء)

قال أبو السّريّ الشُّميطي[10]، وهو مَعْدان المكفوف المديبريّ[11]:

---

(1) فيما عدا ل: «على الأنفس»، محرفة.

(2) ل: «صافت» وفيما عدا ل: «صادمت»، وقد جمعت بينهما في التصحيح.

(3) فيما عدا ل: «والفيل والكركدن».

(4) ط فقط: «عنه غاية التقصير الفاحش».

(5) فيما عدا ل: «حيوانًا».

(6) كذا في جميع النسخ، مع تساهل في النطق، أو بعض التصرف في التعريب. وإلا فلفظها في الفارسية (سيمرغ) كما يفهم من البيان التالي، وكما في معجم استينجاس 718.

(7) ل: «لأن سي بالفارسية ثلاثون».

(8) ل: «مرع» وإنما هو بالغين في الفارسية. ط، ش: «وبرك» وانظر التنبيه السابق. وفي هـ: «سيمرك»، تحريف.

(9) ومنه قول القائل (انظر اللسان: حلق، عنق):

ولولا سليمان الخليفة حلقت به من يد الحجاج عنقاء مغرب

ويروى:

ولولا سليمان الأمير لحلقت به من عتاق الطير عنقاء مغرب

(10) فيما عدا ل: «أبو الهندي»، تحريف. وانظر ماسبق في (2، 149/ 5: 160). والشميطي، بالشين المعجمة. ل: «الشمطي» وفيما عدا ل: «السميطي». صوابهما ما أثبت. وانظر حواشي (2: 149).

(11) المديبري: نسبة إلى «المديبر» على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل، وهو موضع قرب الرقة. فيما عدا ل: «المريدي»، تحريف. وقد سبق بعض أبيات القصيدة التالية في (2: 149).

يـا سَـمِـيّ الـنـبـيِّ والـصـادقَ الـوَعـ ـدِ وَجَـدَّ الـصـبـيِّ ذي الـخَـلـخـالِ
صـاحـب الـتُّـومـة الـتـي لـم يـشِـنْـهـا بـعـد حَـرْسٍ مَـثـاقـبُ الـلآلِ[1]
مَـهَـدتْـه الـعـنـقـاءُ وهـي عـقـيـمٌ رُبَّ مـهـدٍ يـكـون فـوقَ الـهـلالِ
يـومَ تُـصـغِـي لـه الـنَّـعـامـة والأحْـنـا شُ طُـرّاً لِـشـدّة الـزَّلـزالِ[2]

فأهل هذه النِّحلةُ يثبتون العنقاءَ، ويزعمون أنها عقيم.

وقال زُرارة بن أعْيَن، مولى بني أسعد بن همام، وهو رئيس الشميطيَّة[3] وذكر هذا الصبي الذي تكفُله العنقاء، فقال:

وأوّلُ مـا يـحـيَـا نِـعَـاجٌ وأكـبُـشٌ ولـو شاءَ أحـيـا ربـهـا وهـو مـذنـبُ[4]
ولـكـنّـه سـاعَـى بـأمٍّ وجَـدّةٍ وقال سَيكفِيني الشقيقُ المقرّبُ[5]
وآخِـرُ بـرهـانـاتِـه قـلـبُ يـومـكـم وإلجامُه العنقاءَ في العين أعجبُ[6]
يَـصِـيـفُ بـسَـابـاطٍ ويـشـتُـو بـآمِـدٍ وذلـك سرٌّ لـو عـلـمـنـاه مـعـجـب[7]
أمـاعَ لـه الـكِـبـريـتَ والـبـحـرُ جـامـدٌ ومَـلَّـكَـه الأبـراجَ والـشَّـمْـسُ تُـجْـنَـبُ[8]
فـيـومـئـذٍ قـامـت شـمـاط بـقـدرهـا وقام عسِيب القفر يُثْني وَيخْطُبُ[9]
وقـام صـبـيٌّ دَرْدَقٌ فـي قِـمـاطِـهِ عليهم بأصناف اللِّسَانَيْنِ مُعْربُ[10]

فثبّت زرارة بنُ أعيَنَ قولَ أبي السَّرِيِّ في العنقاء، وزادنا [تثبيت] الكِبريت الأحمر ولا أعلمُ في الأرض قوماً يُثَبِّتون العنقاءَ على الحقيقة غيرَهم.

---

(1) التومة، بالضم: اللؤلؤة، وجمعها توم، بالضم، وتوم بضم ففتح. فيما عدا ل: «صاحب اللؤلؤ الذي لم يشنه». بعد حرس: أي بعد دهر. وفي ط، هـ: «خرز»، ش: «حرز»، صوابهما في ل.

(2) النعامة والأحناش معروفان بالصمم. وفي ل: «والأخفاش»، محرفة.

(3) ل: «النسمية»، وفيما عدا ل: «التميمية»، والوجه ما أثبت. وهو نسبة إلى أحمر بن شميط. انظر حواشي (2: 149).

(4) ربها، أي صاحبها. وفيما عدا ل: «قرنها».

(5) المساعاة: تكليف الأمة أن تسعى على مولاها فتكسب له بضريبة خاصة. فيما غدا ل: «ساع» وفي ل: «وقال سيلقيني الشفيع».

(6) ل: «قلب نيلكم».

(7) فيما عدا ل: «سر ما علمنا مغيب».

(8) أماع: أذاب. وفيما عدا ل: «أساغ»، محرف. تجنب: تقاد إلى جنب.

(9) ل: «شمال بغذبها» ط: «سماط بقدرها» هـ: «سماط بعذرها»، وأثبت ما في ش. وفي البيت غموض.

(10) الدردق: الصغير. والقماط، بالكسر: خرقة عريضة يلف بها الصبي فيما عدا ل: «درنق في حماطه» و: «بأصناف البساتين يغرب»، تحريف.

(الكركدن)

قال: والذي يثبت الكركَدَّن أن داود النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في الزّبور حتّى سمّاه[1].

وقد ذكره صاحب المنطق (في كتاب الحيوان) إلاّ أنه سمَّاه بالْحِمار الهنديّ، وجعل له قرناً واحداً في وسْط جبهته، وكذلك أجمع [عليه] أهلُ الهند كبيرُهم وصغيرُهم. وإنما صار الشكُّ يعرِضُ في أمْرِهِ من قِبَل أنّ الأنثى منها تكون نَزُوراً[2]، وأيام حَمْلها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة[3] فلذلك قلَّ عددُ هذا الجنس.

وتزعم الهندُ أنّ الكركدَّن إذا كانت ببلاد[4]، لم يَرْعَ شيءٌ من الحيوان شيئاً من أكناف تلك البلاد، حتى يكونَ بينه وبينها[5] مائةُ فرسَخٍ من جميع جهات الأرض؛ هيبةً له، وخضوعاً له، وهرباً منه.

وقد قالوا في ولَدها وهو في بطنها قولاً لولا أنّه ظاهرٌ على ألسِنَة الهند لكان أكثرُ النّاس، بل كثيرٌ من العلماء، يُدْخلونه في باب الخرافة وذلك أنهم يزعمون أنَّ أيامَ حَمْلها إذا كادت أن تتم، وإذا نضجت وسُحِبتْ[6] [وجرّت] وجرى وقت الولادة، فربما أخرجَ الولدُ رأسَه من ظَبْيتها[7] فأكل من أطراف الشجر، فإذا شبع أدخَلَ رأسَه، حتَّى إذا تمّت أيامُه وضاق به مكانَه وأنكرتْه الرَّحِم، وضعَتْه مُطِيقاً قويّاً على الكسب والحُضْر والدفع عن نفسه[8]، بل لا يَعْرِضُ له شيءٌ من الحيوان والسِّباع.

(ولد الفيل)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ ولد الفيل يخرُج من بطن أمّه نابت الأسنان، لطول لبثه في بطنها[9]. وهذا جائزٌ في ولد الفيل غيرُ مُنكر، لأن جماعةَ نساءٍ معروفاتِ الآباء والأبناء، قد ولدْنَ أولادَهنَّ ولهم أسنانٌ نابتة، كالذي روَوْا في شأن مالك بن أنس، ومحمد بن عَجْلان[10] وغيرهما،)

---

(1) فيما عدا ل: «قال فيثبتون الكركدن ذكر النبي داود عليه السلام في الزبور حين سماه»، محرف.
(2) النزور، بالفتح: القليلة الولد. فيما عدا ل: «أن الأنثى منها ما يكون نزورًا» تحريف.
(3) فيما عدا ل: «ليست أقل من أيام حمل الفيل».
(4) ل: «أنه إذا كانت الكركدن ببلاد».
(5) ل: «وبينه».
(6) ش: «وسخنت» ط، هـ: «وشحنت»، وأثبت ما في ل. والكلمة التي بعدها تكملة من ل، ش، هـ.
(7) الظبية: الحياء من المرأة وكل ذي حافر. ط، هـ: «باطنها» ش: «طنيها» وهذه محرفة.
(8) بدلها في ل: «ممتنعًا عن العدو».
(9) فيما عدا ل: «مكثه في بطنها».
(10) سبقت ترجمته في (2: 164).

(أعاجيب الولادة)

وقد زعم ناسٌ من أهل البصرة أنَّ خاقانَ بنَ عبد اللّه بن الأهتم استوفى في بطن أُمِّه ثلاثةَ عشر شهراً، وقد مُدِح بذلك وهُجِيَ، وليس هذا[1] بالمستنكر، وإنْ كنت لم أَرَ قطُّ قابلةً تُقرّ بشيء من هذا الباب وكذلك الأطبّاء، وقد روَوْه كما علمت، ولكنَّ العجبَ كلَّ العجَب ما ذكروا من إخراج ولَد الكركدَّنِ رأسَه واعتلافَه، ثم إدخاله رأسَه[2] بعد الشِّبع والبِطْنة، ولا بدَّ ـ أكرمك اللّه[3] ـ لِمَا أكَلَ مِنْ نَجْوٍ فإن كان بقي [ذلك] الولدُ يأكل ولا يرُوث فهذا عجبٌ، وإن كان يروث في جَوْفها فهذا أعجب.

وإنما جعلناه يروثُ حيثُ سمَّوه حماراً، وهذا ممّا ينبغي لنا أن نذكرَه في خصال الحمير إذا بلغْنا ذلك الباب[4].

ولا أُقِرُّ أنّ الولدَ يُخرج رأسه من فرج أمِّه[5] حتى يأكل شبعه، ثمَّ يدخل رأسَه [من فَرْج أمِّه]، ولستُ أراه مُحالاً ولا ممتنعاً في القُدرة، ولا [ممتنعاً] في الطبيعة، وأرى جَوازَه مَوْهُوماً[6] غيرَ مستحيل، إلاّ أنَّ قلبي ليس يقبلُه، وليس في كونه ظُلْمٌ ولا عَبَثٌ[7] ولا خطأ ولا تقصير في شيء من الصفات المحمودة، ولم نجد القرآنَ يُنكره، و[لا] الإجماعَ يدفعُه، واللّه هو القادر دون خَلْقه، ولست أبتُّ بإنكاره وإن كان قلبي شديدَ الميل إلى ردِّه، وهذا ممّا لا يعلمه النَّاسُ بالقياس، ولا يعرفونه إلاّ بالعيان الظاهر[8]، والخبر المتظاهر.

(عجيبة الدسَّاس)

وليس الخبر عنهُ مثلَ الخبرِ عن الدَّسَّاس التي تَلِدُ ولا تَبيض[9]، وإنما أنكر ذلك ناسٌ لأنَّ الدَّسّاس ليس بأشرف كالخُفَّاش، بل هو من الممسوح[10] كسائر الطير، وكاللواتي يبضْن[11] من ذوات الأربع من المائيَّات والأرضيَّات.

---

(1) فيما عدا ل: «ذلك».

(2) فيما عدا ل: «ثم إدخالها».

(3) ل: «يرحمك الله».

(4) فيما عدا ل: «خصال الخصال إذا بلغ ذلك الباب».

(5) فيما عدا ل: «من بطن أمه».

(6) موهومًا: يذهب إليه الوهم. فيما عدا ل: «موهوبًا»، تحريف.

(7) فيما عدا ل: «عيب».

(8) فيما عدا ل: «ولايعرف إلا بالعيان الباهر».

(9) فيما عدا ل: «التي لا تبيض ولا تلد»، تحريف. وانظر ما سبق في (4: 126/ 6/ 20).

(10) الممسوح: أي الذي خفيت أذنه. انظر (6: 20، 79). فيما عدا ل: «بل هو كالممسوح».

(11) فيما عدا ل: «تبيض».

(عجائب الدلفين واللُّخم والكوسج)

وليس الخبر عن الكركدَّن أيضاً كالخبر عن الدُّلْفين أنَّها تَلِد وعن اللُّخْم مثل ذلك، وأنَّ الكَوسج يتولَّد من بين اللَّخْم وسمكةٍ أخرى، وهذا كلُّه غيْرُ مستحيل، إلاّ أنِّي لا أجعلُ الشيءَ الجائزَ [كونُه] كالشيء الذي تثبِّته الأدلَّة ويخرِجه البرهان من باب الإنكار، والواجبُ في مثل هذا الوقفُ[1]، وإن كان القلبُ إلى نقض ذلك أمْيَل.

والمَيْل أيضاً يكون في طبقات[2]، وكذلك الظن [قد] يكون داخلاً في باب الإيجاب[3]، وربَّما قصَّر عن ذلك [شيئاً].

(زعم ولادة السمك)

وقد زعم ناسٌ من أهل العلم أنَّ السَّمَكَ كلَّه يلِد، وأنهم إنما سمَّوْا ذلك [الحَبَّ] بيضاً على التشبيه والتمثيل، لأنّه لا قشر له هناك ولا مُحّ ولا بَياضَ، ولا غِرْقِئ[4]؛ وأنّ السمكةَ لا تخرج أبداً[5] إلاَّ فارغةَ الْبَطْنِ أو محشوَّة، ولم نر الحَبَّ الذي بقرب مَبالها[6] أعظمَ، ولم نَرها ألقَتْ إحدى تلك الطّوامير[7] [وبقّت الأخرى، وإنما غلط في ذلك ناسٌ من قِبَل ضيق السبيل والمَسْلَكَ، فظنوا أنّ خرق المبال يضيق عن عِظم ذلك الجسم العظيم المجتمع من الحبِّ الصغار، قالوا: فإنما تُخرج تلك الطواميرَ] واحداً فواحداً، وأوّلاً فأولاً.

(عجائب الولادة)

وما ذلك بأعجبَ ولا أضيق من حياء الناقة والسَّقبُ والحائلُ يخرجان منه خروجاً سَلِساً إذا أذن اللّه بذلك[8]، وكذلك المرأة وولدها، [والفِيلةُ]، والجاموسة[9]، والرَّمَكةُ، والحِجْر والأتان، والشاة في ذلك كلِّه مثلُ السمكة.

وقالوا: لا بُدَّ للبيض من حَضْن، ومتى حَضَنَت السمَكةُ بيضَها لا تلتفت إلى بيضها وفراخها.

---

(1) فيما عدا ل: «الرفيق»، محرف.
(2) فيما عدا ل: «من طبقات».
(3) ل: «باب الأغلب».
(4) الغرقئ: قشر البيض الذي تحت القيض. ل: «ولا سرء». والسرء: البيض.
(5) فيما عدا ل: «لا توجد أبدًا».
(6) فيما عدا ل: «عند مثالها»، تحريف.
(7) أصل معنى الطومار الصحيفة. وأراد بها ما يتجمع في جوف السمكة من البيض، ويسمى بالعامية المصرية: «البطارخ».
(8) ل: «سليمًا إذا أذن الله في ذلك».
(9) فيما عدا ل: «والجاموس».

(زعم العوام في الكركدن)

والعوامُّ تضرِبُ المثلَ في الشدّة والقوَّة بالكركدَّن، وتزعم أنه ربما شطحَ الفيل فرفعه بقرنه الواتِد في وسْط جَبْهته[1]، فلا يشعرُ بمكانه ولا يحسّ به حتّى ينقطع على الأيَّام.

وهذا القولُ بالخرافة أشبَه.

(مزاعم في ضروب من الحيوان)

وأعجبُ من القول في ولد الكركدَّن ما يخبرنا به ناسٌ من أهل النظر والطبّ[2] وقراءة الكتب، وذلك أنّهم يزعمون أنّ النمرة لا تَضَعُ ولدَها أبداً إلاّ وهو متطوِّق بأفعى[3]، وأنها تعيش وتنهش، إلاّ أنها لا تقتل، ولو كنتُ أجسُر في كتبي على تكذيب العلماء وَدَرَّاسِي الكتب[4]، لبدأت بصاحب هذا الخبر.

وليس هذا عندي كزعمهم أنّ الأفعى تلد وتبيض، لأنَّ تأويل [ذلك أنَّ] الأفعى تتعضَّلُ ببيضها[5]، فإذا طرَّقتْ بالبيض تلوّت فحطمَتْه في جَوفها، ثم ترمي بتلك القشور والخَرَاشِيّ[6] أوّلاً فأولاً، كما لا بدّ[7] لكلِّ ذات حملٍ أن تُلْقِيَ مشيمتَها.

ويزعُم كثيرٌ من الأعراب أنّ الكَمْأَة تتعفَّن، ويتخلّق منها أفاع[8]، فهذا الخبرُ وإن كنت لا أتسَرَّعُ[9] إلى ردِّه فإنّي على أصحابه أَلْيَن كَنفاً[10].

(قرن الكركدن)

وأمَّا قَرْن الكَرْكَدَّن فخبَّرَني من رآه[11] ممَّن أثِقُ بعقْله، وأسكن إلى خَبَره، أنَّ غِلظَ أصله وسَعة جسمه يكونُ نحواً من شِبرين، وليس طولُه على قدْرِ ثِخَنه، وهو محدَّد الرأس، شديدُ الملاسة، ملموم الأجزاء مُدْمج[12]، ذو لدونةٍ وعُلوكة في صلابة، لا يمتنع عليه شيءٌ،

---

(1) الواتد: الثابت المنتصب. فيما عدا ل: «الواحد الذي في وسطه جبهته».
(2) فيما عدا ل: «أهل النظر والأدب».
(3) انظرما سبق في(4: 126/ 6: 21).
(4) فيما عدا ل: «ودراس الكتب».
(5) تعضلت ببيضها: عسر عليها إخراجه. فيما عدا ل: «ينفصل بيضها»، محرف.
(6) الخراشي: جمع خرشاء، وهي جلدة البيضة الداخلة، فيما عدا ل: «الحراشي» محرفة.
(7) فيما عدا ل: «ولابد».
(8) فيما عدا ل: «أفاعي»، على لغة من يثبت الياء في المرفوع والمجرور. انظر همع الهوامع (2: 205-206).
(9) فيما عدا ل: «أسرع».
(10) الكنف: الجانب. وفيما عدا ل: «كفا»، محرفة.
(11) فيما عدا ل: «من رأى قرنه».
(12) ط فقط: «مدبج»، تحريف.

ويُجهز مِنْ عِندنا بالبصرة[1] إلى الصين؛ لأنَّه[2] يقع إلينا قبلهم، فإذا قطعُوه[3] ظهرت في مقاطعه صُوَرٌ عجيبة[4]، وفيه خصال غير ذلك، لها يطلب[5].

(خيل النهر)

وقد كنا نزعُم أنّ الهواء للعقاب، والماء للتمساح، والغياض للأسَد حتى زعم أصحابُنا أنَّ في نيل مصر خُيولاً تأكل التماسيح[6] أكلاً ذريعاً وتقوى عليها قوة ظاهرة، وتغتصِبُها أنفسَها فلا تمتنع عليها، وعارَضوا مَن أنكر خيلَ الماء، بخنازير الماء وبكلابِ الماء، وبدُخّس الماء[7].

(إنقاذ بعض حيوان البحر للغريق)

ولم أجدْهم يشكُّون أن بعضَ الحيوان الذي يكون في البحر ممّا ليس بسمك [وهو يعايش السمك] ـ وقد ذهبَ عنّي اسمُه[8] ـ [أنَّه] متى أبصر غريقاً[9] عَرض له وصار تحت بَطنه وصَدْره، فلا يزال كالحامل له والمُزْجي والمعين، حتى يقذفَ به إلى حزيرة، أو ساحلٍ، أو جبل.

وأصنافُ سمَك البحر، وأجناسُ ما يعايش سمكَ البحر [لا تكون في أوساط اللُّجج وفي تلك الأهوَار العِظام، مثل لجَّة سقُوطْرَا، وهركند، وصنجى[10]، وكذلكَ أهلُ البحرِ] إذا عاينُوا نباتاً أو طيراً، أيقَنُوا بقرب الأرض[11] إلاَّ أنّ ذلك القريب قد سمِّيَ بعيداً، فلذلك سَلِم ذلك الغريقُ بمعونة ذلك الحيوان.

(مسالمة الأسد للببر ومعاداته للنمر)

فأمّا الأسَد والبَبْر فَمُتسالمان، وأما الأسد والنمر فَمُتَعَاديان[12] والظَّفَر بينهما سِجال، والنَّمر وإن كان ينتصف من الأسد فإنّ قُوَّتَه على سائر الحيوان دون قوَّته على الأسد[13]،

(1) إثبات كلمة «من» من ل. فيما عدا ل: «ويحضر عندنا بالبصرة».
(2) فيما عدا ل: «إلا أنه».
(3) فيما عدا ل: «فإذا ظهر».
(4) فيما عدا ل: «صورة عجيبة».
(5) فيما عدا ل: «لما يطلب».
(6) فيما عدا ل: «التمساح»، محرفة.
(7) انظر الدخس ما مضى في (1/ 53/ 5: 367/ 6: 17/ 7: 25) فيما عدا ل: «وبديس الماء»، محرف.
(8) انظر حواشي إشارات الأرقام التي في التنبيه السابق.
(9) فيما عدا ل: «إذا أبصر غريقًا».
(10) سقوطرا، أو سقطري، بضم السين والقاف فيهما: جزيرة كبيرة، فيها عدة قرى ومدى تناوح عدن. وهركند: بحر في أقصى بلاد الهند والصين، فيه بجزيرة سيلان. وأما «صنجي» فلم أجدها فيما لدي من المراجع.
(11) فيما عدا ل: «أيقنوا بالأرض».
(12) فيما عدا ل: «فيتسالمان» و«فيتعاديان».
(13) فيما عدا ل: «دون قوة الأسد».

وبدنه في ذلك أحملُ لوَقْع السِّلاح، ولا يعرِضُ له البَبْر[1]، وقد أيقنا أنَّهما ليسا من بابته، فلا يعرض لهما، لسلامة ناحيته وقلة شرِّه، وهما لا يعرضان له لما يعرفان من أنفسهما من العَجْز عنه، وأمَّا البهائم الثلاث اللواتي[2] ذكَرْناها فإنَّها فوق الأسد والنمر.

والبَبْر هنديٌّ أيضاً مثل الفيل، و[أمَّا] الكركدَّن فلا يقوم له سبعٌ ولا بهيمة، ولا يطمع فيه، ولا يَرومُ ذلك منه.

(مبارزة الجاموس للأسد)

وأمّا الجاموس والأسَد فخبَّرني محمد بن عبد الملك أنّ أمير المؤمنِين المعتصمَ باللّه، أبرَزَ للأسد جاموسَيْن فغلبَاه[3]، ثم أبرز له جاموسةً ومعها ولدُها فغلبته وحمَتْ ولدَها منه، وحَصّنته، ثم أبرز له جاموساً وحْدَه فواثَبَه ثم أدبر عنه[4].

هذا وفي طبع الأسد الجرأة عليه، [لأنّه يعدّ الجاموسَ من طعامه، والجاموسُ يعرف نفسَه بذلك، فمع الأسد من الجُرأة عليه على حَسب ذلك ومع الجاموس من الخوف على قَدْر ذلك، وفي معرفة الأسد أنّ له في فمه من السِّلاح ما ليس لشيء سواه، وفي معرفة الجاموس بعدم ذلك السِّلاح منه، فمعه من الجرأة عليه] بمقدار ما مع الجاموس من التهيُّب له، فيعلم أنّه قد أعطي في كفِّه ومخالبه من السلاح ما ليس لشيء سواه، ويعلم الأسَد والجاموسُ جميعاً أنّه ليس في فم الجاموس ويده[5] وظِلْفه من السِّلاح قليلٌ ولا كثير، فمع الأسد من الجَراءة عليه، ومع الجاموس من الخوف منه، على حَسب ذلك، ويَعلمُ الأسدُ أنّ بدنَه يَمُوج[6] في إهابه، وأنّ له مِن القوَّة على الوثوب والضَّبْر[7] والحُضْر، والطَّلَب والهرَب، ما ليس في الجاموس، بل ليس ذلك عند الفَهْد في وثوبه، ولا عند السِّمْع[8] في سرعة مَرِّه، ولا عند الأرنب في صَعْدَاء ولا هَبُوط[9]، ولا يبلُغُه نَقَزان الظَّبي إذا جَمَعَ جراميزهُ، ولا ركْضُ الخيلِ العِتاق إذا أُجيد إضمارُها، والجاموسُ يعرف كلَّ ذلك منه. ومع الجاموس من النُّكوص عنه

---

(1) فيما عدا ل: «ولا يعرض النمر للبر».
(2) فيما عدا ل: «التي».
(3) فيما عدا ل: «جاموستين فغلبتاه».
(4) في نهاية الأرب (10: 124): «وليس ما حكى عن المعتصم في أسر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب، فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه، فلا يقدر على قهرها. وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه، يقصدون بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله».
(5) فيما عدا ل: «ويديه».
(6) ط، ش: «يتموج».
(7) الضبر، بالضاد المعجمة: جمع القوائم في العدو. وفي الأصل: «الصبر».
(8) فيما عدا ل: «السبع»، تحريف. انظر (1/ 140) حيث ذكر أنه أسرع من الطير والريح.
(9) ط، هـ: «صعد». والصعد، بالتحريك: مقابل الهبوط، والهبوط، بالفتح: الانحدار والانخفاض. وأما «الصعداء» وهي التي وردت في ل، س فهي اللفظة التي يختارها الجاحظ في مثل هذا. انظر (5: 301/ 6: 228، 240، 248).

بقَدْر ما مع الأسد من الإقدام عليه، ويعلم أنّه ليس له إلاّ قرنُه وأنّ قرنَه ليس في حدّة قُرون[1] بقَر الوحْش، فضلاً عن حِدّة أطراف مخالب الأسَد وأنيابه وأن قرنه مُبْتَذَلٌ[2]، لا يصان عن شيءٍ، ومخالب الأسد في أكمام وصِوان[3].

وإذا قوي الجاموسُ مع هذه الأسباب المجبِّنة[4] على الأسد مع تلك الأسباب المشجِّعَة[5] حتى يقتله أو يعرِّدَ عنه[6]، كان قد تقدَّمَه تقدُّماً فاحشاً، و[قد] علاه عُلوّاً ظاهراً، فلذلك قدَّمنا الجاموسَ وهو بهيمة، وقدَّمنا رؤساء البهائم على رؤساء السباع، هذا سِوى ما فيها من المرافق والمنافع والْمَعاون[7].

والجاموس أجْزَعُ خلْق اللّه مِن عَضِّ جرجسةٍ[8] وبعوضةٍ، وأشدُّهُ هرباً مِنْهُما إلى الماء[9]، وهو يمشي إلى الأسد رَخِيَّ البال[10]، رابط الجأش، ثابت الجنان، فأمَّا الفيلُ فلم يولّد الناسُ عليه وعلى الكركدَّن ما ولَّدُوا من إفراط القُوَّة[11] والنَّجدة والشَّهامة، إلاّ والأمرُ بينهما متقاربٌ عندهم.

(مغالبة الفيل للأسد)

والهندُ أصحابُ البُبور والفُيول، كما أنَّ النُّوبة أصحابُ الزَّرافات دونَ غيرهم من الأُمم، وأهلُ غانةَ إنما صار[12] لباسُهم جلودَ النمور [لكثرة النمور] بها، إلا أنَّها على حالٍ موجودةٍ في كثيرٍ من البُلدان.

وقد ذكَرُوا بأجمعهم قُوّةَ الفِيل الوحشيِّ على الأَسد، وقالوا في الفِيَلة الأَهليَّة إذا لقِيتْ عندنا بالعِراق الأُسْد وجمعنا بينهما[13]، قالوا: أما واحدة فإنّ ذُكور الفِيَلة لا تكاد تعيشُ عندكم، وأنيابُها التي هي أكبَرُ سلاحِها لا تنبُت في بلادكم[14]، ولا [تعظُم ولا] تزيدُ على ما كانت عليه ما أقامت في أرضكم، وهي أيضاً لا تتناتج عندكم، وذلك من شدّة مُخالَفة البلدة

---

(1) فيما عدا ل: «قرن».
(2) ط، هـ: «متبذل»، تحريف.
(3) الصوان، بالضم والكسر: ما يصان به الشيء. وفيما عدا ل: «مران» تحريف. انظر ما مضى في (4: 165/ 5: 234).
(4) ط: «المخففة» ش، هـ «المخيفة»، صوابهما في ل.
(5) فيما عدا ل: «الأنياب المستحقة»، تحريف.
(6) التعريد: الإحجام والنكول والفرار. فيما عدا ل: «يعرض».
(7) المعاون: جمع معونة، وهي الإعانة.
(8) الجرجس: صغار البعوض. فيما عدا ل: «خرشنة»، تحريف.
(9) فيما عدا ل: «وأشد هربًا». منهما. متعلق بـ«هربا»، أي هربه من الجرجسة والبعوضة. فيما عدا ل: «منها».
(10) ط فقط: «رضى البال».
(11) ط فقط: «فرط القوة».
(12) ط: «ما صار» تحريف.
(13) ل: «بينها».
(14) فيما عدا ل: «أكثر سلاحها لا تنبت ببلادكم»، وفيه تحريف.

لِطبائعها[1] ونقضها لقواها، وإنما أَسْرَعَ إليها الموتُ عندكم للذي يعتريها من الآفات والأعراض في دُوركم، فاجتمعت عليها خصال، أوّل ذلك أنها مع الوحش[2] [و]في صميم بلادها أجرأ وأقوى، وأشهَمُ نفساً وأمضى، فلمّا اصطَدْناها بالْحِيَل[3]، وصيَّرْناها مقصورة[4] أهليَّة بعد أن كانت وحشيَّةً وفي غير غذائها، لأنّها كانت تشرب إذا احتاجت، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من مَوقع الحاجة[5]، فلما صارت إلى قيام العبيد عليها، والأجَراء بشأنها[6]، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض[7] والخوَر، والخطأ والتقصير، على حسب ما تَجِدُ[8] في سائر الأشياء، ثم لم نَرْض بذلك حتَّى نقلناها من تلك البلدة[9] على إنكارها لتلك البلدة، فصيَّرْناها إلى الضدِّ بعد أن كانت في الخلاف.

وقد علمنا أنَّ سبيلَها سبيلُ سائر الحيوان، فإنّ الإبلَ تموت ببلاد الروم وتَهلكُ وتسوءُ حالُها[10]، والعقارب تموت في مدينة حِمْص، والتماسيح تموت إن نُقلت إلى دِجلة والفرات، والنَّاس يصيبهم الجَلاءُ فيموتون ويتهافتون، وقد علمنا أنَّ الزِّنج إذا أُخرجوا من بلادهم فما يحصل[11] بالبصرة عندنا منهم [إلاَّ اليسير]، وكذلك لو نقلوا إليكم بزر الفُلفُل والسَّاج والصَّندل والعُود، وجميعَ تلك الأهضام[12]، فما امتناعُ نباتِ العاج ببلادكم إلاّ كامتناع نباتِ الآبنوس، وإن كان ينبت في حيوان والآخر[13] في أرض.

فلا يفتخرنَّ مفتخر في الأسد في هذه البلدة إذا قاوم الفيل[14]، والأسد هاهنا في بلاده وفي الموضع الذي تتوفّر أموره عليه، لأنَّ أُسْد العراق هي الغاية، وأقواها أُسْد السّواد ثم أُسْد الكوفة[15]، ولأنّ الفِيَلَة عندكم أيضاً تَرَى عندَكم السَّنانير، وقد جَعَل اللّهُ في طَبْع الفيل الهربَ من السِّنَّور والوَحشةَ منه، كما أنَّ بعضَ شجعانِكم يمشي إلى الأسد، ويقبض على الثُّعبان، ولا يستطيع النَّظَرَ إلى الفأر والجرذان، حتى يهرُب منها كلَّ الهرب، ويعتريه من النّفضة[16] واصفرار اللّوْن ما لا يعتري المصبور على السَّيف[17] وهو يلاحِظُ بريقه عند قفاه.

---

(1) فيما عدا ل: «وطبائعها»، محرف.
(2) فيما عدا ل: «من الوحش»، تحريف.
(3) ط: «بالجبل»، محرفة.
(4) مقصورة: محبوسة. وفيما عدا ل: «مقهورة».
(5) فيما عدا ل: «من ذلك مقدار ما تعرف من توقع الحاجة»، محرف.
(6) فيما عدا ل: «لسواسها».
(7) ش، هـ: «النقص» بالصاد المهملة.
(8) ل: «يجد» بالياء.
(9) فيما عدا ل: «حتى نقلنا ما كانت تجده من إنكارها لتلك البلدة».
(10) انظر ما سبق في (4: 41).
(11) فيما عدا ل: «إذا خرجوا من بلادهم كما يحصل»، وفيه تحريف.
(12) الأهضام: الطيب، وقيل البخور، واحده هضم، بالكسر، وهضم وهضمة بالفتح.
(13) ط، هـ: «والأرضي» ش: «والأرض»، صوابهما في ل.
(14) ط، هـ: «قام الفيل» ش: «أقام الفيل»، صوابهما في ل.
(15) ل: «أسود» في هذا الموضع وسابقه.
(16) فيما عدا ل: «القبض».
(17) المصبور: الذي يحبس ويمسك للقتل. ل: «الصبور»، محرف.

(خوف عبد اللّه بن خازم من الجرذ)

وذكر عليّ بن محمد السميري[1] قال: بينما عبد اللّه بن خازم السُّلَميّ[2] عند عبيد اللّه بن زياد، إذ أُدْخِلَ على عبد اللّه[3] جرذ أبيض ليُعجَّبَ منه[4]، فأقبل عبيدُ اللّه على عبد اللّه فقال: هل رأيتَ يا أبا صالح أعجَب من هذا الجرذ [قط]؟ وإذا عبد اللّه قد تضاءَل حتى صار كأنه فرخ، واصفَرَّ حتى [صار] كأنَّه جرادة [ذَكَرٌ[5]]، فقال عبيد اللّه: أبو صالح يَعصِي الرَّحمن، ويتهاوَن بالشيطان، ويقبض على الثعبان، ويمشي إلى الأسد، ويَلقَى الرِّماح بوجهه، وقد اعتراه من جُرَذ ما ترون؟ أشهَدُ[6] أنَّ اللّه على كلِّ شيءٍ قدير.

(خوف الفيل من السنور)

وإذا عاين الفِيلُ الأسدَ رأى فيه شَبَه السّنّور، فيظنُّ أنه سنّور عظيمٌ فلا يبلغ [منه] مقدارَ تلك المناسبة، وذلك الشّبه، ومقدارَ ذلك الظنّ ما يبلغ رؤيةُ السِّنَّور نفسهِ، وليس هربُه منه مِن جهةِ أنّه طعامٌ له، وأنّه إن ساوَرَه خافه على نفسه[7]، وإن كان في المعنى يرجع إلى أنّه طعامٌ لصغار السِّباع وكبارها، وهَلْ قتل أسدٌ[8] قطُّ فيلاً، ومتى أكله؟!

وإنَّه مع ذلك لرُبَّما رَكَله الرَّكْلة، فإمّا أنْ يقتُلَه، وإمَّا أنْ يذهبَ عنه هارباً في الأرض، وإمَّا أن يُجْلِيَهُ[9].

وأيّة حُجَّة على الفيل في أن يرى سنوراً [فينفر منه؟! فالأسدُ يُشار إليه بِشُعلةٍ من نار، أو يُضرَب له بالطَّسْتِ فيهربُ منه، فإنما هذا كنحو تفزُّع الفَرَس من كلِّ شيءٍ يراه في الماء وهو عطشانُ فيأباه.

ويزعم ناسٌ من أصحاب الخيل أنّ الفَرَس ليس يضرب بيديه في الماءِ الصافي ليثوِّره، لأنَّ الماء الكدرَ أحبُّ إليه، وما هو إلا كالثَّور الذي يحبُّ الصافي ويختاره، ولكنه إذا وقف على الماء الصافي رأى فيه ظِلّه وظلّ غيرِه من الأشخاص]، فيفزعه ذلك، فلمعرفته بأنَّ الماء الكدرَ لا تتصوَّر فيه الصُّوَر يضرِب بيديه، هذا قول هؤلاء[10]، وأمَّا صاحبُ المنطق وغيرهُ

---

(1) ل: «السمري».
(2) في الأصل: «حازم»، صوابه بالخاء المعجمة، كما في المعارف 184.
(3) في الأصل: «إذ دخل»، وفيما عدا ل: «إذ دخل عليه».
(4) فيما عدا ل: «ليقبل منه».
(5) انظر لصفرة ذكور الجراد ما مضى في (3: 16-4: 97- 5: 378).
(6) ط، هـ: «اشهدوا».
(7) فيما عدا ل: «غلبه على نفسه».
(8) فيما عدا ل: «الأسد».
(9) ل: «يجليه» فيما عدا ل: «يخليه»، ولعل وجهه ما أثبت.
(10) فيما عدا ل: «بعضهم».

ممَّن يدَّعي معرفةَ شأنِ الحيوان فإنّه يزعُم أنَّ الفرسَ بالماء الكدِر أشدُّ عُجْباً منه بالماء الصافي، كما أنَّ الإبلَ لا يُعجِبها الماءُ إلاَّ أنْ يكونَ غليظاً، وذلك هو الماءُ النَّمير عندهم، وإنَّما تصلُح الإبل عندَهم على الماء الذي تصلُح عليه الخيل.

(تداوي الحبشة والنوبة بأضراس خيل الماء وأعفاجها)

ويزعُم مَنَ أقام ببلاد السُّودان أنَّ الذين يسكُنون شاطئ النيل من الحبشة والنُّوبة، أنهم يشربون الماء الكدر، ويأكلون السَّمك النِّيء فيعتريهم طحالٌ شديد[1]، فإذا شدُّوا على بطونهم ضِرْساً من أضراس خَيل الماء وجدْوه صالحاً لبعض ما يعرض من ذلك، ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تُبْرِئُ من الصَّرْع الذي يكون في الأهِلّة[2].

(دفاع صاحب الأسد)

وقال بعض من يَنْصُرُ الأسَد[3]: إن الأُسْدَ في الهند أضعَفُ، بل هي ضعيفةٌ جدّاً، والفيل في بلادهم أقوى، والوحشي منها [أجرأ]، والمغتلم لا يقوم له إلا الكركدَّن؛ وإنه ليهجُم عليه[4] فيحجم عنه حتى تذهب عنه سَكْرة الغُلْمة، فيرجعُ إلى معرفةِ حال الكركدَّن فلا يَطور طوَارَه[5]، ولا يحلُّ بأَدانِي أرضه[6].

وأما الفيل فإذا كان غيرَ هائج والأسدُ في غير أيَّام هِيَاجِه[7] ثم يكونُ الأسَدُ عِراقيّاً ويكونُ سَوادِيّاً ويكون من أجَمَة أبْزيقيًا[8] فإنَّ الفيلَ لا يقوم له.

(قول صاحب الفيل)

وقال صاحب الفيل: الفيل لا يُعاينُ أسداً أبْزيقيّاً[9] حتى تفسَخَه البلْدة، وتَهدِمَهُ الوحشة[10]، ويُمرضه الغِذاء، ويُفسده الماء، وهو لا يصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه

---

(1) إنما هو الطحل، بالتحريك، وهو وجع الطحال، بالكسر. ويحتمل أن يكون الجاحظ قد قاسه على الكباد، بالضم، وهو وجه الكبد.

(2) انظر للصرع عند الأهلة ما مضى في (5: 323- 6: 155).

(3) فيما عدا ل: «يبصر بالأسد» تحريف.

(4) ط، هـ: «ليقحم» ش: «ليفحم»، وهذه محرفة. وأثبت ما في ل.

(5) لا يطور طواره: لا يقرب منه. والطور والطوار: ما كان على حذو الشيء أو بحذائه. فيما عدا ل: «طوره».

(6) فيما عدا ل: «ولا يخليه»، محرف.

(7) فيما عدا ل: «سفاده».

(8) فيما عدا ل: «أفريقيا».

(9) فيما عدا ل: «أفريقيا».

(10) فيما عدا ل: «وتوهنه الوحشة».

وبين [ذلك] الأسد، وحتى يَسْمَع تجاوُبَ السَّنانير وتَضَاغيها[1] ـ وهو أسمَعُ من قُراد ـ فيغِبّ ذلك في صدره[2]، وتتزايد [3]تلك الوَحشةُ في نفسه، فمتى رأى أسداً قائماً فربَّما دعَته الوحشة[4] منه، والبغض المجعُول[5] [فيه]، إلى الصُّدُود والذَّهاب عنه، فيظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ ذهابَه هرَب، وأنّ صدودَه جُبْن، وإنَّما هو من الوَحشة منه، والكَراهة لمنظَرَتِه[6]، وربَّما اضطرَّهُ الأسدُ بخُرْقه حتى يُنقَضَ حِلمُه، ويُغلَب وقارُه، فيخبطُه خَبطةً لا يُفلح بعدها أبداً.

(فخر صاحب فرس الماء)

قال صاحبُ الفَرَس: زعمتم أنَّ الأسدَ في الأرض كالعقاب في الهواء، وكالتمساح في الماء، وأنَّ تمساحاً وأَسداً اعتلجا على شريعةٍ فقتَلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، وكأنَّ التمساح ضرب [الأسد] بذنبه في الشريعة، وضغمَ الأسدُ رأْسَه فماتا جميعاً.

قال: والفَرسُ المائيُّ بالنِّيل يقتُلُ التَّماسيحَ ويقهرُها ويأكلها ولا يُساجلُها الحرب، ولا تقَعُ بينهما مغالَبةٌ ومجاذَبة، وتكون الأيام بينهما دُوَلاً، فهذه فضيلةٌ ظاهرة على الأَسد، وشرفُ فَرس الماء راجعٌ إلى فرس الأَرض، فإنْ كان فرسُ الأرض لا يقوى على الأَسَد ولا على النَّمر ولا على البَبْر، فإن ابنَ عمِّه وشكلَه في الجنْسِ قد قوِيَ على التِّمساح وهو رئيسُ سُكان الماء.

قالوا: أَمَّا واحدة فإن التمساح ليس برئيسِ سُكان الماء إلا أَن تَريد[7] بعضَ سكان الأَودية والأَنهار والخُلجان والبُحَيْرات[8] في بعض المياه العذبة، والكوسج واللُّخْم والسَّرَطان والدُّلْفين وضُرُوبٌ من السباع[9] مما يعايشَ السَّمك ليس التمساح من بابه[10]، وعلى أن التمساح إنما[11] يأكله ذلك الفرسُ وهو في الماء، وليس للتمساح في جوف الماء كبيرُ عملٍ إلا أن يحتمل شيئاً بذنبه ويحتجنَه إليه[12]، ويدخله الماء، وربَّما خرج إلى الأرض للسِّفاد ولحضْن البيض، فلا يكونُ على ظهر الأرض شيءٌ أذلُّ منه، وذلُّه على [ظهر] الأرض شبيهٌ

(1) تضاغيها: تصايحها، وهو الضغو والضغاء. فيما عدا ل: «وتضغاطها» محرف.
(2) يغب في صدره: يقع فيه. انظر اللسان 2: 127. فيما عدا ل: «فيثبت».
(3) هـ: «وتزايد» ل: «وتتراد». (4) فيما عدا ل: «حملته الدهشة».
(5) ط، ش: «المجبول».
(6) فيما عدا ل: «لمنظره». وانظر لاستعمال الجاحظ «المنظرة» ما سبق (3: 211/ 5: 32، 40).
(7) فيما عدا ل: «يريد».
(8) البحيرات: جمع بحيرة، وهو البحر الصغير، أدخلوا الهاء فيه على توهم «بحرة». فيما عدا ل: «المتحيزات».
(9) أي سباع البحر. وفيما عدا ل: «من السمك»، تحريف.
(10) فيما عدا ل: «ينهش التمساح من بابه»، محرف.
(11) فيما عدا ل: «ربما».
(12) الاحتجان: الضم والإمساك؛ وأصله أن يجذب الشيء بالمحجن، وهو عصا معقفة الرأس. فيما عدا ل: «ويلحجه إليه»، وهي صحيحه أيضًا، يقال ألحجه إليه، أي أماله.

بذُلِّ الأسَد في وسط الماء الغَمْر، ولَعمري أَنْ لو عَرَض له هذا الفرسُ في الشرائع فغلبه[1] لقد كان ذلك من مفاخره، فلذلك لم تُذْكَر[2] الخيل في باب الغلبة، والقتال والمساجلة، والانتصاف من الأعداء.

والفرَس قد يُقاتل الفرسَ في المُرُوج إذا أراد أن يحمِيَ الحُجور، كما يحمِي العيرُ العانة ويقاتل دونها[3] كلَّ عيرٍ يريد مشاركتَه فيها، وهذا شيءٌ يعرض لجميع الفُحولة في زمن الهيج.

وقد يصاوِلُ الجملُ الجملَ فربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه، ولكنَّ هذه الفَحولَةَ لا تعرِض لشيءٍ من الحيوان في غير هذا الباب.

وإن أرادَ الفرسَ أسدٌ، فليس عنده من إحراز نفسه وقَتْل عدوِّه ما عند الجاموس، فإنْ فضَلَه الجاموسُ بقرنيه، فإن السِّلاح الذي في فَم الفَرس[4] لو استعمله لكان سِلاحاً، ولو استدْبَرَ الأسدَ فركله ورَمَحه وعَضّه بفيه، لكان ذلك ممَّا يدفع عنه ويحمي لحمَه.

وليس للجاموس في أظلافه وفي [يديه و] رجليه وفي فمه سلاح، فقد دلّت الحالُ على أنّ مدارَ الأمر إنَّما هو [في] شَجاعة القلب. وفي هذا القياس أنّ الصَّقْر إنَّما[5] يواثِبُ الكُرْكيَّ لمكان سلاحه دون شجاعة القلب[6] التي يقوى بها الضَّعيف، وبخلافها يضعُف القويّ.

وسأقرّب ذلك عندك[7] ببعض ما تعرِفه، لا نَشكّ[8] أنّ الهرّ أقوى من الهرَّة في كلِّ الحالات، حتى إذا سفِدها فحدثَتْ بينهما بغضاء ومطالبة[9] حدثت للهرَّة شجاعةٌ وللهرِّ ضَعف، فصارت الهرَّةُ في هذه الحال أقوى منه، وصار الهرُّ أضعف، ولولا أنَّه يُمعِن في الهرب غايةَ الإمعان ثمَّ لحقته، لقطَّعته وهو مستخْذٍ.

ومثل ذلك[10] أنَّ الجُرذ يُخْصَى ويرمى به في أنابِير التّجّار[11] وفي الأقرِحَة[12] والبيادر، فلا يدَعُ جُرذاً ضخْماً قد أعيا الهرّ[13] وابن عِرْس إلاَّ قَتَلَه، وإنْ كان أعظمَ منه وأشدّ.

---

(1) فيما عدا ل: «فقتله».
(2) فيما عدا ل: «لم نذكر».
(3) فيما عدا ل: «عليها».
(4) فيما عدا ل: «فإن البيان الذي في القرن» محرف.
(5) ل: «لم».
(6) ل، ش: «قلبه».
(7) فيما عدا ل: «وسأقرر لك ذلك» لكن في هـ، «وسافر»؛ وهذه محرفة.
(8) فيما عدا ل: «لاتشك» بالتاء.
(9) فيما عدا ل: «حدث بينهما بغض ومطالبة» مع زيادة واو الكلام بعدها.
(10) فيما عدا ل: «ومثال ذلك».
(11) الأنابير: جمع أنباع، والأنبار: جمع نبر بالفتح. والأنبار: أهراء الطعام، وهي البيوت الكبيرة الضخمة التي يجمع فيها طعام السلطان. ش: «أبابين»، بالإهمال. هـ: «أبابين» محرفتان. انظر ما سبق في (5: 243).
(12) الأقرحة: جمع قراح، كقذال وأقذلة. والقراح: الأرض المخلصة لزرع أو لغرس، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك. ط، ش: «الأبرجة» هـ: «الأبرحة»، صوابهما من ل. وانظر ما سبق في (5: 218).
(13) ل: «قد غلب الهر».

والخَصيُّ من كلِّ شيءٍ أضعَفُ قوَّةً من الفَحْل إلاّ الجرذ، فإنه إذا خُصي أحدث له الخصاء[1] شجاعةً وجَراءة، وأحدثَتْ له الشَّجَاعة قوَّة وأحدث علم الجرذان بحال الخصاء لها[2] جُبْناً، وأحدَثَ الجُبنُ لها ضعْفاً.

والرَّجُلُ الشّدِيدُ الأسر قد يَفْزَعُ فتنحلُّ قُوَاهُ[3]، ويسترخي عصبُه حتّى يضربه الصبيُّ، والذِّئبُ القويُّ من ذئاب الخمر[4] يكون معه الذئبُ الضعيف [من ذئاب البراري]، فيصيب القويَّ خدشٌ يسيرٌ[5]، فحينَ يَشمّ ذلك الذئبُ الضعيف رائحةَ الدَّم وثب عليه[6]، فيعتري ذلك القويّ عند ذلك من الضّعف بمقدار ما يعتري الضعِيفَ من القُوَّة حتى يأكله كيف شاء.

والأسَد الذي يعتريه الضَّعف في الماء الغَمْر حتّى يركبَ ظهرَه الصبيُّ ثم يقبضَ على أذنيه فيُغطّه[7] كيف شاء.

وقد يفعل به ذلك غِلمان السَّوَادِ وشاطئ الفرات، إذا احتملت المدودُ الأسْدَ لا تملك من أنفُسها شيئاً، وهو مع ذلك يشدُّ على العسكر حتى يفرقه فَرْقَ الشَّعر[8]، ويطويه طيَّ السِّجِل؛ ويهارِشُ النمرَ عامّة يومه[9] لا يقتلُ أحدُهما صاحبَه، وإنْ كان الجمل الهائجُ باركاً أتاه[10] فضرب جنبَه ليثنِيَ إليه عنقَه، كأنه يريد عضّهُ[11] فيضربُ بيساره إلى مشْفره[12] فيجذبه جذبةً يفصل بها [بين] دَأيات عنُقه، وإن ألفاه قائماً وثب وثبة[13] فإذا هو في ذروة سنامه[14]، فعند ذلك يصرِّفه كيف شاء، ويتلعَّب[15] به كيف أحبّ.)

---

(1) فيما عدا ل: «الخصي»، وهو تحريف كتابي.

(2) لها، أي للجرذان التي لم تخص. وفي ش: «له» أي بحال الخصاء للجرذ. أقحمت كلمة «له» بعد «أحدث» في كل من ط، هـ.

(3) فيما عدا ل: «قوته».

(4) الخمر، بالتحريك: ما واراك من شجر وغيره. انظر لذئب الخمر ما سبق في (1: 162/ 4: 74، 75/ 6: 78، 108، 119، 263) فيما عدا ل: «ذئب اللحم» تحريف.

(5) بدلها فيما عدا ل: «فإن رمي القوي أحدى ذلك للضعيف طمعًا».

(6) وثب عليه، كذا وردت في جميع النسخ، على الحكاية. فيما عدا ل: «فعندما يرى الدم وثب عليه».

(7) غطه في الماء يغطه، بضم غين المضارع وكسرها: أي غمسه. ل: «فيعطيه»، محرفة.

(8) فيما عدا ل: «حتى يفرق تفريق الشعر».

(9) اليوم: النهار. فيما عدا ل: «عامة نهاره».

(10) فيما عدا ل: «أني».

(11) ط، هـ: «غصته».

(12) ش: «مشرفة» محرفة ط، هـ: «مشفر فمه»، وأثبت ما في ل.

(13) فيما عدا ل: «وثب به».

(14) فيما عدا ل: «على ذروة سنامه».

(15) فيما عدا ل: «ويلعب».

ونحن لا نشكُّ أنّ للفَرس تحتَ الفارس غَناءً في الحرب لا يُشْبهه غَناء، ولذلك فُضِّل في القَسْم، وإنما ذلك بتصريف راكِبه له، وقتالِه عليه، فأمَّا هو نفسهُ فإنه إذ كان[1] أوفَرَ سلاحاً من الجاموسِ وخام عن قِرنه[2]، واستسلم لعدوِّه؛ فإنّه من هاهنا لا يقدم[3] [على غيره، ولم يكن اللّه ليجعلَ] انحصارَ [جميع] أقسام الخير في شخصٍ واحد، ولكن [لمَّا] أن كان [الفَرَس] عليه تقاتل الأنبياءُ وأتْباع الأنبياء، ملوكَ الكفَّار [وأتْباعَ مُلوك الكُفار[4]] حتّى يقمَع اللّه الباطلَ ويُظْهِر الحقّ؛ فلذلك قدَّمناه على جميع البهائم والسِّباع، وإنما نُقَدِّمه على الوجه الذي قدَّمه اللّه فيه.

(الرد على صاحب فرس الماء)

واعترضَ على أصحاب فرَس الماء معترِضون فقالوا: الفرسُ لا يكون إلاّ بهيمة، والبهائم لا تصيد وتأكل صَيدَها، وإنما طعامُ الفرسِ النَّباتُ وليس اللَّحمُ لها بطعام، وقال النمر بن تولب:

والخيلُ في إطعامها اللّحمَ ضرَرْ نُطْعِمُها اللّحمَ إذا عَزّ الشَّجَرْ[5]

في كلمته التي يقول فيها:

اللّهُ من آياته هذا القمرْ

وقد تُعلَف في تلك الحالاتِ اللّحمَ اليابس وهسيسَ السّمك[6]، فأمّا الهسيس[7] فلخُيول أهل الأسياف خاصّة.

(الانتصار لصاحب فرس الماء)

قيل لهؤلاء المعترضين على فَرَس الماء: وقد يكون في الخلْق المشترك وغير المشترك ما يأكلُ اللَّحمَ والحَبّ، فالمشترك مثلُ الإنسانِ الذي يأكل الحيوان والنبات، و[هذا] العصفور من الخلق [المشترك[8]] لأنّه يأكل الحبّ[9]، ويصطاد النمل الطّيار والأرضة فيأكلُها، ويأكل اللّحم، والدَّجاجُ تأْكل اللَّحمَ والدِّيدان، وتحسُو الدَّمَ وتلقُط الحبّ، والغراب لا يَدَعُ شيئاً إلاّ أكله.

---

(1) فيما عدا ل: «فأما هو في نفسه فإن كان»، محرف.
(2) خام عنه يخيم: نكص وجبن. ط: «وفر عن قرنه» هـ: «والبقر عن قرنه» تحريف. والكلمة التي قبل «قرنه» موضعها بياض في ش.
(3) فيما عدا ل: «لا يقدر».
(4) فيما عدا ل: «وملوك الكفار»، والواو مقحمة.
(5) كتاب البغال 329 والشعراء 268 والأغاني (19: 159) واللسان (لحم).
(6) الهسيس: المدقوق من كل شيء. فيما عدا ل: «حشيش السمك»، محرف.
(7) فيما عدا ل: «الحسيس». وانظر التنبيه السابق.
(8) هذه الكلمة ساقطة من ط.
(9) فيما عدا ل: «يأكل اللحم والصيد».

وما خرج من حدِّ المشترك وهو[1] كنحو الذِّئب والضَّبع، وكنحو الشَّاهين والصَّقر، فإنّ هذه وأشباهَها لا تعرفُ إلا اللَّحم، [والحمامُ] وضروبٌ من الطيرِ لا تعرِف إلاَّ الحبَّ والنَّبات، والمشتركُ أجمَعُ[2] مما هو غير مشترك.

والسّمكة تأكل الطِّين[3] والنّبات، وتأكل الجيف التي تصيب في الماء، وتُصاد بضروبٍ من الحيوان تُجعل لها في الشُّصوص[4]، ثم ينصبون لكلِّ ضربٍ [من السَّمك بضربٍ] من الطُّعم[5].

والجِرّيُّ يأكل الجرذانَ ويصيدُها، وهو آكلُ لها من السّنانير والحيّات والكلابِ السَّلوقية، ويأكلُ الجِرِّيُّ جميعَ جِيفِ الموتى، والسَّمك يأكل السّمكَ ويأكلُ من كلّ حَبّ ونبات يسقط في الماء.

وإن استفهَمَ مستفهِمٌ، أو اعترض معترضٌ فقال: وكيف يأكل الجِرِّيُّ الجرذان، والجرذانُ أرضيَّةٌ بيوتيَّة، والجِرّيُّ مائي؟ قيل له: يخبِّرنا جميعُ مَن يبيتُ في السُّفُن وفي المشارع، في فيض[6] البَصرة عندنا، أنّ جرذان الأنابير[7] تخرُج أرسالاً باللّيل كأنّها بناتُ عِرْس، والجرِّيُّ قد كَمَنَ لهنَّ وهو فاتحٌ فاه، فإذا دنا الجُرذُ من الماء فعبَّ فيه التهمه[8] ليس دون ذلك شيء، بشَجْر فمٍ واسع[9] يَدخُل في مثله الضبُّ الهرم، وإنما يضَع بخطمه على الشَّريعة[10].

(شيء من الطرف والحكم والأشعار)

[وسنذكر شيئاً من الطُّرَف والحِكم والأشعار، إذْ كُنَّا قد ذَكرْنا من الكلام في الحيوان صدراً صالحاً، وأبواباً جامعةً، ثم نعود في ذكر الفيل إنْ شاء اللّه، واللّهُ الموفّق.

قال الشّاعر[11]:

ونحنُ أناسٌ لا حجازَ بأرْضِنا ... معَ الغَيْثِ ما نُلْقَى ومَن هو غالبُ[12]

---

(1) ل: «فهو».
(2) أجمع: أي أكثر جمعًا لضروب الطعام.
(3) فيما عدا ل: «الطير»، تحريف.
(4) الشصوص: جمع شص. وفيما عدا ل: «الشطوط»، محرف.
(5) فيما عدا ل: «من الطعام».
(6) ط فقط: «قيض» تحريف. وفيما عدا ل: «وفي».
(7) الأنابير: سبق تفسيرها في (5: 243). ش: «الأيايير» بالإهمال. هـ: «أيايير» صوابهما في ل، ط.
(8) فيما عدا ل: «التقمه».
(9) شجر الفم: مفرجه. فيما عدا ل: «بسحر»، محرف.
(10) بعد هذه الكلمة في نسخة كوبريلي المرموز إليها بالرمز «ل» تكملة كبيرة تبدأ من المعقف التالي. وسأنبه إلى موضع انتهائها فيما بعد. وموقع هذه الزيادة في نسخة كوبريلي ما بين صفحتي 145، 157، ثم ما بين صفحتي 12، 15، وسننبه إلى نهايتها في ص 108.
(11) هو الأخنس بن شهاب التغلبي، من قصيدة له في المفضليات (204-208).
(12) أي نلقي مع الغيث: كلما وقع في بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله.

وإن قصُرَت أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضاربُ[1]
ترى كلّ قومٍ ينظرون إليهمُ ... وتقصُر عمَّا يبلغون الذَّوائبُ

مثل قول الآخر:

لكلِّ أناسٍ سُلَّمٌ يُرْتَقَى به ... وليس إلينا في السَّلاليم مطلعُ
ومنزلُنا الأعلَى حجازٌ لمن به ... وكلُّ حجازٍ إن هبطناهُ بلقَعُ
وينفِر منا كلُّ وحشٍ وينتمِي ... إلى وَحْشِنا وحشُ البِلاد فيَرْبعُ

وقال حسَّان بن ثابت:

ونَدْمانِ صِدقٍ تقطر الخيرَ كَفُّه ... إذَا راح فَضْفاضَ العشيَّاتِ خِضْرما[2]
وصلتُ به كفِّي وخالَطَ شِيمَتي ... ولم أكُ عِضّاً في الندامى مُلوّما[3]
لنا حاضرٌ فَعمٌ وبادٍ كأنّه ... شماريخُ رَضْوَى عِزَّةً وتكرُّما
ولدْنا بني العَنْقاء وابْنَيْ محرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنما
لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ في الضُّحَى ... وأسيافُنا يقطرْنَ من نجدةٍ دَما

وقال أعرابيٌّ غزليّ:

بنفسي وأهلي مَن إذا عَرَضُوا له ... بِبَعض الأذَى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ[4]
ولم يعتذِرْ عُذْرَ البريء ولم تَزَلْ ... به سَكْتةٌ حتّى يُقَالُ مُريبُ

وقال أعرابيٌّ من هُذيل:

رَعاكِ ضمانُ اللّهِ يا أمَّ مالكٍ ... وللّهُ أن يَسْقِيكِ أولَى وأوسَعُ[5]
يُذكِّرُنِيكِ الخيرُ والشرُّ والذي ... أخافُ وأرجو والذي أتوقَّعُ

(قطعة من أشعار الاتعاظ)

قال الشاعر:

عليك مِنَ امْرِكَ ما تستطيع ... وما ليس يُغْنِيك عنه فَذَرْ

---

(1) انظر تاريخ هذا المعنى في شرح المفضليات (2: 7).
(2) رواية الديوان 370: «ممطر الخير» و: «فياض العشيات».
(3) العض، بالكسر: السيئ الخلق. وعجز هذا البيت في اللسان والمقاييس (عضض).
(4) وكذلك ورد البيتان بدون نسبة في الحماسة (2: 118).
(5) البيتان بدون نسبة في البيتان (3: 330) والحماسة (2: 111).

ولـلـصَّـمْـتُ أجْـمَـلُ فـي حِـيـنِـهِ ... مِـنَ الـقَـوْلِ فـي خَـطَـلٍ أوْ هَـذَرْ
وكـم غـائـبٍ كَـانَ يَـخـشَـى الـرَّدَى ... فـعـادَ وَأوْدَى الـذي فـي الـحـضَـرْ
وبـيـنـا الـفَـتـى يُـعـجـبُ الـنَّـاظـريـ ... ـنَ مـال إلـى عِـطْـفِـه فـانـقـعَـرْ
وبـعـضُ الـحـوادث إن يُـبْـقِـهِ ... فـإنَّ الـفَـنَـا شـأنُـهُ وَالـكِـبَـرْ
وكـم مـن أخـي نـجـدة مـاهـرٍ ... تـعـلَّـقَـه الـدَّهْـرُ حـتـى عَـثَـرْ
وكـم مـن أخـي عـشـرة مُـقْـتِـرٍ ... تـأتَّـى لـهُ الـدَّهـرُ حَـتـى انـجَـبَـرْ

وقال علقمة بن عبدة[1]:

وكـلُّ قـوْمٍ وإن عَـزُّوا وإنْ كَـثُـرُوا ... عَـرِيـفُـهُـمْ بـأَثـافـي الـشَّـرِ مـرجـومُ
والـحـمـدُ لا يُـشْـتَـرَى إلا لـهُ ثـمـنٌ ... مـمَّـا يَـضِـنُّ بـه الأقـوامُ مـعـلـومُ
والـجـهـلُ مَـنْـقَـصَـةٌ شَـيْـنٌ لـصـاحـبِـهِ ... والـحِـلْـمُ آوِنَـةً فـي الـنَّـاس مَـعْـدُومُ[2]
وكـلُّ حِـصْـنٍ وإنْ طـالَـتْ سـلامَـتُـه ... عـلـى دعـائـمـه لا بـدَّ مَـهـدومُ
ومَـنْ تَـعَـرض لـلـغـرْبـانِ يَـزْجُـرُهَـا ... عَـلَـى سَـلامَـتِـهِ لا بُـدَّ مـشـؤومُ
وَمُـطْـعَـمُ الـغُـنْـمِ يَـوْمَ الْـغُـنـمِ مُـطْـعَـمُـهُ ... أنَّـى تَـوَجَّـهَ والـمـحـرومُ مَـحْـرُومُ

وقال عديُّ بن زيد العباديّ، وهو أحدُ من قد حُمِل عَلَى شعره الحَمْلُ الكثير، ولأهل الحِيرة بشعره عنايةٌ، وقال أبو زيدٍ النحويّ: «لَو تمنَّيت أنْ أقولَ الشِّعر ما قلتُ إلا شعرَ عديِّ بن زَيد»:

كَـفَـى زاجـراً لـلـمـرء أيَّـامُ عـمـرِهِ ... تـروح لـه بـالـواعـظـاتِ وتـغـتـدي
فـنفسَك فاحفَظْها من الغيِّ والرَّدَى ... متى تُـغْـوِهـا تُـغْـوِ الـذي بـك يَـقـتَـدِي
فـإنْ كـانـتِ الـنَّـعـمـاءُ عـنـدَك لامـرئ ... فـمـثـلاً بـهَـا فـاجْـزِ الـمُـطـالـب أو زِدِ[3]
عـن الـمـرْء لا تَـسـألْ وأبـصِـرْ قـريـنَـه ... فـإنَّ الـقـريـن بـالـمـقـارِنِ مُـقـتـدِي[4]
سـتُـدرِك مِـن ذي الـجَـهْـل حـقَّـك كـلـه ... بـحـلـمـك فـي رِفْـق وَلَـمَّـا تَـشَـدَّدِ
وظُـلـم ذوِي الـقـرْبَـى أشَـدُّ عـداوةً ... على المرء من وَقْع الحُسام المهنَّدِ[5]

(1) انظر ديوانه 129 والمفضليات 401.
(2) الحلم: نقيض الجهل. وفي الأصل: «والعلم»، صوابه في الديوان والمفضليات.
(3) في الأصل: «فمثلاتها فاجز المطالب أورد». وقد جاء على الصواب الذي أثبت في حماسة البحتري 253.
(4) في حماسة البحتري 336: «وسل عن قرينه».
(5) نسب هذا البيت إلى طرفة في معلقته. وقال التبريزي: «قيل إن هذا البيت لعدي بن زيد العبادي وليس من هذه القصيدة».

وفي كثرة الأيدي عن الظُّلم زاجرٌ إذا خَطرَتْ أيدي الرِّجال بمشهَدِ

قال المهلب بن أبي صُفرة: «عجبْت لمن يشتري المماليك بمالِهِ كيف لا يشتري الأحرارَ بمعروفه».

وقال عبد اللّه بنُ جعفرٍ لرجلٍ يُوصِيه: «عليك بصُحبةِ مَنْ إنْ صحِبْتَهُ زَانَك، وإنْ تركتَه شانَكَ؛ إن سألتَه أعطاك، وإن تركتَه ابتداك؛ إنْ رأى منك سيِّئة سدَّها، وإن رأى حسنةً عدّها؛ وإن وَعَدَك لم يُجْرِضْك وإن ألجِئْتَ إليه لم يرفُضْك[1]».

وسأل يزيدَ بنَ المهلَّب رجلٌ من أصحابه حاجةً وذَكَرَ له خَلّة، فقال: أوجِّهُ بها إليك، ثمَّ حَمَلَ إليه خمسين ألفَ درهم، ثم كتب إليه: «قد وجَّهتُ إليك بخمسينَ ألفَ دِرهم، لم أذكُرْها تمنُّناً، ولم أدَعْ ذكرها تجبُّراً، ولم أقْطَعْ بها لك رَجاء، ولم أُرِدْ بها منك جزاء».

وقيل[2] ليزيد: ما أحسَنُ ما مُدِحتَ به؟ قال: قول زياد الأعجم:

فتًى زَادهُ السُّلطان في الحمد رَغبةً إذا غَيَّرَ السلطانُ كلَّ خليلِ[3]

شبيهٌ بقول الآخر:)

فتًى زادهُ عِزُّ المَهابةِ ذِلَّةً وكلّ عزيزٍ عندَه متواضعُ[4]

وقال الآخر، وهو يدخل في باب الشكر:

شوقي إليك يا أبا العبّاس طيَّرَ ما أبْلَيْتَني نُعاسِي[5]
إنّي لمعروفك غير ناس والشُّكرُ قِدْماً في خيار النَّاسِ

أبيات لبعض الشعراء العميان

أنشدني ابنُ الأعرابيِّ لرجلٍ من بني قُريع يَرْثي عينَه ويذكر طبيباً:

لقد طُفتُ شرقيّ البلادِ وَغَرْبَها فأعْيا عَليَّ الطبُّ والمتطَبِّبُ
يقولون إسماعيلُ نَقَّابُ أعيُنٍ وما خير عَيْنٍ بعد ثَقْبٍ بمثقبِ
يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَه وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيِّبِ

---

(1) أجرضه: أغصه بريقه بالهم والحزن. وفي الأصل: «لم يحرضك» والإحراض: الإفساد.

(2) في الأصل: «فقيل».

(3) في البيان (1: 71): «في الود رفعة». وفي الكامل 366: «في المدح رغبة» وفي الحماسة بشرح المرزوقي 1791: «في الحمد رغبة»، مع نسبته في الحماسة إلى حبيب بن عوف.

(4) البيت في البيان (2: 233).

(5) أبلاه: صنع به صنيعًا. قال زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

ولـكـنَّـه أيّـامَ أنْـظُـرُ طـيِّـبٌ بعـينَيْ قُطاميٍّ علا فوقَ مَرْقبِ[1]
أحمَّ حديدِ الطَّرْف ما خال عينه شآبيبِ ماء المزنة المتصبِّبِ
كأنَّ ابنَ حَجلٍ مدَّ فضلُ جناحه على ماء إنسانيهما ماءَ طُحلبِ

وقال الخُرَيميّ:

كفى حزَناً أن لا أزورَ أحبّتي من القرْب إلاّ بالتَّكَلُّفِ والجهدِ
وأنّي إذا حُيِّيت ناجيتُ قائدِي ليَعدِلَني قبل الإجابة في الردِّ[2]
إذا ما أفاضُوا في الحديث تقاصَرَتْ بيَ النَّفْسُ حتى ما أحِيرُ وما أُبْدِي
كأَني غريبٌ بينهم لستُ منهمُ فإنْ لم يحولوا عن وفاءٍ ولا عَهدِ
أقاسي خطوباً لا يقوم بثِقْلها من الناسِ إلا كلُّ ذِي مِرَّةٍ جَلْدِ

باب في الحاجة

قال ابنُ الأعرابيّ: قيل للأحنف: أتيناك في حاجةٍ، لا تَرْزَؤُك ولا تنكؤك، فقال: «ليس مِثلي يُؤْتى في حاجةٍ لا تَرْزأ ولا تَنكأ».

وقال أعرابيٌّ لرجل: «إني لم أصُنْ وجْهي عن الطَّلب إليك، فصُنْ وجهَك عن رَدِّي، وأنزِلْني مِنْ كرمك بحيثُ وَجْهي مِنْ رجائك».

وقال أبو عقيل بن دُرُسْت: «لم يقْضِ ذِمامَ التَّأميل، ولم يَقُم بحُرمة الرَّجاء إلاّ مَن أعطاها حقَّها، ووفّاها حظَّها، وعرَف قدْرَها، وكيف يستبقي النِّعمة فيها، وكيف الشُّكرُ على أداء حقِّها، بالبِشْر عند المسألة، وقلّةِ التَّضجُّر عند المعاودة، وتوكيد الضَّمان عند العِدَةِ، وانتهازِ الفرصة عند القُدرة، ويكونُ النُّجح المعجل أحبَّ إليه من عُذْر المَصْدَق[3]، وحتّى يرى أنَّ حقّك عليه في بذْل وجهك إليه أكثرُ من حقّه عليك في تحقيق أملك فيه، ثم إيجاب سترها، فإنَّ سَتْرَها هو المخبر عنها، والدالُّ عليها، والزَّائد في قدرها، والمتوَلِّي لنَشرها[4]».

وقال الشاعر:

---

(1) القطامي، بضم القاف وفتحها: الصقر.

(2) يقول: لا أعرف من أين يصدر صوت التحية، وذلك لثقل السمع، فأطلب من قائدي أن يوجهني إلى جهة من حيائي لأرد تحيته. ومثله قول ذي الإصبع في المعمرين 90:

لا أسمع الصوت حتى أستدير له ليلاً وإن هو ناغاني به القمر

(3) المصدق: الصدق، مصدر ميمي.

(4) في الأصل: «لبشرها» محرف.

فـإنَّ إحـيـاءَهـا إمـاتـتُـهـا وإنَّ مَـنّـاً بِـهَـا يـكـدِّرُهـا [1]

باب في الوعد والوفاء به والخلف له

قال عمرو بن الحارث: «كنتُ متى شئتُ أن أجِدَ صفةَ من يَعِد ويُنجز وجدتُه، فقد أعياني من يعدُ ولا ينجز[2]».

وقال أبو إسحاق النَّظام: «كنَّا نلهو بالأماني، ونَطيب أنفساً بالمواعيد، فَذَهَبَ مَنْ يَعِدُ، وقطعَتْنا الهمومُ عن فضُول الأماني».

وقال الشاعر:

قـد بَـلـونـاك بـحـمـد الـلّـه إن أغـنـى الـبـلاءُ[3]
فـإذا جُـلُّ مـواعـيـدِكَ والـجَـحـدُ سـواءُ

وقال أعرابيٌّ: «وعْدُ الكريم نقدٌ وتعجيل، ووعد اللئيم مَطلٌ وتعطيل».

وذمّ أعرابيٌّ رجلاً فقال: «إذا أَوْعَدَ[4] صدق، وإذا وَعَدَ كذب، ويغضَبُ قبل أن يُشتم، ويجزِم قبلَ أن يَعْلَم».

وقال عبدُ اللّه بنُ قيس الرقيَّات[5]:

اخْـتَـرْتُ عـبـدَ الـعـزيـزِ مـرتـغِـبـا والـلّـهُ لِـلـمـرْءِ خَـيـرُ مَـنْ قَـسَـمَـا
مِـن الـبـهـالـيـل مِـنْ أمـيَّـةَ يَـزْ دادُ إذا مـا مَـدَحْـتَـه كـرَمـا
جـاءت بـه حُـرّةٌ مـهـذّبـةٌ كـلـبـيّـةٌ كـان بـيـتُـهـا دِعَـمـا
هُـنَّ الـعَـرَانـيـنُ مـن قـضـاعـةَ أَمْـ ـثـالُ بـنـيـهـنَّ تـمـنـع الـذِّمـمـا[6]
تُـكِـنُّـهُ خِـرْقَـةُ الـدِّرَفْـس مـن الـشَّـمـ ـسِ كـلَـيْـثٍ يُـفـرِّج الأَجَـمـا[7]

---

(1) البيت لعروة بن أذينة، كما في عيون الأخبار (3: 173). وقبله:

لا تـتـركـن، إن صـنـيـعـة سـلـفـت مـنـك وإن كـنـت لا تـصـغـرهـا
إلـى امـرئ، أن تـقـول إن ذكـرت عـنـدك فـي الـجـد لـسـت أذكـرهـا

(2) الخبر في عيون الأخبار 3: 144 وبعده: «قال: وكانوا يفعلون ولا يقولون فقد صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون».

(3) البيتان بدون نسبة في البيان (2: 355) وعيون الأخبار (3: 145).

(4) في الأصل: «وعد».

(5) من قصيدة في ديوانه ص 253– 260 يمدح بها عبد العزيز بن مروان، مطلعها:

طـرقـتـه أسـمـاء أم حـلـمـا أم لـم تـكـن مـن رحـالـنـا أمـمـا

(6) في الأصل: «بينهن»، صوابه من الديوان.

(7) في شرح الديوان: «يريد الراية» يعني خرقة الدرفس.

يـقُـوتُ شِـبْـلَـيـن فـي مَـغـارِهـمـا ... قـد نـاهَـزَا لـلـفِـطـام أو فُـطِـمـا[1]
لـم يـأتِ يـومٌ إلا وعـنـدَهُـمـا ... لـحـمُ رجـال أو يَـوْلَـغـان دَمـا[2]
فـذاك أشـبَـهْـتَـهُ ابـنَ لـيْـلَـى ولـ ... ـكـنَّ ابـنَ لـيـلَـى يـفـوقُـه شـيـمـا[3]
مَـنْ يَـهَـبُ الـبُـخْـتَ والـولائـد كـال ... غِـزْلانِ والـخـيـلَ تـعـلـك الـلـجُـمـا
يُـنـكـر «لا» إنّ «لا» لـمـنـكَـرَةٌ ... مِـنْ فـيـه إلاّ مُـحَـالِـفـاً نَـعَـمـا

وقال زيادَة بن زيد[4]:

إذا فُـرْجَـةٌ سـدّتْ عـلـيـكَ فـروجَـهـا ... فـأنـتَ مُـلاقٍ لا مَـحـالـةَ مَـذْهَـبـا[5]
فـلـم يـجـعـلِ الـلّـهُ الأُمـورَ إذا اغـتـدت ... عـلـيـك رِتـاجـاً لا يُـرامُ مُـضـبَّـبـا
كـفـاك الـغِـنـى يـومـاً إذا مـا تـقـلَّـبـتْ ... بـه صَـيـرفـيّـاتُ الأمـور تـقـلـبـا
وإنـي لـمـزْوَرٌّ قـلـيـلٌ تـقـلُّـبـي ... لـوجـه امـرئٍ يـومـاً إذا مـا تـجـنَّـبـا[6]
قـلـيـلٌ لـيـوم الـشَّـرِّ وَيْـكَ تـعـرُّضـي ... فـإنْ حَـلَّ يـومـاً قـلـتُ لـلـشَّـرِّ مَـرْحَـبـا
مَـلَـكْـنـا ولـم نُـمـلَـكْ وقُـدْنـا ولـم نُـقَـدْ ... وكـان لـنـا حـقّـاً عـلـى الـنـاس تُـرْتُـبَـا[7]

وقال هُدْبة العُذْرِيّ[8]:

فـأُب بـي إلـى خـيـرٍ فـقـد فـاتـنـي الـصِّـبـا ... وصِـيـحَ بـريْـعـان الـشَّـبـاب فـنُـفِّـرا[9]
أمُـورٌ وألـوانٌ وحـالٌ تـقـلَّـبـتْ ... بـنـا وزمـانٌ عُـرْفُـه قـد تـنـكّـرا

---

(1) في الديوان: «شبلين عند مطرقة». وفي الأغاني (4: 160): «وترضع شبلين وسط غيلهما». وفي اللسان (ولغ): «مرضع شبلين». وقد نسب البيت وتاليه في اللسان إلى ابن هرمة؛ قال: «ونسبه الجوهري لأبي زبيد الطائي». وهذا وهم في النسبة والرواية.

(2) يقال ولغ يولغ، مثل وجل يوجل. وروى: «يألغان دما»، ولذلك قصة ذكرها صاحب الأغاني. ورواية الأغاني واللسان: «ما مر يوم إلا وعندهما».

(3) هذا على الالتفات. ورواية الديوان: «فذاك شبهته ابن ليلى»؛ يقال شبهه إياه وشبهه به.

(4) في الأصل: «زياد بن زيد»، تحريف. وزيادة بن زيد، هو ابن أخت هدبة بن الخشرم، كما في اللسان (رتب). وقد قتله هدبة كما في الأغاني (21: 172).

(5) في الأغاني (21: 172): «وإن جهة سدت عليك فروجها».

(6) في حماسة البحتري 85 والأغاني: «وإني لمعراض قليل تعرضي».

(7) ترتبا، أي ثابتا، كما في اللسان (رتب) عند إنشاد البيت. ويروى كما في اللسان. «فضل على الناس ترتبًا» ومعناه في هذه الرواية: على الناس جميعًا. ورواية الأغاني: «كان لنا حقًا».

(8) هو هدبة بن خشرم، شاعر فصيح من بادية الحجاز، وكان راوية للحطيئة، وهو وإخوته حوط وسيحان والواسع، وأمه حية بنت أبي بكر بن أبي حية، شعراء جميعًا. وكان بينه وبين زيادة بن زيد مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدبة لزيادة انظر الأغاني (21: 169-173).

(9) في الأصل: «فأوبني إلى خير»، تحريف.

أُصِبْنا بما لو أنّ سَلْمى أصابَهُ ... لَسُهِّلَ من أركانه ما توعَّرا[1]
فإن ننجُ من أهوالِ ما خاف قومُنا ... علينا فإنّ اللّهَ ما شاء يَسَّرَا
وإنْ غالَنا دهرٌ فقد غال قبلَنا ... ملوكَ بني نَصْرٍ وكِسرى وقَيْصَرَا[2]
وذي نَيربٍ قد عابَني لينالَني ... فأعيا مَداهُ عن مَدَايَ فقَصَّرا[3]
فإن يكُ دَهرٌ نالني فأصابَني ... برَيْبٍ فإنْ تُشْوِي الحوادثُ مَعْشَرا[4]
فلستُ إذا الضَّرَّاءُ نابَتْ بجُبَّأ ... ولا جَزِعٍ إنْ كان دَهرٌ تغيَّرَا

وكان هُدبةُ هذا من شياطين عُذْرة، وهذا شعرهُ كما ترى، وقد أُمِرَ بضرب عنقه وشَدّ خِناقه، وقليلاً ما ترى مثلَ هذا الشّعر عند مثل هذه الحال؛ وإنَّ امرأً مجتمعَ القلب، صحيحَ الفكر، كثير الرين[5]، عَضْبَ اللّسان في مثل هذه الحال، لَنَاهِيكَ به مطلقاً غير موثق، وادِعاً غير خائف، ونعوذ باللّه من امتحان الأخيار.

وهو القَائلُ في تلك الحال:

فلا تعذليني لا أرى الدهر معتباً ... إذا ما مضى يومٌ ولا اللوم مُرجِعا
ولكن أرى أن الفتى عرضة الرَّدَى ... ولاقي المنايا مصعدا ومفرعا[6]
وإن التقى خير المتاع وإنما ... نصيب الفتى من ماله ما تمتَّعا[7]
فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... أغم القفا والوجهِ ليس بأنزعا[8]

---

(1) سلمى: أحد جبلي طيئ، وهما أجأ وسلمى.

(2) في العمدة (2: 178) عند ذكر عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي أحد ملوك الحيرة: «ويقال إن نصرًا هذا هو الساطرون صاحب الحضر. وهو جرمقاني من أهل الموصل، وقيل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان».

(3) النيرب، بالفتح: الشر والنميمة. وفي الأصل: «وذي يثرب»، محرف.

(4) تشوي: تخطئ ولا تصيب. و«إن» قبلها نافية». وبين النحويين خلاف في نحو هذا التعبير، فقال بعضهم: لا تأتي إن النافية إلا وبعدها«إلا». ورد عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ﴾ [الجن: 25]، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾ [الأنبياء: 111]، و ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: 26]. انظر ابن هشام في المغني.

(5) كذا في الأصل. ولعلها: «الزبن» أي الدفع.

(6) مفرعًا، هنا بمعنى منحدرًا، وفي الأصل «مفزعًا» تحريف. والتفريع من الأضداد؛ يقال فرعت في الجبل، إذا صعدت، وفرعت أي انحدرت. انظر اللسان (فرع 119) والأضداد 275.

(7) البيت في حماسة البحتري 250.

(8) البيت في اللسان (10: 230). وقد روى في حماسة البحتري 189 من بيتين هما:

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا ... أكيبد مبطان الضحى غير أروعا
كليلا سوى ما نال من أمر ضرسه ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

وللشعر قصة في الأغاني (21: 175) والخزانة (4: 84-88). وبعض الأبيات في عيون الأخبار (4: 15) بدون نسبة.

ضـروبـا لِـلَـحـيـيـه عـلـى عَـظْـم زَورِه إذا الـقـوم هـشُّـوا لـلـفَـعَـال تـقـنَّـعـا[1]
وأخـــرى إذا مـــا زار بـــيـــتـــك زائـــرٌ زيـالـك يـومـاً كـان كـالـدهـر أجـمَـعـا[2]
سـأذكـر مـن نـفـسـي خـلائـقَ جـمّـةً ومـجـداً قـديـمـاً طـالـمـا قـد تـرفَّـعـا
فـلـم أر مـثـلـي كـاويـاً لـدوائِـه ولا قـاطـعـاً عِـرقـاً سَـنُـونـا وأخـدعـا[3]
ومـا كـنـت مـمّـن أرَّث الـشـرَّ بـيـنَـهـم ولا حـيـن جـدَّ الـشَّـرُّ مـمـن تـخـشّـعـا
وكـنـت أرى ذا الـضِّـغـنِ مـمـن يـكـيـدنـي إذا مـا رآنـي فـاتـر الـطـرفِ أخْـشَـعـا

وما قرأتُ في الشِّعر كشعر عبد يغوث بن صَلاءةَ الحارثيّ، وطرفة بن العَبْد، وهدبة هذا، فإنّ شِعرَهم في الخوفِ لا يقصِّر عن شِعرهم في الأمْن[4]، وهذا قليلٌ جدّاً.

من أشعار الأعراب

أنشدني ابنُ الأعرابيِّ في معنى قوله:

كـمـخْـض الـمـاءِ لـيـس لـه إتَـاء[5]

ومـا كـان مـثـلـي يـعـتـريـكَ رجـاؤُه ولـكـن أسـاءَتْ هِـمّـةً مِـن فـتـى مَـحْـضِ
وإنّـي وإشـرافـي إلـيـك بـهـمَّـتـي لكالمرْتجي زُبداً من الماء بالمخضِ

وقال الآخر في مثل قول عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة:

فـلـولا اتّـقـاءُ الـلّـه قـلـتُ مـقـالـةً تـسِـيـر مـع الـرُّكـبـان أبْـرَدُهـا يَـغْـلِـي
أبِـنْ لـي فـكـنْ مِـثْـلِـي أوَ ابْـتـغ صـاحـبـاً كـمـثـلـكَ إنـي مُـبْـتـغٍ صـاحـبـاً مِـثـلـي[6]

---

(1) في الأصل: «لحيبه»، صوابه في حماسة البحتري 189، وبعد البيت في حماسة البحتري:

أصيهب لا يرضيك في الحي قاعدًا إذا مـشـى أو قـال قـولاً تـبـلـتـعـا
وكـونـي حـبـيـسـا أو لأروع مـاجـد إذا ضـن أوبـاش الـرجـال تـبـرعـا
وصـول وذي أكـرومـة وحـمـيـة وصـبـر إذا مـا الـدهـر عـض فـأوجـعـا

(2) كذا في الأصل.

(3) في الأصل: «عرفا» بالفاء، تحريف. والسنون، بالفتح: وصف من سن الماء أي أرسله من غير تفريق؛ فإذا فرقه بالصب قيل «شن» بالشين المعجمة، والسنون لم يذكر في المعاجم.

(4) نحو هذا الكلام في البيان والتبيين (2: 268). أما شعر عبد يغوث فإنه يعني به القصيدة اليائية التي رواها الضبي في المفضليات (155-158). وانظر الأمالي (3: 132) والأغاني (15: 72) والنقائض 153. وأما شعر طرفة فلم أقف عليه.

(5) عجز بيت للربيع بن أبي الحقيق رواه الجاحظ في البيان (3: 203) والحيوان (3: 38). وصدره كما فيهما وكما في اللسان (18: 19):

وبـعـض الـقـول لـيـس لـه عـنـاح

(6) في الأصل: «أو اتبع... فإني متبع»، والوجه ما أثبت.

ولا يلبثُ الأصحابُ أن يتفرَّقُوا إذا لم يؤلَّف رُوح شكلٍ إلى شكلِ

فقال:)

لكلِّ امرئ شكلٌ يقرُّ بعينه وقُرَّةُ عينِ الفَسْل أن يتبع الفَسْلا[1]

وتعرف في جُودِ امرئ جُودَ خالِه ويَنذُلُ أنْ تلقَى أخَا أمِّهِ نَذْلا[2]

وفي غير هذا الباب يقول الجَرَنفس اللص[3]:

أبلغ بني ثعَلٍ عنِّي مُغَلغَلةً فقدْ أتَى لكَ مِنْ نِيءٍ بإنْضَاجِ

أمَّا النهارَ ففي قَيْدٍ وسِلسلةٍ واللّيلَ فِي جوفِ منحُوتٍ من السَّاجِ

وقال بعضُ اللصوص:

أقَيْدٌ وَحَبْسٌ واغْترَابٌ وفرقةٌ وهَجْرُ حبيبٍ إنَّ ذَا لَعظيمُ[4]

وإن امرأً دَامت مَواثِيقُ وَدِّهِ عَلَى عُشْرِ ما بي إنَّه لَكريمُ

ومن المراثي المستحسَنة قولُ حارثة بن بدر الغُدانيّ، يرثي زياداً بنَ أبيه[5]:

أبَا المغيرةِ والدُّنيا مغيِّرةٌ[6] وإنّ مَن غَرّت الدُّنيا لَمَغْرُورُ

قد كانَ عِندَك للمعروف مَعرِفةٌ وكان عندك للنَّكراء تنكيرُ

وكنتَ تُؤْتَى فتُؤْتي الخيرَ من سعةٍ إن كان قبرُك أمْسَى وهو مهجورُ[7]

صلَّى الإلهُ على قبرٍ بِمَحْنِيةٍ دُونَ الثّويّة يسفي فوقَهُ المُورُ[8]

وأنشد ابنُ الأعرابيّ:

وما حسَبُ الأقوامِ إلا فِعالهم ورُبَّ حسيب الأصلِ غيرُ حَسيبِ

وقال الآخر في مثله:

---

(1) الفسل، بالفتح: الرذل النذل الذي لا مروءة له ولا جلد. وفي الأصل: «الفيل أن يتبع الفيلا»، تحريف، وقد جاء على الصواب الذي أثبت في اللسان (14: 179).

(2) في الأصل: «ويبذل أن تلقى»، صوابه ما أثبت مطابقًا ما في اللسان.

(3) الجرنفس، بالجيم والراء المفتوحين وآخره سين مهملة، ذكره ابن دريد في الاشتقاق 233.

(4) البيتان في البيان (4: 62). وهما في الحماسة (2: 111) برواية أخرى.

(5) الأبيات في زهر الآداب (4: 57) والأغاني (21: 19) ومعجم البلدان (الثوية).

(6) في زهر الآداب فقط: «مفجعة». وفي معجم البلدان: «وإن من غر بالدنيا».

(7) في زهر الآداب: «وكنت تغشى فتؤتي المال في سعة». وفي الأغاني: «تؤتي فتعطي الخير عن سعة»، وفي زهر الآداب: «فالآن بابك أمسى»، وفي الأغاني: «فاليوم بابك دون الهجر مهجور».

(8) الثوية، بفتح الثاء وضمها: موضع قريب من الكوفة. وفي معجم البلدان وزهر الآداب: «على قبر وطهره* عند الثوية». وفي الأغاني:

إن الرزية في قبر بمنزلة يجري عليها بظهر الكوفة المور

لـيس الـكـريـمُ بـمَـنْ يـدنِّـسُ عِـرضَـه وَيَـرَى مُـرُوءتَـه تـكـون بـمـنْ مـضَـى
حَـتَّـى يَـشِـيـدَ بـنـاءَهـم بـبـنـائِـه وَيَـزِيـنَ صـالـحَ مـا أَتَـوْه بـمـا أَتَـى

وقال عبد اللّه بن معُاويةَ بنِ عبد اللّه بن جعفر:

لَـسْـنـا وإنْ كـرُمَـتْ أوائِـلُـنـا يـومـاً عـلـى الأحـسـابِ نَـتَّـكِـلُ
نَـبْـنـي كـمـا كـانـت أوائـلُـنـا تَـبْـنـي ونَـفْـعَـلُ مِـثْـل مـا فَـعَـلـوا [1]

وقال عُمر بنُ الخطّاب: «كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خَلةٌ من ثلاث: أن يبدو له مِن أخيه ما يخفى عليه من نفسه، أو يَعيبَ شيئاً ثم يأتيَ مثله، أو يؤذِيَ جليسَه فيما لا يعنيه».

ووصف أعرابيٌّ رجُلاً فقال: «آخَذُ النَّاسِ بما به أمَرَ، وأتْرَكُهم لما عنه زَجَر».

(من هجا امرأته)

قدِم أعرابيٌّ فحلَفَ بطلاقِ امرأتَيه على شيء فحنث ثم هربَ فقال:

لـو يـعـلـم الـغـرَمـاء مـنـزلَـتَـيْـهـمـا مـا خـوَّفـونـي بـالـطّـلاقِ الـعـاجـلِ
قـد مَـلَّـتـا وَمَـلِـلْـتُ مـن وجْـهَـيـهـمـا عـجـفـاءُ مـرضِـعـةٌ وأُخـرَى حـامـلُ

وقال الأقرع بن مُعاذ القُشَيريّ:

لَـعـمـرُك إنّ الـمـسّ مـن أمِّ خـالـدٍ إلـيَّ وإنْ ضـاجَـعْـتُـهـا لَـبـغـيـضُ
إذا بُـزَّ عـنـهـا ثـوبُـهـا فـكـأنـمـا عـلـى الـثّـوب نـملٌ عـاذمٌ وبَـعـوضُ [2]

وقال أعرابيٌّ يتألّهُ، لامرأته، وما الأعرابُ وهذا المذهبُ، ولكن كذا وقَعَ، واللّه أعلمُ بكثيرٍ من الرِّواية:

لـولا مـخـافـةُ ربِّـي أنْ يُـعـاقِـبَـنـي وأنَّـهـا عِـدَّةٌ تُـقْـضَـى وأوتـارُ
لـقـد جـعـلْـتُ مـكـانَ الـطّـوقِ ذا شُـطَـبٍ وتُـبْـتُ بـعـدُ فـإنّ الـلّـه غـفّـارُ

وقال بعض المولَّدين:

تـجـهَّـزي لـلـطَّـلاقِ وانـصـرِفـي ذاكِ جَـزَاءُ الـجـوامِـحِ الـشُّـمُـسِ [3]

[فأجابتْه المرأة[4]]:

---

(1) البيتان رويا في حماسة أبي تمام (2: 365) منسوبين إلى المتوكل الليثي.
(2) في الأصل: «إذا فرشتنا». عاذم: ذو عض. وفي الأصل: «عازم».
(3) جمحت المرأة: خرجت من بيت زوجها إلى أهلها قبل أن يطلقها. وفي الأصل: «الحوائج» تحريف. والشمس: جمع شموس، وهي النفور.
(4) ليستا في الأصل. وبهما يصح الكلام.

لَـلَـيْـلَـتـي حـيـن بِـتُّ طـالـقـةً ... أَلـذُّ عِـنْـدِي مِـنْ لَـيـلـة الـعُـرُسِ

وأنشدني ابنُ الأعرابيِّ لأعرابي:

قد قرنوني بعجوز جَحْمَرِشْ ... ناتية الناب كَزُوم قَنْفَرِشْ [1]
كأنما دلالها على الفُرُشْ [2] ... من آخر الليل كلاب تهترشْ
وجلدُها من حكها القمل بَرِشْ ... كأن طيَّ بطنها كَرِشْ
فَقْماءُ في حِضْنِ الضجيع تهتمش ... تَخَشْخشَ الضَّبِّ دنا للمُحتَرِشْ

وقال رجلٌ من بني نُميرٍ لامرأته، وكانت حضَرية:

لَعمري لأَعرابيّةٌ بدويةٌ ... تظلُّ بِرَوْقَيْ بَيتها الرِّيحُ تخفقُ
أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفِنَّةٍ ... إذا رُفعَت عنها المراويحُ تعرقُ [3]
كبِطّيخةِ البُسْتان ظاهرُ جِلدها ... صحيحٌ ويبدُو داؤها حين تُفْتَقُ

وأنشدني محمد بن يَسِير [4] في امرأته أو في غيرها:)

أَنبِئْتُ أنَّ فتاةً كنتُ أخطبُها ... عُرقوبُها مِثلُ شَهر الصَّوم في الطولِ
أسنانُها مائةٌ أو زِدْن واحدةً ... كأنّها حين يبدو وَجْهُها غُولُ

وإنما أكتب لك من كلّ بابٍ طَرَفاً، لأنّ إخراجَك مِن بابٍ إلى باب أبقى لنشاطك، ولو كتبتُه بكمالِه لكان أكملَ وأنبل، ولكن أخافُ التَّطْويل، وأنتَ جديرٌ أن تعرف بالجملةِ التّفصيلَ، والآخر بالأوّل.

(مَن هجتْه زوجته)

قالت عصيمة الحنظليّة:

كأنّ الدّارَ حين تكونُ فيها ... علينا حُفْرَةٌ مُلِئَتْ دُخانا
فليتَك في سَفين بني عِبادٍ ... فتصبِحَ لا نَرَاك ولا تَرانا [5]
فلو أنّ البُدور قَبِلْنَ يوماً ... لقد أعطيتُها مائةً هِجانا

وقالت امرأةٌ من بني ضبة لزوجها:

---

(1) الكزوم: الهرمة المسنة. والقنفرش: العجوز الكبيرة.
(2) دلالها، أي ما يظهر لها من صوت حين تبدي دلالها.
(3) الضناك، بالكسر: الضخمة الثقيلة العجيزة. والضفنة: الرخوة الضخمة.
(4) في الأصل: «بشير»، تحريف. وانظر البيت الأول مما يلي في عيون الأخبار (1: 317).
(5) في الأصل: «فتصبح لا يزال»، محرف.

تـراهُ أهْـوَجَ مـلـعـونـاً خـلـيـقـتُـه ... يـمشي على مِثْل معوَجِّ العراجينِ
ومـا دعـوتُ عـلـيـه قـطُّ ألـعـنُـه ... إلاّ وآخَـرُ يَـتْـلُـوهُ بـآمِـيـنِ
فـلـيـتَـه كـان أرضُ الـرُّوم مَـنْـزلَـه ... وأنَّـني قـبـلَـه صُـيِّـرتُ بـالـصِّـينِ[1]

وقالت جمرة الأزدية لزوجها أبي وائل:

لـعـمـرك مـا إنْ أبـو وائـل ... إذا ذُكِـرَ الـقـومُ بـالـطـائـلِ
فـيـا لـيـتـنـي لـم أكـنْ عِـرْسَـه ... وعُـوجِـلْـتُ بـالـحـدَث الـعـاجـلِ

وقالت امرأةٌ من بني زياد الحارثي[2]:

فـلا تـأمُـرُونـي بـالـتـزوُّج إنّـنـي ... أريـد كـرامَ الـنَّـاس أو أتـبـتَّـلُ
أريـد فـتًـى لا يـمـلأُ الـهَـوْلُ صـدرَه ... يُـريحُ عـلـيـه حـلـمُـه حـين يـجـهـلُ
كـمثل الفتَى الجعْدِ الطَّويل إذا غَدا ... كـعـالـيـة الـرُّمـح الـطـويـل أوَ اطـوَلُ

وقالت امرأةٌ من باهلة[3]:

أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُه ... كـأنَّ بـه كـلَّ فـاحـشـةٍ وَقْـرَا
سـلـيـمُ دَوَاعِـي الـصَّـدْرِ لا بـاسـطٌ أذًى ... ولا مـانـع خـيـراً ولا قـائـلٌ هُـجْـرا
كَمثل الفتى الذُّهْليّ تحسِبُ وجهَه ... إذا مـا بـدا فـي ظـلـمـةٍ طـالـعـاً بَـدْرا

وقال لبيد بن ربيعة:

إنـمـا يـحـفـظُ الـتـقَـى الأبـرارُ ... وإلـى الـلّـه يـسـتـقـرُّ الـقَـرَارُ
وإلـى الـلّـه تُـرْجَـعُـونَ وعِـنْـدَ ... الـلّـه وِرْدُ الأمـورِ والإصـدارُ
إنْ يَـكُـنْ فـي الـحـيـاة خـيـرٌ فـقـد أُنـ ... ـظِـرتُ لـو كـان يـنـفـع الإنـظـارُ
عـشْـتُ دهـراً فـلـن يـدوم عـلـى الأيّـا ... م إلا يَـــرَمْـــرَمٌ وَتِـــعَـــارُ

وأنشدني الأصمعيُّ قال: أنشدني رجلٌ، ولم يُسمِّهِ:

إذا مـا بَـدا عـمـرٌو بـدَتْ مـنـه صـورةٌ ... تـدلُّ عـلـى مـكـنـونِـهِ يُـقْـبِـلُ
بـيـاضُ خُـراسـانٍ ولُـكْـنَـةُ فـارسٍ ... وَجُـثَّـةُ رُومـيٍّ وشَـعـرٌ مُـفَـلْـفَـلُ

---

(1) إلى هنا ينتهي القسم الأول من التكملة وهو نهاية ص 156 من نسخة كوبريلي. وتبدأ بعده بقية التكملة من منتصف ص 11 من نسخة كوبريلي إلى ما يقرب من نهاية ص 17. وعلة هذا الاضطراب تهاون الناسخ أو جامع نسخة أصل الناسخ. وقد رددت الوضع إلى نصابه بهذا الترتيب.

(2) كذا في الأصل. (3) الأبيات نسبت في الحماسة (2: 16) إلى سالم بن وابصة.

(4) الأبيات في ديوان لبيد ص10– 13 طبع فيينا سنة 1880. ويرمرم وتعار بكسر التاء: جبلان في بلاد بني قيس. وفي الأصل: «يدمدم ويعار» تحريف.

لـقـد ألَّـفَـتْ أعـضـاءُ عـمـرٍو عـصِـابـةٌ يـدُلُّ عـلـيـهـا آخِـر الـقَـوْمِ أوَّلُ

وقالت أخت ذي الرُّمّة ترثيه[1]:

تـعـزَّيـت عـن أوفَـى بـغَـيـلانَ بـعـدَه عَـزاءً وجـفـنُ الـعَـيـن مَـلآن مـتْـرَعُ
ولَـمْ تـنْـسِـنـي أوفَـى الـمـصـيـبـاتُ بَـعْـدهُ ولـكـنَّ نَـكْءَ الـقَـرْح بـالـقَـرْح أوجَـعُ

وذو الرُّمَّة القائل: «إذا قلت كأنَّ فلم أجِدْ مخْرجاً فقطَعَ اللّهُ لِسَاني[2]».

وأنشد:

لا أتَّـقـي حَـسَـكَ الـضَّـغـائـنِ بـالـرُّقـى فِـعْـلَ الـذَّلـيـلِ ولـو بَـقِـيـتُ وحِـيـدا
لـكـن أعِـدُّ لـهـا ضـغـائـنَ مِـثـلـهـا حـتَّـى أُدوايَ بـالـحُـقـود حُـقـودا
كـالـخـمـرِ خَـيْـرُ دوائـهـا مـنـهـا بـهـا تَـشْـفـي الـسَّـقـيـمَ وتُـبْـرِئُ الـمـنـجـودا[3]

فأخذ الحِكَميُّ هذا فقال:

وكـأْس شـرِبْـتُ عـلـى لـذَّةٍ وأخـرَى تـداوَيْـتُ مـنـهـا بـهـا[4]

وقال ابنُ هَرْمة:

إنَّ أيـاديـك عـنـدي غـيـرُ واحـدةٍ جَلَّت عن الوَصْف والإحصاء والعددِ
ولـيـس مـنـهـا يـدٌ إلاَّ وأنْـتَ بـهـا مُـسـتـوجِـبُ الـشُّـكـرِ مـنِّي آخِـرَ الأبـدِ

وقال الآخر:

سـأشـكُـرُ مـا أبْـقـانـيَ الـلّـهُ خـالِـداً كـشـكْـري ولا يَـدْري عـلـيَّ بـن ثـابـتِ
حـمَـلْـتُ عـلـيـه مُـثْـقِـلاً فـأطـاقَـهُ وحَـمَّـلَـنـي مِـن شـكـرِه فـوقَ طـاقَـتـي

ورأى رجلٌ من النبيط الحجَّاج بعد موته في منامه فقال: يا حجَّاج، إلامَ صيَّرك ربُّك؟ فقال: وماذا عليك يا ابن الزَّانية، فقال: ما سِلمْنا مِن قَولك مَيْتاً، ولا مِن فِعْلكَ حَيّاً.

وقال الأشهب ـ رجلٌ من أهل الكوفة ـ يهجو نُوح بن دَرَّاج:

إنّ الـقـيـامـة فـيـمـا أحـسَـبُ اقـتـربـتْ إذ صـار حـاكـمـنـا نـوحُ بـنُ درَّاجِ
لـو كـان حَـيّاً لَـهُ الـحـجَّـاجُ مـا سَـلِـمَـتْ صَـحـيـحـةً يـدهُ مـن نَـقْـش حَـجَّـاجِ

وكان الحجَّاج يَشِمُ أيديَ النَّبَط علامةً يُعْرَفون بها.

(1) الشعر منسوب في الحماسة (1: 328) إلى هشام بن عقبة، يرثي أخويه: أوفي، وذا الرمة. والتحقيق أنه لمسعود أخي ذي الرمة يرثي ذا الرمة وابن عمه أوفى بن دلهم. انظر حواشي (6: 329).
(2) يعني بذلك قدرته على التشبيه.
(3) المنجود: المكروب، والمعيي.
(4) انظر العقد (6: 378).

وقال رجلٌ من طيّئ لرجلٍ من فَزارة، وكان الرجل يتوعّده:

فإن كان هذا يا فزارُ تجلُّباً ... لنخشى فما نرتاع للجلباب
أألآن لما أنْ علا الشيبُ مَفرِقي ... وصارت نُيُوب العَوْدِ مختلفاتِ
فلو أن سافي الريح يَحمِلُكمْ قَذىً ... لأعيُنِنا ما كنتمُ بقذاةِ
ألستَ فزارياً تبيَّنَ لؤمُه ... إذا قام بين الأنفِ والسَّبَلاتِ
ترى الخيل تستحي إذا ما ركبتم ... عليها حياء البُدّنِ الخَفِرَاتِ

وقال أبو عبيدة: «ما ينبغي أن يكون في الدُّنيا مثل النظَّام: سألتُه وهو صبيّ عن عَيب الزُّجاج، فقال: سريع الكَسْرِ، بطيء الجبر».

ومَدَحوا النَّخلةَ عِندَه، فقال: صعبةُ المرتقى، بعيدةُ المَهْوَى، خشِنة المسّ، قليلة الظلّ.

وذكر النظّام الخليلَ بن أحمدَ فقالَ: «توحَّدَ به العُجْبُ فأهلكَه، وصَوَّر له الاستبدادُ صوابَ رأيه فتعاطى ما لا يحسنُه، ورامَ ما لا يناله، وفتنَتْه دوائرُه التي لا يحتاج إليها غيره[1]».

وكان أبو إسحاق إذا ذكر الوهمَ لم يشكَّ في جُنونه، وفي اختلاط عقله، وهكذا كان الخليلُ، وإن كان قد أحسَنَ في شيء.

وكان[2] النظَّام كثيراً ما ينشد:

فلو كنت أرضَى لا أبالكَ بالذي ... به الخامل الجثَّامُ في الخفْض قانعُ
قُصِرْتُ علَى أدْنى الهموم وأصبحَتْ ... عَلَيّ وعندي للرِّجال صنائعُ

وقال المَريسيُّ[3] لأبي الهُذيل بحضرة المأمون، بعد كلام جرى: كيف ترى هذه السِّهام؟ قال: ليِّنة كالزُّبد، حُلوة كالشَّهد، فكيفَ ترى سهامَنا؟ قال: ما أحسستُ بها، قال: لأنَّها صادفَتْ جَماداً.

وأُنشِدَ أبو الهذيل:

فإذا توهَّمَ أنْ يَراها ناظرٌ ... ترَكَ التَّوهّمُ وجْهَها مَكلُوما

فقال: «هذِهِ تُناكُ بأيرٍ من خاطر» وأنشدني أبو الهذيل بعد أن أنشد هذا البيت:

اسجُدْ لقِرد السَّوء في زمانِهِ ... ولا تُسَائِلْ عن خَبيءِ شانِهِ[4]

وقال آخر:

---

(1) يعني دوائر العروض.
(2) في الأصل: «فكان».
(3) هو بشر بن غياث المريسي، صاحب المريسية، من مرجئة بغداد. ونسبته إلى «مريس»: قرية بصعيد مصر، أخذ عن أبي يوسف الفقه، فلما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف. توفى سنة 218. انظر الفرق بين الفرق 192 ولسان الميزان (2: 29) والسمعاني 523-524 وتاريخ بغداد 3516.
(4) انظر شبيه هذا الرجز في الحيوان (1: 245)، واللسان (20: 36).

كم من كريم ضعْضَع الدَّهرُ حالَهُ وكم مِنْ لئيم أصبَحَ اليومَ صاعِدَا
وقد قال في الأمثال في النَّاسِ واعظٌ بتجربةٍ أهْدَى النَّصيحةَ جاهِدَا
إذا دولةٌ للقِرد جاءت فكُنْ لهُ وذلك من حُسن المداراة ساجدَا[1]
بذاك تداريه ويُوشِكُ بعَدَها تَراه إلى تُبَّانِهِ الرَّثِّ عائدَا

وأنشدني الأصمَعيُّ في معنى قول الفرزدقِ:

بهِ لا بظبيٍ بالصَّريمةِ أعفرا[2]

لرجل من بني القَين:

أقول لصالحٍ لما دَهَتْهُ بَناتُ الدَّهرِ ويْحَكَ ما دَهَاكا
شجاك العَزْلُ لا بأخِي نوالٍ منَ الفتيان كُربة ماشَجَاكا
أتيتك زائراً فرجَعتُ صِفْراً كذاك تكون أوبةُ من أتاكا
أحبُّ لك السلامة يا ابن أُمِّي وإن كنتَ امرأ بخِلَتْ يَدَاكا
حفاظاً للعشيرة لا بِعُرفٍ فإن العُرف مَنَّ به سِواكا

وقال الفرزدق:

ألا خبِّرُوني أيُّها الناس إنَّني سألتُ ومن يَسْأَلْ عن العِلم يَعْلَمِ
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِل العلمَ صدرُه وما العالم الواعي الأحاديثِ كالعَمي

وقال أيضاً:

ألم تعلموا يا آل طَوْعةَ أنما يَهيجُ جَليلاتِ الأمور دقيقُها
سَأُثْني على سعدٍ بما قد عَلِمْتُهُ وخير أحاديث الرِّجال صدوقُها[3]

قال أبو عثمان: ومما أكتب لك من الأخبار العجيبة[4] التي لا يجسُر عليها إلا كلُّ وَقَاحٍ أخبارُ بعضِ العلماء وبعض من يؤلِّف الكُتب ويقرؤها ويدارس أهل العبر[5] ويتحفَّظها.

---

(1) انظر الحاشية السابقة.

(2) صدره كما في الديوان 246:

أقول له لما أتاني نعيه

يخاطب مسكينًا الدارمي، وكان مسكين قد رثىٰ زياد بن أبيه. وقبل البيت:

أتبكي امرأ من أهل ميسان كافرًا ككسرى على عدانه أو كقيصرا

(3) إلى هنا تنتهي التكملة التي بدأت في ص 93.

(4) فيما عدا ل: «ومما لا أكتبه لك من الأجناس العجيبة»، محرف.

(5) فيما عدا ل: «أهل البصرة».

زعموا أنَّ الضبع تكون[1] عاماً ذكراً وعاماً أنثى، وسمعت هذا من جماعةٍ منهم ممَّنْ لا أستجيز تسميته[2].

قال الفضل بن إسحاق: أنا رأيتُ العَفْص والبَلُّوط في غصن واحد.

قال: ومن العفْص ما يكونُ مثلَ الأُكَر، وقد خبَّرني بذلك غيرُه، وهو يشبه[3] تحوُّل الأنثى ذكراً والذَّكرِ أنثى.

وقد ذكرت العربُ في أشعارها الضِّباعَ والذِّئابَ والسِّمعَ والعِسبار، وجميعَ الوحوش والحشرات والأحناش[4]، وهم أخْبَرُ الخلق بشأن الضَّبع، فكيف تركَتْ ما هو أعجبُ وأطرَفُ[5].

وقد ذكرت العلماء الضِّباعَ في مواضعَ من الفُتْيا لم نرَ أحداً ذكَرَ ذلك، وأولئك بأعيانهم هم الذين زعموا[6] أن النمر الأنثى[7] تضع في مشيمةٍ واحدةٍ جرواً وفي عنقه أفعى قد تطوَّقَتْ به[8]، وإذا لم يأتِنا في تحقيق هذه الأخبارِ شعرٌ شائع، أو خبرٌ مستفيض، لم نلتفتْ لِفْتَه[9]، وقد أقرَرْنا أن للسَّقَنْقُور أيرَين، وكذلك الحِرْذَون والضبّ[10]، حين وجَدْناه ظاهراً على ألسنة الشُّعراء وحكاية الأطِبَّاء.

(خرطوم الفيل)

والخرطوم للفيل هو أنفه، ويقومُ مقام يده ومقام عنقه[11]، والخَرْق الذي هُوَ فيه لا ينفذ، وإنما هو وعاءٌ[12] إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه في فيه[13]، لأنّه قصير العُنق لا ينال ماء ولا مرعى، وإنما صار ولدُ البُخْتِيِّ من البُخْتِيّة جَزُور لحمٍ لقصَر عنُقه، ولعجْزه عن تناوُل الماء والمرعَى.

(خرطوم البعوضة)

وللبعوضة خرطومٌ، وهي تُشَبَّه بالفيل[14] إلاَّ أنَّ خرطومها أجوفُ فإذا طَعَنَ به في

(1) فيما عدا ل: «يكون».
(2) فيما عدا ل: «منهم من لا أستجيز تسميته».
(3) ل: «وهذا لا يشبه».
(4) ل: «والأخفاش»، صوابها ما أثبت. وفيما عدا ل: «والأجناس».
(5) فيما عدا ل: «وأظرف»، تحريف.
(6) فيما عدا ل: «يزعمون».
(7) ط: «النمر» ش، هـ: «النمرة».
(8) انظر ما سبق في (4: 126/ 6: 21).
(9) فيما عدا ل: «لم نلتفت إليه».
(10) انظر ما مضى في (4: 92/ 6: 35، 45).
(11) كلمة «ومقام» ساقطة من ط.
(12) فيما عدا ل: «وإنما هو وغل» مع زيادة واو بعدها، تحريف.
(13) ط: «أو في لجه فيه»، ش: «أو لحه فيه»، هـ: «أو لجه فيه» والصواب من ل.
(14) فيما عدا ل: «وهو أشبه بالفيل»، تحريف.

جوف الإنسان والبهيمة فاستقَى به الدَّمَ من جوفه قذفت به إلى جوفها[1]، فهو لها كالبلعوم والحلقوم.

وللذبابة خرطومٌ تخرِجُه إذا أرادَتِ الدَّم، وتُدْخِلُه إذا رَوِيَتْ، فأمَّا مَنْ سَمَّى[2] خطمَ الخنزيرِ والكلبِ والذِّئبِ خرطوماً فإنما ذلك على التشبيه، وكذلك يقولون لكلِّ طويل [الخطم[3]] قصير اللَّحيَيْنِ.

وقد يقال للخَطْم خرطوم على قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16].

وأنشد[نا] ابنُ الأعرابي لفتًى من بني عامر:

ولا أقومُ على شيخي فأشتُمَه ... ولا أمرُّ على تلك الخراطيمِ

جعل سادةَ عشيرته في النَّادي [والمجالس] كالخراطيم والمقاديم والهوادي، وعلى ذلك قالوا: بنو فلانٍ [أنفُ بني فلانٍ و]رؤوسُهم وخَراطيمُهم، ومعنى العامريِّ الذي ذهب إليه في شعره كأنَّه عظّم المشيخَة أن يمرّ بهم[4]، وقد قال الشاعر:

هم الأنفُ المقدَّم والسَّنامُ [5]

والفِيلُ والبَبْرُ، والطَّاوس والبَبْغا، والدّجاج السِّنديُّ، والكركَدَّن، مما خص اللّه به الهندَ، وقد عدَّد ذلك مطيعُ بن إياس، حين خاطب جاريةً له [كانت] تسمى «رُوقَة»، فقال:

رُوقُ أيْ رُوقُ كيف فيك أقولُ ... سادسنا دوني وأرمائيلُ [6]
وبعيدٌ من بَيْنَهُ حيثما كا ... ن وبين الحبيب قَنْدَابيلُ [7]
[رُوقُ يا رُوقُ لو ترين مَحَلِّي ... ببلادٍ معروفها مجهولُ]
ببلاد بها تبيض الطواويـ ... ـس وفيها يُزاوِجُ الزَّنْدَبيلُ
وبها البَبَّغاء والصَّفْرُ والعو ... دُ له في ذَرَى الأراك مَقِيلُ [8]

---

(1) جعل الضمير في صدر العبارة مذكرًا، عنى البعوض، وفي آخرها مؤنثًا، أراد البعوضة.

(2) فيما عدا ل: «يسمى».

(3) تكملة يفتقر إليها الكلام.

(4) المشيخة: الشيوخ. فيما عدا ل: «الشيخة» وهي صحيحة أيضًا، جمع شيخ، وتقرأ كعنبة وشيمة. وللشيخ جموع أخر.

(5) لعله رواية في بيت حسان بن ثابت:

فلا تفخر فإن بني قصي ... هم الرأس المقدم والسنام

(6) فيما عدا ل: «صار بينا ورد ورمل ونيل». وما أثبت من ل محرف أيضًا. وأرمائيل: لغة في أرمئيل، وهي مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند.

(7) قندابيل: مدينة بالسند. فيما عدا ل: «وبين الحبيب بين وبيل».

(8) الصفر، بالضم: ضرب من النحاس. ط، هـ: «والصقر والعرد» ش: «والصقر والعود» ل: «والصفرد والعود»، والوجه ما أثبت. ط، هـ: «ذرى الأباط» هـ: «ذري الأباط»، وأثبت ما في ل. وذرى الأراك، بفتح الذال: كنفه.

والخموعُ العَرجاء[1] والأيل الأقـ ـرنُ والليثُ في الغِياضِ النَّسُولُ[2]

وقال أبو الأصلع الهنديُّ، يفخر بالهِند وما أخرجت بلاد الهند[3]:

لقد يَعذِلُني صحبي وما ذلك بالأمثَلْ
وفي مِدْحَتِي الهندَ وسهمُ الهندِ في المَقْتَلْ
وفيه الساجُ والعاجُ وفيه الفيلُ والدَّغْفَلْ[4]
وإن التّوتيا فيه كمثل الجبل الأطوَلْ
وفيه الدارُ صينيٌّ وفيه يَنبُتُ الفُلْفُلْ[5]

والمتشابه[6] عندهم من الحيوان الفيل، والخنزير، والبعوضة، والجاموس، وقال رؤبة:

ليث يَدُقّ الأسَدَ الهَمُوسَا[7] والأقْهَبَيْنِ الفيلَ والجاموسا[8]

(هجاء أبي الطروق لامرأته)

ولما هجا أبو الطّروق[9] الضبِّيُّ امرأتَه، وكان اسمها شَعفَر[10] [بالقُبح والشناعة فقال:

جاموسة وفيلةٌ وخَنزرُ وكلُّهنَّ في الجمال شَعفرُ

جعل الخنزير خَنزراً[11]، فجمعها كما ترى للتّشابه، وقال الآخر:)

كأنّ الذي يَبْدُو لنا من لِثامِها جَحافلُ عَيرٍ أو مشافر فِيلِ[12]

---

(1) الخموع العرجاء، أي الضبع.
(2) النسول: وصف من النسلان، وهو السرعة. فيما عدا ل: «الشبول» محرفة.
(3) فيما عدا ل: «وما أخرجت ببلادها».
(4) فيما عدا ل: «وفيه العود والدغفل». والدغفل: ولد الفيل.
(5) ل: «وفيها منبت».
(6) ل: «والمتشابهة».
(7) الهموس: الخفي الوطء. فيما عدا ل: «الهاموسا»، صوابه في ل والديوان واللسان (همس، قهب).
(8) الأقهب: ما كان لونه إلى الكدرة مع البياض السواد. ط، هـ: «والأقهمين» هـ: «والأفهمين» صوابه في ل والديوان واللسان (قهب، همس).
(9) فيما عدا ل: «أبو طروق».
(10) فيما عدا ل: «سعفير».
(11) ل: «خنزر» وفيما عدا ل: «خنزيرات»، والوجه ما أثبت.
(12) فيما عدا ل: «أشافر»، محرفة.

(شعر في الفيل)

والفيل يوصف [بالفَقَم]، ولذلك قال الأعرابيّ:

قد قادني أصحَبِيَ المُعمَّمُ[1] ولم أكن أُخْدَعُ فيما أعْلَمُ
إذ صفق البابُ العريضُ الأعظمُ[2] وأُدنِيَ الفيلُ لنا وترجموا[3]
وقيل إنّ الفيلَ فِيلٌ مِرْجَمُ[4] خُبَعْثِنٌ قد تمّ منه المحزِمُ[5]
أجردُ أعلى الجسمِ منه أصحَمُ[6] يجر أرحاءً ثقالاً تَحْطِمُ[7]
ما تحتها من قَرضِها وتهشمُ[8] وحنكٌ حينَ يُمَدُّ أفقمُ[9]
ومشفرٌ حين يُمَدُّ سَرْطَمُ[10] يَردُه في الجوف حين يطعَمُ[11]
لو كان عندي سَبَبٌ أو سُلَّمُ نَجَّيتُ نفسي جاهداً لا أظلَمُ

وقال آخر:

مَنْ يركبِ الفيلَ فهذا الفيلُ إنّ الذي يركَبُهُ محمولُ
على تهاويلَ لها تهويلُ كالطَّودِ إلاَّ أنّهُ يجولُ
وأذنٌ كأنها مِنديلُ

وقال عمارة بن عقيل[12] يضرب المثل بقوّة الفيل:

---

(1) الأصحب: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. وقد عنى به قائد الفيل. فيما عدا ل: «يا صاحبي المعصم».

(2) صفق الباب: فتحه. فيما عدا ل: «إذ يصفق الناب» محرفة.

(3) أدنى: قرب. ط، ش: «وأذنى» محرف. ط: «له أو ترجم» ش: «له أو ترحم» هـ: «له أو تزحم»، والصواب في ل.

(4) المرجم: الشديد، كأنه يرجم به. هـ: «مزجم» محرف.

(5) الخبعثن: الضخم الشديد. ط: «خنفش»: ش: «خنفش» هـ: «حنفس» والصواب في ل. والمحزم: موضع الحزام من الدابة. ل: «المحرم» وفيما عدا ل: «المخزم»، صوابهما ما أثبت.

(6) الأصحم: ما لونه الصحمة، وهي لون من الغبرة إلى سواد قليل. فيما عدا ل: «الضخم» تحريف.

(7) الأرحاء: جمع رحى، وهي تلك التي يطحن بها الحب، شبه بها أخفافه. ش: «أرخاء» وفي سائر النسخ «أرجاء» بالجيم، والوجه ما أثبت.

(8) هـ: «من قوضها» ل: «من فوقها». فيما عدا ل: «مبسم» بدل: «وتهشم» محرف.

(9) الفقم: أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه. ط، ش: «أفعم» هـ: «أقعم» صوابهما في ل.

(10) السرطم، بفتح السين والطاء: الطويل.

(11) فيما عدا ل: «حتى» تحريف. هـ: «يعطم» ط: «يعظم» صوابهما في ل، ش.

(12) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي، من شعراء الدولة العباسية، وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة. انظر الأغاني (20: 183-188) وفيما عدا ل: «عمارة بن الوليد» تحريف.

إذا أتـانـا أمـيـرٌ لـم يـقـلْ لـهـمُ هَـيْـداً وجـالـتْ بـنـا مـنـه الأحـابـيـلُ[1]
وعَـضَّ مـجـهـودنـا الأقـصَـى وحَـمَّـلـه مِـنَ الـمـظـالـم مـا لا يـحـمِـلُ الـفِـيـلُ[2]

وقال أبو دَهْبَلٍ[3] يمدح أبا الفيل الأشعريّ:

إنّ أبـا الـفـيـل لا تـحـصـى فـضـائـلـه قد عَـمَّ بـالـعُـرْفِ كلَّ الـعُـجْـمِ والـعَـرَبِ

ونظر ابن شهلة المدينيّ[4] إلى خُرطوم الفيل وإلى غُرموله فقال:

ولـم أرَ خُـرطـومَـيـنِ فـي جـسـمِ واحـدٍ قـد اعـتـدَلاَ فـي مَـشْـرَبٍ ومَـبـالِ

فقد غلِط لأنّ الفيلَ لا يشرَبُ بخرطومه ولكن به يُوصِلُ الماءَ إلى فمه، فشبَّه غُرموله بالخرطوم، وغُرموله يشبَّه بالجعْبة والقنْديل[5] والبَرْبخ[6].

وقال المخبَّل في تعظيم شأن الفيل:

أتـهـزأ مـنِّـي أمُّ عـمـرة أنْ رأت نـهـاراً ولـيـلاً بَـلَّـيـانـي فـأسْـرَعَـا[7]
فـإن أكُ لاقـيـتُ الـدَّهـارِيـسَ مـنـهـمـا فـقـد أفْـنـيـا الـنُّـعْـمـان قـبـلـي وتُـبَّـعـا[8]
ولا يـلـبـثُ الـدَّهـرُ الـمـفـرِّق بَـيْـنَـهُ عـلـى الـفـيـل حـتـى يـسـتـديـر فـيُـصْـرَعـا

وقال مروان بن محمد وهو أبو الشَّمَقْمَق وحدّثني صديقٌ لي قال سألتُ أبا الشَّمقمقِ عن اسمه ونسبه[9]، فقال: أنا مَرْوَان بن محمد، مولى مروانَ بن محمد:

يـا قـوم إنّـي رأيـتُ الـفِـيـلَ بـعـدَكُـم فـبـارَكَ الـلّـه لـي فـي رُؤْيـةِ الـفـيـلِ
رأيـت بـيـتـاً لـه شـيءٌ يـحـرّكـه فـكـدتُ أصـنـعُ شـيـئـاً فـي الـسـراويـلِ

وقالت دودة لأمِّها:

يـا أمِّ إنّـي رأيـتُ الـفِـيـلَ مِـن كَـثَـبٍ لا بـارَك الـلّـهُ لـي فـي رؤيـة الـفـيـلِ
لـمّـا بـصُـرْت بـأيـر الـفِـيـل أذْهَـلـنـي عـن الـحـمـيـرِ وعـن تـلـك الأبـاطـيـلِ[10]

(1) العرب تقول: «هيد مالك» إذا استفهموا الرجل عن شأنه. فيما عدا ل: «لم يقم لهم هذا وجاءت بنامنه الأحاييل» محرف.
(2) فيما عدا ل: «وعض مجهولنا الأفعى».
(3) ط: «الهذيل» ش، هـ: «أبو الهذيل»، وأثبت ما في ل.
(4) فيما عدا ل: «ابن أبي سلمة المدني».
(5) فيما عدا ل: «والمنديل».
(6) ل: «الربخ» وفيما عدا ل: «النزع»، ولعل الوجه ما أثبت.
(7) فيما عدا ل: «أم عزة» وفيه أيضًا «أبلياني» وهي صحيحتان. وشاهد المضعف قول العجير:
وقـائـلـة هـذا الـعـجـيـر تـقـلـبـت بـه أبـطـن بـلـيـنـه وظـهـور
(8) فيما عدا ل: «فقد أبليا».
(9) فيما عدا ل: «وكنيته» تحريف. وقد سبقت ترجمة أبي الشمقمق في (1: 164).
(10) الأباطيل: جمع الباطل. ل: «البواطيل» وهي صحيحة في مذهب الكوفيين الذين يجيزون زيادة الياء في مثل هذا الجمع.

(خطبة بدوي فيها ذكر الفيل)

وقال الأصمعي: جَنَى قومٌ من أهل اليمامة [جناية] فأرسل إليهم السُّلطانُ جنداً من بُخاريّةِ ابن زياد[1]، فقام رجلٌ من أهل البادية يُذمِّرُ أصحابَه[2] فقال: يا معشَر العرب، ويا بني المحصنات، قاتِلُوا عَن أحسابكم ونِسائكم، واللّه لَئنْ ظَهَرَ هؤلاء القومُ عليكم لا يَدَعُون بها لِينَةً حَمْراءَ[3]، ولا نخلةً خضراءَ[4]، إلاّ وضعُوها بالأرض، ولا أغرُّكم مِن نُشّابٍ معهم[5]، في جِعاب كأنَّها[6] أيور الفِيَلة، يَنزِعُونَ في قسِيٍّ كأنَّها العَتَلُ[7] تئط إحداهُنّ أطِيطَ الزُّرنُوق[8]، يَمْغَطُ أحدُهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه[9]، ثم يُرْسِل نُشَّابةً كأنها رِشاءٌ منقطع[10]، فما بينَ أحَدِكم وبين أن تفضخ عينه[11]، أو يُصدَع قلبُه منزلةٌ.

قال: فخلَعَ قلوبَهم فطارُوا رُعْباً.

(الزندبيل)

قالوا: الفِيَلة ضربانِ: فيلٌ وزندبيل، وقد اختلفوا في أشعارهم وأخبارهم، فبعضهم يقول كالبُخْت والعراب، والجواميسِ والبقَر، والبَراذين والخيل، والفأر والجِرذان، والذّرّ والنمل، وبعضهم يقول: إنما ذهبوا إلى الذَّكَرِ والأُنثى.

قال خالدْ القَنَّاص، وفي قصيدته تلك المزَاوَجةِ والمخمَّسة، التي ذكر فيها الصَّيد[12] فأطنَبَ فيها، فقال حينَ صار إلى ذِكْر الفيل:

---

(1) فيما عدا ل: «من غازية ابن زياد».

(2) التذمير والذمر: الحض والحث. فيما عدا ل: «من أصحابه»، تحريف.

(3) اللينة، بالكسر: الدقل من النخل. فيما عدا ل: «فيها لبنة حمراء»، محرف.

(4) فيما عدا ل: «ولا كلة خضراء»، تحريف.

(5) النشاب، بالضم وتشديد الشين: السهام، واحدها نشابة.

(6) فيما عدا ل: «كأنه»، تحريف.

(7) النزع: جذب الوتر بالسهم. والعتل: جمع عتلة، وهي الهراوة الضخمة. فيما عدا ل: «الفيل»، تحريف.

(8) الزرنوق: واحد الزرنوقين، وهما دعامتا البئر. فيما عدا ل: «الزربوق» محرفة.

(9) يقال معط الوتر يمعطه، بفتح العين المهملة، ومغطه بفتح الغين المعجمة، أي أغرق في نزعه، ويقال فيه أيضًا مخطه يمخطه. فيما عدا ل: «يمعط» بالمهملة وهما صحيحتان. وفيما عدا ل: «حتى يعرق شعر إبطيه».

(10) الرشاء: الحبل. فيما عدا ل: «رشأ»، محرف.

(11) الفضخ: كسر كل شيء أجوف، نحو الرأس والبطيخ. والكلمة محرفة في الأصل: ففي ل: «تفضح» بالحاء المهملة، وفيما عدا ل: «تنضح»، والوجه ما أثبت.

(12) فيما عدا ل: «الضبة»، تحريف، ولعل سبب التحريف كلمة «فيها» التالية فإن الضمير فيها للقصيدة لا لشيء آخر.

ذاك الـــذي مِـــشـــفَـــرُهُ طـــويـــلُ وهـــو مـــن الأَفـــيـــال زَنْـــدَبـــيـــلُ

فذهب إلى العِظَم[1]، [وقال الذَّكْواني:

وفـــيـــلـــة كـــالـــطَّـــوْدِ زنـــدبـــيـــل]

وقال الآخر:

مِـــن بـــيـــن فِـــيـــلاتِ وزَنْـــدَبِـــيـــلِ [2]

فجعل الزَّنْدَبِيل هو الذكر، وقال أبو اليقظان[3] سحيمُ بنُ حفص[4]: إنَّ الزَّنْدَبيلَ هو الأنثى، فلم يقِفُوا مِن ذا على شيءٍ[5].

(الجنّ والحن)

وبعض النّاس يقْسِم الجنَّ على قِسْمين فيقول: هم[6] جِنّ وحِنّ، ويجعل التي بالحاء أضعفَها، وأما الرّاجزُ[7] فقال:

أَبِـيـتُ أَهْـوِي فـي شَـيـاطـيـنَ تُـرِنّ مـخـتـلـفٍ نَـجْـرَاهُـمُ جِـنٌّ وحِـنّ[8]

ففرق هذا بين الجنسين.

(الناس والنسناس)

وسمع بعضُ الجهَّال قولَ الحسن: ذهبَ النَّاسُ وَبَقِيتُ في النِّسناس فجعَلَ النَّسناس جنساً على حِدَة، وسمع آخرون هم أجهلُ من هؤلاء قولَ الكميت:

نَـــســـنـــاســـهـــم والـــنَّـــســـانـــســـا

فزعموا أنّهمْ ثلاثةُ أجناسٍ: ناس، ونَسْناس، ونَسانِسُ[9]، هذا سوى القول في الشِّق،

---

(1) فيما عدا ل: «الفطس» تحريف.

(2) الفيلات: جمع فيلة، وهي أنثى الفيل. فيما عدا ل: «فيلان» محرف.

(3) ط: «أبو يقطان»، صوابه في ل، ش. وفي هـ: «أبو يقظان». وانظر ما سبق في حواشي (2: 6).

(4) هذا ما ذكره الجاحظ أيضًا في (2: 89/ 3: 118). وانظر للخلاف في اسمه ما سبق في (2: 6).

(5) فيما عدا ل: «من ذلك على شيء».

(6) بدلهما فيما عدا ل: «فيكون»، تحريف.

(7) الرجز للمهاصر بن المحل، كما في اللسان (16: 289). وانظر ما سبق في (6: 123).

(8) النجر: الطبع والأصل والشكل والهيئة. ط، هـ: «نجواهم»، وهي رواية اللسان في ش: «نجوهم».

(9) النسناس: بفتح النون ويكسر. أما النسانس، بفتح أوله، فهم الإناث من النسناس، أو هم أرفع قدرًا، أو هم يأجوج ومأجوج؛ أو خلق على صورة الناس وخالفوهم في أشياء وليسوا منهم. انظر القاموس.

وواق [واق]، وذوال باي[1]، وفي العُدَار[2]، وفي أولاد السَّعالِي من الناس، وفي غير ذلك مما ذكرناه في موضعه من ذكر الجنّ والإنس.

وقد علم أهلُ العقلِ أنّ النّسناس [إنما] وقَعَ على السِّفْلة والأوغاد والغَوْغاء، كما سمَّوا الغوغاء الجراد إذا ألقى البيض وسخُف وخفّ وَطار[3].)

(هياج الفيل)

قال: وإذا اغْتَلمَ الفيلُ قَتَلَ الفِيَلَة والفيَّالين وكل مَن لَقِيَه من سائر النَّاس، ولم يقمْ له شيءٌ، حتى لا يكونُ لسُوَّاسِه هَمٌّ إلاّ الهرَبُ، وإلاّ الاحتيالُ لأنفسهم.

وتزعُم الفرُس أنّ فيلاً من فِيَلة كِسرى اغتلمَ، فأقبَلَ نحو النَّاس فلم يقمْ له شيءٌ، حتى دنا من مَجلس كِسرى فأقشَعَ عنه جُندُه[4]، وأسلمتهُ صنائعهُ، وقصد إلى كسرى ولم يبقَ معه إلاّ رجلٌ واحدٌ من فرسانِه[5] كان أخصَّهم به حالاً، وأرفعَهم[6] مكاناً، فلمّا رأى قُرْبَه[7] من الملك شَدَّ عليه بِطَبْرَزِين[8] كان في يده فضرَبَ به جبهتَه ضربةً غابَ لها جميعُ الحديدة[9] في جبهته، فصدفَ عنها[10] وارتدع، وأبَى كِسرَى أن يزُولَ من مكانه، فلمَّا أيقَنَ بالسَّلامة قال لذلك الرجل: ما أنا بما وَهَبَ اللّه لي من الحياةِ على يدك[11] بأشدَّ سروراً منّي بالذي رأيت من هذا الجلَد والوفاء والصَّبْر[12] في رجل من صنائعي[13]، وحين لم تخطئْ فِرَاسَتي، ولم يَفِلْ رأيي[14] فهل رأيت أحداً قطُّ أشدَّ مَّنك؟ قال: نعم، قال: فحدِّثْني عنه، قال: على أن

---

(1) فيما عدا ل: «والزوال». وانظر ما سبق في (1: 144).

(2) في القاموس (عدر): «وكغراب: دابة تنكح الناس باليمن، ونطفتها دود. ومنه ألوط من عدار». ط، ش: «في أولاد العراق»، هـ: «في العراق» صوابهما في ل.

(3) ل: «وطاش».

(4) أقشعوا: تفرقوا، كانقشعوا وتقشعوا. فيما عدا ل: «فاتسع عنه جنده» تحريف.

(5) ط، هـ: «من فرسانهم».

(6) ط فقط: «وأرفقهم»، تحريف.

(7) فيما عدا ل: «فلما قرب».

(8) الطبرزين: فأس يعلقها الفارس في سرج جواده. انظر المعرب للجواليقي 194 وأدى شير 111. وفي معجم استينجاس: «تبرزين: a battle-axe usually fixed to the saddle». أي فأس القتال، وهي تعلق عادة في السرج.

(9) فيما عدا ل: «الحديد».

(10) فيما عدا ل: «عنه».

(11) فيما عدا ل: «مما وهب الله لي من الحياة على يذيك».

(12) فيما عدا ل: «والظفر».

(13) فيما عدا ل: «صنعائنا».

(14) فال رأيه يفيل فيالة وفيولة: أخطأ وضعف. ل: «ولم يزل وأبي»، تحريف.

تؤمِّنني، فأمّنه فحدَّث عن بْهرام جُوبين[1] بحديثٍ شقَّ على الملك وكرِهَه، إذ كان عدُوُّه على تلك الصّفة.

قال: إذا اغتَلمَ الفِيلُ وصَالَ وغَضبَ وخَمط[2] خلاَّهُ الفيَّالون والرّوَّاضُ، فربُّما عاد وحشيّاً.

(أهليُّ الفيلة ووحشيُّها)

والفيلة من الأجناس التي يكون فيها الأهليُّ والوحشيُّ، كالسّنانير والظِّباء والحمير وما أشْبَهَ ذلك، وأنشد الكِرمانيّ لشاعر المُولْتانِ[3] قولَه:

فكنتُ في طلبي مِنْ عندِه فرَجاً ... كراكب الفيل وَحْشِيّاً ومُغْتَلِمَا[4]

وهذه القصيدة [هي] التي يقول فيها:

قد كنت صَعَّدْتُ عن بُغْبُور مغتربِاً ... حتى لقيت بها حِلْفَ النَّدَى حَكَما[5]

قرْمٌ كأنَّ ضياءَ الشَّمْس سُنَّتُه ... لو نَاطقَ الشَّمْس ألقَتْ نحوَه الكَلِما[6]

(خصائص كسرى)

وتقول الفُرْس: أُعْطِيَ كسرى أبْرَوِيزَ[7] ثمانِ عشْرَةَ خَصْلةً لم يُعطها ملكٌ قطّ[8] ولا يعطاها أحدٌ أبداً، من ذلك [أنّه] اجتمَعَ له تِسْعُمائة وخمسون فيلاً، وهذا شيءٌ لم يجتمعْ عندَ ملِك قطّ، ومن ذلك أنّه أنْزَى الذُّكورة على الإناث، وأنَّ فيلةً منها وضعَتْ عنده، وهي لا تتلاقح[9] بالعراق، فكانت أوَّل فِيلةٍ بالعراق وآخر فيلةٍ تضع.

---

(1) ط، هـ: «سوبين» ش: «سومن» بالإهمال. وأثبت ما في ل. وفي التنبيه والإشراف 89 عند ذكر ملوك الساسانيين: «والعشرون هرمز بن أنو شروان، ملك اثنتى عشرة سنة، وخالف عليه بهرام جوبين الرازي، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز. ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره» وانظر التنبيه والإشراف ص 133 ومعجم استينجاس 211. وفي الاشتقاق 231 «بهرام شوبين».

(2) حمط: مثل غضب وزنا ومعنى. ل: «وخبط».

(3) المولتان، سبق القول فيها في ص 48. ط، «لمومان» ش: «المولمان» هـ: «المومان»، صوابها ما أثبت من ل.

(4) فيما عدا ل: «من عنده كرما».

(5) بغبور، بضم أوله: لقب ملك الصين، كما في القاموس. ط، هـ: «يعبور»، صوابه في ل. وصدر البيت ساقط من ش.

(6) ل: «قرما». والسنة، بالضم: الوجه، أو حره، أو دائرته، أو الجبهة والجبينان.

(7) ل: «أبرواز» وهي إحدى لغات تعريبه. وأبرويز، بكسر الواو وفتحها.

(8) فيما عدا ل: «ملك مضى».

(9) فيما عدا ل: «لا تتناتج».

قالو: ولقي رُسْتَمُ الآزَريّ[1] المسلمين يوم القادسيّة ومعه [من الفيلة] عشرون ومائة فيل، [وكنّ] من بقايا فِيَلة كِسرى أبرويز[2].

قالوا: ومن خصاله أنّ النَّاس لم يَرَوْا قط أمَدَّ قامةً، ولا أتمّ ألواحاً، ولا أبرَعَ جمالاً منه، فلما مات فرسُهُ الشَّبْدِيز[3] كان لا يحمله إلاَّ فيلٌ من فِيَلته، وكان يجمع وَطاءَةَ[4] ظَهْر الفِيل وثَباتَ قوائمه، ولِينَ مشيته، وبُعْدَ خَطوه، وكان ألطفَها بدَناً، وأعدلها جسماً[5].

(أكثَر خلفاء المسلمين فيلة)

قالوا: ولم يجتمع لأحد من ملوك المسلمين[6] مِن الفيَلة ما اجتمع عندَ أمير المؤمنين المنصور، اجتمع عنده أربعون فيلاً، فيها[7] عشرون فحلاً.

(شرف الفيل)

قالوا: والفِيل أشرَفُ مراكب الملوك، وأكثرُها تصرُّفاً، ولذلك سأل وَهْرِز الأسْوارُ[8] عن صاحب الحبشة، حين صافَّهم في الحرب، فقيل له: ها هو ذاكَ على الفيل، فقال: لا أرميه [وهو على مركب الملوك[9]]، ثم سأل عنه فقيل له: قد نزل عنه ورَكِبَ الفرَس، قال: لا أرميه وهو على مركب الحُمَاةِ، قيل: قد نزلَ عنه وركب الحمار، قال: قد نزل عن مَرْكبِه لحمارٍ فدعَا بعِصابةٍ رَفَع بها حاجِبَيْه وكان قد أسنَّ حتى سقط[10] جاجباه على عينيه ثم رماه فقتَله.

(ذكاء الفيل)

وكان سهلُ بنُ هارونَ يتعجَّبُ مِنْ نَظَر الفيلِ إلى الإنسان، وإلى كلّ شيء يمرّ به[11]، وهو الذي يقول:

---

(1) الآزري: نسبة إلى آزر، كهاجر، وهي ناحية بين الأهواز ورامهرمز. انظر القاموس (أزر) ومعجم البلدان (1: 57) والتنبيه والإشراف 76. فيما عدا ل: «الأدنى» تحريف.

(2) ل: «أبرواز». وانظر ما مضى في التنبيه السابع من الصفحة السابقة.

(3) ل: «الشبذار» وفيما عدال: «السيد»، صوابه ما أثبت من معجم استينجاس 731. قال ما تفسيره: «اسم فرس مشهور لكسرى».

(4) ش: «وطا»، وفي سائر النسخ: «وطاء»، والوجه ما أثبت.

(5) فيما عدا ل: «ألطفها لدنا وأعدلها خيمًا»، تحريف.

(6) فيما عدا ل: «الإسلام».

(7) فيما عدا ل: «منها».

(8) الأسوار، بالضم والكسر: قائد الفرس. فيما عدا ل: «ولذلك».

(9) هذه التكملة من ل، ش. وكلمة «هو» ليست في ش. وانظر البغال 346.

(10) فيما عدا ل: «سقطت»، تحريف.

(11) فيما عدا ل: «إلى كل ما يمر به».

ولـمَّـا رأيـتُ الـفـيـلَ يـنـظُـرُ قـاصـداً ظـننْـتُ بـأنّ الـفـيـلَ يـلـزمُـه الـفـرضُ[1]

قال أبو عثمان: وقد رأيتُ أنا في عَين الفِيل من صحّة الفَهْم والتأمُّلِ إذا نظَر بها، و[ما] شبهت نظرَه إلى الإنسان [إلاّ] بنظرِ ملكٍ عظيم الكِبْر راجح الحِلم، وإذا أرْدتَ أن ترَى من الفيل ما يُضحِك، وترَاهُ في أسخَف حالاته [وأجهلِهِ] فألق إليه جوزةً، فإنَّه يريد أن يأخذ[2] بطَرَف خُرطومِه، فإذا دنا منها تنفَّسَ، فإذا تنفَّس طارت الجَوزة من بين يديه، ثم يدنو ثانيةً ليأخذَها فيتنفسُ أخرى، فتبعد عنه، فلا يزال ذلك دأبَه.

(فضله في الحرب)

قالوا: ويفضُل الفيلُ الفرسَ في الحرب أنّ الفيل يحمِي الجماعة كلهم، ويقاتل ويَرمي ويزجّ بالمزاريق[3]، وله من الهول ما ليس للفرسِ[4]، وهو أحسن مطاوعةً، ولا يُعْرَفُ بجماح ولا طِماحٍ ولا حِران.

والخيولُ العِتاقُ ربَّما قتلَت الفُرسانَ بالحِران مَرَّةً وبالإقدام مَرَّة، وبسُوء الطّاعة وشدّة الجزع، وربّما شبَّ الفرسُ بفارسه حتى يلقِيَه بين الحوافر والسُّيوف، للسَّهم يصيبه والحجرِ يقع به[5].

وما يشبه ظهرُ الفرسِ مِن ظهره، وظهرُ الفيل منظرةٌ من المناظر[6] ومَسْلَحَةٌ من المسالح.

(عمر الفيل)

وفي الفِيَلة عجبٌ آخرُ، وذلك أنَّ قصَر الأعمارِ مقرونٌ بالإبل والبراذين وبكلِّ خَلقٍ عظيم، وكلُّ شيء يعايشُ النَّاسَ في دُورهم وقُراهم ومَنازلهم فالناس أطولُ أعماراً منها، كالجمل، والفَرَس والبرذَوْن، والبغل والحِمار، والثّوْر والشَّاة، والكلْب والدَّجاج، وكلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، إلا الفيل فإنّه أطولُ عمراً.

والفيلُ أعظم من جميع الحيوان جسماً وأكثرُ أكلاً، وهو يعيشُ مائة السنة ومائتي السَّنة[7].

---

(1) لعله يعني أنه موضع للتكليف والمطالبة بالفرض. ش: «العرض».

(2) فيما عدا ل: «فإنه يأخذها».

(3) المزراق: رمح قصير. فيما عدا ل: «المذاريق»، تحريف.

(4) فيما عدا ل: «وليس له من الهول ما للفرس»، وهو عكس ما يريد.

(5) فيما عدا ل: «لسهم يصيبه ولحجن يقع به». (6) فيما عدا ل: «قنطرة من القناطر»، تحريف.

(7) فيما عدا ل: «المائة سنة والمائتي سنة» بتعريف العدد وتنكير المضاف إليه، وهو وجه جائز مع قبح، حكاه ابن عصفور. قال الخفاجي في شرح درة الغواص (135): «ووقع في صحيح البخاري: وأتى بالألف دينار». ونقل الخفاجي عن التسهيل: «إذا قصد تعريف العدد أدخل حرفه على الآخر إن كان مضافًا، أو عليهما شذوذًا لا قياسًا، خلافًا للكوفيين». فما أثبت من ل هو الوجه المرتضى.

وزعم صاحبُ المنطق في كتاب الحيوان أنّه قد ظهَرَ فيلٌ عاش أربعمائةِ سنة، فالفيل في هذا الوجه يشارك الضِّباب والحيَّات والنُّسُور، وإذا كان كذلك فهو فوقَ الوَرَشان وعَيْر العانة وهو من المعمَّرين وفوق المعمَّرين وهو مع ذلك أعظم الحيوان[1] بدناً، وأطولُها عمراً.

(الأسد والفيل)

وقال بعض من يستفهم ويحب التَّعلمَ[2]: ما بال الأسد إذا رأى الفيلَ عَلِم أنَّه طعام له، وإذا رأى النَّمر والبَبْر لم يكونا عنده كذلك؟ وكيف وهو أعظمُ وأَضخَم وأشْنَع وأهول؟ فإن كانَ الأسدُ إنما اجترأ عليه لأنّه [من] لحم ودم، واللّحْمُ طعامُه والدَّم شرابُه، فالببر والنَّمر من لحمٍ ودم، وهما أقلُّ من هؤلاء وأقمأ جسَماً.

قال القوم: ومَتَى قَدّرَ الأسدُ في الفيل أنه إذا قاتله غلبه، [وإذا غلبه قتَله]، وإذا قتلَه أَكلَه؟ وقد نَجِدُ البَبْرَ فوقَ الأسد وهو لا يعْرِض له، والأسد فوق الكلب وهو يشتهي لحمه، و[يشتهي] لحم الفهد[3] بأكثر ممّا يشتهي لحمَ الضّبع والذئب، وليست علَّته المواثبة[4] التي ذهبتم إليها.

(معرفة الحيوان)

فأمَّا عِلْم جميع الحيوان بمواضع ما يُعيشها[5]، فَمنْ علّم البعوضة أنّ مِن وراء[6] ظاهرِ جلد الجاموس دَماً، وإنّ ذلك الدمَ غذاءٌ لها، وأنّها مَتَى طعَنتْ في ذلك الجلدِ الغليظ الشَّثْن[7]، الشديد الصُّلبِ، أن خرطومَها ينفذ فيه على غير مُعاناة[8]. ولو أن رجلاً منَّا طعنَ جلدَه بشوكةٍ لانكسرت الشَّوكةُ قبل أن تصل إلى موضع الدم، وهذا بابٌ يُدْرَك بالحسِّ وبالطبع وبالشبه وبالخِلْقة[9]، والذي سخّر لخرطوم البَعوضِة جلدَ الجاموس، هو الذي سخَّر الصخرةَ لذنَب الجرادة، وهو الذي سخَّر قمقُمَ النُّحاس لإبرة العقرب[10].

(علة عدم تلاقح الفيلة بالعراق)

وقال بعض خصماء الهند[11]: لو كانت الفِيَلة لا تتلاقَحُ عندنا بالعِراق لأنها هنديَّة لتغيّر

(1) فيما عدا ل: «أطول الحيوان»، تحريف.
(2) فيما عدا ل: «العلم».
(3) فيما عدا ل: «القنفذ»، تحريف. وانظر لولوع الأسد بلحم الفهد ما سبق في (4: 129/ 6: 304).
(4) فيما عدا ل: «تحله الهوائية»، تحريف.
(5) فيما عدا ل: «بالمواضع التي تعيشها».
(6) فيما عدا ل: «أن بين».
(7) الشثن: الغليظ. ل فقط: «المتين».
(8) فيما عدا ل: «من غير معاناة».
(9) ل: «وبالبنية والخرقة»، تحريف.
(10) انظر ما سبق في (5: 371).
(11) خصماء: جمع خصيم، وهو المخاصم. فيما عدا ل: «بعض الحكماء» وليست بشيء.

الهواءِ والأرض، فعَقَر ذلك أرحامَها، وأعْقَمَ أصلابها لكان ينبغي للطواويس أن لا تتزاوج عندنا[1] ولا تبيض ولا تُفرخ[2]، ونحن قد نَصيد البلابِل والدباسيّ[3]، والوراشين، والفواخت والقَماريَّ [والقَبَجَ] والدُّرَّاج، فلا تتسافَدُ عندنا في البيوت، وهي من أطيار بساتيننا وضياعنا، ولا تتلاقَحُ إذا اصطَدْناها [كرارزة[4]]، بل لا تصوِّت ولا تغنِّي ولا تَنُوح، وتبقى عندَنا وحشيّةً كمِدةً ما عاشت، فإن أخذْناها فراخاً زاوَجتْ وعَشَّشت وباضت وفرّخت، فلعلَّكم أن تكونوا لو أهديتم إلينا[5] أولادَها صغاراً فنشأت عندنا وذهب عنها وحشة [الخلاء، وجدَتْ] أُنسَ الأهليّ، فإنَّ الوحشة هي التي أكْمَدَتْها، ونقضَتْ قوّتَها[6]، وأفنت شهْوَتَها.

(وفاء الشفنين)

وقد نجِد الشِّفْنينَ الذَّكر تهلِكُ أنثاه فلا يُزاوِج غيرَها أبداً، في بلادها كان ذلك أو في غير بلادها، ونحن لو جِئْنا بالأُسد والذِّئاب والنُّمور والبُبُور فأقامَتْ عِندنا الدَّهرَ الطَّويل لم تتلاقح.

(قصة الذئب والأعرابي)

وقد أصاب أعرابيٌّ جروَ ذئبٍ فرّباه ورجَا حراستَه وأن يألفَه، فيكونَ خيراً [له] من الكلب، فلما قوِيَ وثب على شاةٍ له فأكلها[7]، فقال الأعرابي:

أكـلْـتَ شُـوَيْـهَـتـي ورَبِـيـتَ فـيـنـا ... فـــمـــا أدراك أنَّ أبـــاكَ ذيـــبُ[8]

(تسافد حمير الوحش)

وقد تتسافد عندنا [حمير الوحش[9]]، وقد تلاقحتْ عندَ بعض الملوك.)

---

(1) فيما عدا ل: «الطاوس أن لا يتزاوج عندنا».

(2) فيما عدا ل: «وأن لا يبيض ولا يفرخ».

(3) الدباسي: جمع دبسي، وهو ضرب من الحمام سبق الكلام عليه في (1: 147، 205/ 3: 112، 134). فيما عدا ل: «الدناسي»، تحريف.

(4) الكرارزة: جمع كرز، بضم الكاف وتشديد الراء، وهو من الطير الذي قد أتى عليه حول.

(5) فيما عدا ل: «إليها»، تحريف.

(6) فيما عدا ل: «ونقصت» بالمهملة.

(7) ل: «على جمل له فأكله»، والشاهد يأباه. وقد سبقت القصة في (4: 28/ 6: 15). وانظر ثمار القلوب 312 وعيون الأخبار (2: 5) وجمهرة العسكري 138 وغرر الخصائص 55 ومحاضرات الراغب (1: 122) وأمثال الميداني (1: 41) والمحاسن والمساوي للبيهقي (1: 96).

(8) فيما عدا ل: «وربيت عندي فما أدراك».

(9) موضع هذه التكملة بياض في ش.

(تلاقح الظباء في البيوت)

وكان جعفُر بنُ سليمانَ أحضَرَ على مائدته بالبَصرة يوم زارَهُ الرّشيدُ ألبانَ الظِّباء وزُبْدَها وسِلاها[1] ولبَأها، فاستطاب الرشيدُ جميعَ طعومِها، فسأل عن ذلك[2] وغمَزَ جعفرٌ بعضَ الغِلمان فأطَلقَ عن الظّباء ومَعَها خشْفانُها[3]، وعليها شُمُلها[4]، حتى مَرّتْ في عَرْصةٍ تُجاهَ عينِ الرَّشيد، فلما رآها على تلك الحال وهي مقرَّطة مخضّبة[5] استخفَّه الفرح والتعجُّب[6] حتى قال: ما هذه الألبان؟ وما هذه السُّمْنان واللِّبأ والرَّائب والزُّبد الذي بينَ أيدينا؟ قال: مِن حَلَبِ هذه الظّباء أُلِّفَتْ[7] وهي خشْفانٌ فتلاقحتْ وتلاحقت[8].

(استنتاج الذئاب والأسد بالعراق)

ولو أطلقوا الذِّئابَ والأُسْد في مرْوجِ العراق، وأقاموا لها حاجاتها لتسافدَتْ وتلاقحت، فلعلَّهم لو تقدَّموا في اصطناع أولاد الفِيَلة واقتنائها صغاراً أن تأنس[9] حتى تتسافد وتتلاقح.

وقد زعمتم أنَّ كسرى أبرويز[10] استنْتج دَغْفلاً واحداً[11].

(احتجاج الهندي)

قال الهندي: تكفِينا هذه الحُجَّة، وهي بيننا وبينكم، أوَ ليس قد جَهد في ذلك جميعُ الملوك من جميع الأمم في قديم الدهر، فلم يستنتجوا إلا واحداً، وعلى أنَّ[12] هذه الأحاديثَ من أحاديث الفُرْس، وهم أصحاب نَفْج وتزيد[13] ولا سيَّما في كلِّ شيء مما [يدخل] في باب العصبيَّة، ويزيد في أقدار الأكاسِرة، وإن كانوا كذلك فهم أظنَّاء[14]،

---

(1) أراد السلاء، وهو بالكسر والمد: السمن، والجمع أسلئة.

(2) ل: «فاستطاب الرشيد جميع ذلك».

(3) الخشفان: أراد به جمع خشف، وهو ولد الظبية. والمعروف في هذا الجمع «خشفة» كقردة. وقد سبق استعمال الجاحظ للخشفان في (4: 256 س2).

(4) الشمل: جمع شمال، ككتاب؛ وهو شيء كمخلاة يغطي به ضرع الشاة إذا ثقلت. فيما عدا ل: «سملها» تحريف.

(5) مقرطة: ذات أقراط، هـ: «مفرطة»، تحريف. وفيما عدا ل: «مخصب».

(6) فيما عدا ل: «استخفه الطرب».

(7) فيما عدا ل: «اقتنيت».

(8) ط، ش: «فتسافدت وتلاقحت» هـ: «فتلاحقت وتلاحقت»، وأثبت ما في ل.

(9) فيما عدا ل: «لم تلبث».

(10) ل: «أبرواز»، وانظر ما سبق في حواشي ص 117.

(11) الدغفل: ولد الفيل، وهو بفتح الدال والفاء.

(12) فيما عدا ل: «واعلم أن».

(13) النفج: الفخر والكبر. ط، ش: «نفخ» هـ: «نقع»، صوابهما في ل.

(14) أظناء: جمع ظنين، وهو المتهم الذي تظن به التهمة. فيما عدا ل: «أطباء» تحريف.

والمتهم لا شهادة له[1]، ولكن هل رأيتم قطُّ هندياً أقرَّ بذلك، أو هل أقرَّت[2] بقايا [سائر] الأمم للفرسِ بهذا الأمر للفيلِ المعروفِ بهذا الاسم[3].

(استطراد لغوي)

ويقال رجل فيلٌ إذا كان في رأيهِ فِيَالة، والفِيالة، الخطأ والفساد، وهم يسمُّون الرَّجل بفيل، منهم فيلٌ مولى زياد، ويكنون بأبي الفيل، منهم أبو الفِيل الأشعريّ الذي امتدحه أبو دَهْبَل[4].

وقال: الرَّاجز غَيْلان يقال له راكبُ الفِيل: ومنهم عَنْبَسة الفيل، وكذلك يقال لأبيه مَعدان وله حديث، وقال الفرزدق:

لقد كان في مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ لعَنْبسةَ الرّاوي عليَّ القصائدا

وقال الأصمعيّ: إذا كان الرجلُ نبيلاً جباناً قِيلَ هذا فِيلٌ، وأنشد:

يقولون للفِيلِ الجبان كأنّه أَزَبُّ خَصِيٌّ نَفَّرَتْهُ القَعاقِعُ

وقال سلمة بن عَيَّاش[5]: قال لي رؤبة: ما كنتُ أُحِبُّ أَنْ أرَى في رأيك فيالة.

ويقول الرَّجلُ لصاحبه: لم يَفِلْ رأيُك، وهو رأيٌ فائل، ورجلٌ فِيل، وبالكوفة بابُ الفيل، ودار الفِيل في السبابجة[6]، وكذلك حَمَّام فيل، وفي حمَّام فِيل يقول بعض السَّلَف:

لَعَمْرُ أبيكَ ما حمّامُ كِسرَى على الثلثينِ من حمَّام فيلِ[7]

[وقال الجارود بن أبي سبرة[8]]:

وما إرْقاصُنا خَلْفَ المَوالي كسنَّتنا على عهد الرّسولِ[9]

وأبو الفيل محمد بن إبراهيم الرافقي[10] كان فارس أهل العراق. وفِيلُويه السّقطي هو

---

(1) ط، هـ: «وأئمتهم لا شهادة له» ش: «وأيمنهم لا شهادة له»، صوابهما من ل.
(2) فيما عدا ل: «أم هل أقر».
(3) ما بعد كلمة «الأمر» إلى هنا ساقط من ل. والكلام بعد هذه الكلمة إلى: «أضحى» في ص 124 ليس في ل. وقد سبق متصلاً بكلام آخر في التكملة التي مضت في ص 52-55.
(4) سبقت ترجمته في (4: 5) ش، هـ: «أبو ذهيل»، تحريف.
(5) في الأصل: «سلمة بن عباس»، تحريف. وقد سبقت ترجمته في ص 53.
(6) سبق الكلام على «السبابجة» في حواشي ص 54، هـ: «السابحة» ط: «الساحة» ش: «بالسابحة»، والوجه ما أثبت.
(7) في الأصل: «على البانين»، صوابه مما سبق في ص 54.
(8) التكملة مما سبق في ص 54.
(9) في الأصل: «ولم أر قاضيًا خلف الموالي كنسبتنا»، تصحيحه مما سبق في ص 54.
(10) في الأصل: «الرافعي»، تحريف. وانظر ما سبق في ص 55.

الذي كان يُجري لأمّه كلَّ أضْحى درهماً، فحدثتني امرأة قالت قلتُ لأمّ فِيلُويَهْ: أو ما كان يجري فِيلويَه في كلِّ أضْحَى إلا درهماً؟ قالت: إي واللّه، وربَّما أدخل أضْحى في أَضحى!.

(مثالب الفيل)

وقال بعضُ من يخالف الهند: الفيل لا يُنْتَفع بلحمه ولا بلبَنه، ولا بسمْنِه ولا بزبده، ولا بشَعره ولا بوبَره ولا بصوفه، عظيم المؤُونة في النفقَة[1]، شديد التَّشزُّن على الرُّوَّاض[2]، [و]إن اغتلم لم تفِ جميعُ منافعه في [جميع] دهرِهِ بمضرَّة ساعة واحدة، وهو مرتفعٌ في الثمن، وإن أخطؤوا في تدبير مَطَمِه وَمَشربه، وتعلُّمه وتلقنه[3] هلَكَ سريعاً، ولا يتصرَّف كتصرُّف الدّوابّ، ولا يُركب في الحوائج والأسواق[4] و[في] الجنائز والزِّيارات، ولو أنّ إنساناً عادَ مريضاً أو اتَّبع جنازة على فيل لصارَ شهرةً، وتركَ الميِّت آية.

(رؤيا الفيل)

وسئِل ابن سِيرينَ عن رجلٍ رأى فيما يَرَى النَّائم كأنه راكبٌ على فيل، فقال: أَمرٌ جسيمٌ لا منفعة له[5].

قالوا: وقال رجلٌ للحجَّاج [بن يوسف]: رأيت في المنام رجلاً مِن عُمَّالك قدَّمَ فيلاً فضربَ عُنقَه، فقال: إن صدقَتْ رؤْياك هلك دَاهَر بن بصبهرى[6].

(حكم أكل لحمه)

وسئل الشَّعبيُّ عن أكل لحمِ الفيل، فقال: ليس هو من بهيمة الأنعام.

(خرطوم الفيل)

وخرطومُه، الذي هو سلاحُه والذي به يبطِشُ وبه يعيش، مِنْ مَقاتلِه.

---

(1) ط، ل: «في المنفعة».

(2) التشزن: التحرف والاعتراض. فيما عدا ل: «السرف على الرياض»، تحريف.

(3) ل: «وتقليبه وتنقله».

(4) فيما عدا ل: «في الأسواق».

(5) فيما عدا ل: «فقال له أمر جسيم لا منفعة فيه».

(6) في القاموس: «داهر، كهاجر: ملك الديبل قتله محمد بن القاسم الثقفي». فيما عدا ل: «زاهر» تحريف. وفي ل: «داهر بن صعصعة».

وقال زَهْرة بن جُؤيَّة[1] يوم القادسية: أمَّا لهذه الدابة مقتل؟ قالوا: بلَى، خُرطومه، فشدَّ عليهم حتى خالَطهم، ودنا من الفيل، فحمَلَ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه فضَرَبَ خرطومَه فبَرَك وأدبر القوم.

(بعض صفة الفيل)

قال: والفيل أفقَمُ قصير العنق[2]، مقلوبُ اللسان، مشوَّه الخَلْق، فاحش القُبْح، ولم يفْلِحْ[3] ذو أربعٍ قطُّ قصير العُنق في طلبٍ ولا هرب، ولو[لا] أنّ مسلوخَ الثَّور[4] يجول في إهابه، ولولا سعته وغَبَبُه، لما خَطَا[5] مع قصَر عنقه، ولذلك قال الأعرابي[6]: [«ومن جَعَل الأوْقَص كالأعْنق والمطبّق كالضابع[7]»]، وقال الشَّاعر في غَبَبِ الثَّور[8]، وهو إسحاق بن حسان الخرَيميّ[9]:

وأغلبَ فضفاض جلد اللَّبَانِ ... يُدافع غَبْغَبَه بالوظِيفِ

وليس يُؤتى البَعيرُ في حُضره[10] مع طول عنقه إلاَّ من ضِيق جلْده، والفيلُ ضئيل الصَّوت، وذلك من أشدِّ عيوبه، والفيل إذا بلغَ في الغلمة أشدَّ المبالغ[11] أشبَهَ الجملَ في ترْك الماءِ والعَلف حتى تنضمّ أيْطلاه ويتورَّم رأسه[12]، وقد وصف الرّاجزُ الجملَ الهائج فقال:

سامٍ كأنّ رأسَه فيه وَرَمْ[13] ... إذْ ضَمَّ إطْليْهِ هَياجٌ وقَطَمْ[14]
وآضَ بعد البُدْنِ ذَا لحمٍ زِيَمْ[15]

---

(1) زهرة، بفتح الزاي، كما في القاموس (زهر). وجؤية، أوله جيم، كما في ل وتاج العروس (زهر) قال: «وهو الصواب. ويقال فيه زهرة بن حوية بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الواو. وقيل إنه تابعي، كما حققه الحافظ. وقيل صحابي». انظر الإصابة 2815. وفيما عدا ل: «حيوة» تحريف. وجاء في نسخة القاموس المطبوعة: «بن جويرية».

(2) فيما عدا ل: «صغير العنق».

(3) فيما عدا ل: «ولم يصلح».

(4) فيما عدا ل: «سلاح الثور»، تحريف.

(5) فيما عدا ل: «ولولا سعته لما خطا».

(6) ط: «أعرابي». وبعد هذه الكلمة موضع بياض في كل من ش، هـ وأصل المطبوعة.

(7) الأوقص: القصير العنق. والأعنق: الطويلها. والمطبق: الذي يثب فتقع قوائمه بالأرض معًا. والضابع: الذي يمد ضبيعه في سيره، والضبع: العضد.

(8) الغبب: الجلد المتدلي تحت الحنك. فيما عدا ل: «عيب الثور»، تحريف.

(9) فيما عدا ل: «بن حبان» تحريف. وكلمة «الخريمي» ساقطة من ل. وهي في سائر النسخ «الجريمي»، والصواب ما أثبت. وقد سبقت ترجمة إسحاق الخريمي في (1: 164).

(10) فيما عدا ل: «في ظهره».

(11) ط، هـ: «المبالغة»، وكلمة «أشد» ساقطة من ل.

(12) فيما عدا: «وترم رأسه»، تحريف.

(13) فيما عدا ل: «ودم»، تحريف.

(14) الإطل، بكسرتين وبكسرة، والأيطل أيضًا: الخاصرة. والقطم: شهوة الضراب. فيما عدا ل: «أيطلاً هياج ففطم»، تحريف.

(15) زيم: متفرق ليس بمجتمع. فيما عدا ل: «ودم»، تحريف.

ولو لم يكنْ في الفِيَلة من العيب[1] إلا أن عِدةَ أيام حملها[2] كعمر بعض البهائم، لكان ذلك عيباً.

وقد[3] ترك أهلُ المدينة غِراسَ العَجْوة، لمَّا كانت [لا] تطعِمُ إلاّ بعد أربعين سنة.

(قدرته على حمل الأثقال)

قال: وليس شيءٌ يحمل من عدد الأرطال ما يحمل الفِيلُ، لأنّ الذي يفضُل [فيما] بين حِمْل الفيل وحِمْل البُخْتيّ أكثرُ مِن قَدرِ ما يفضل بين جسم الفيل على جسم البُخْتي.

وقد قال الأعرابيُّ الذي أُدخل[4] على كِسرى ليعْجب[5] من جفائه وجهله، حين قال له: أيُّ شيء أبعَدُ صوتاً؟ قال: الجمل، قال: فأيُّ شيءٍ أطيَبُ لحماً؟ قال: الجمل، [قال: فأيُّ شيء أنهض بالحِمْل؟ قال: الجمل]. قال كسرى: كيف يكون الجملُ أبعَدَ صوتاً ونحن نسمَعُ صوتَ الكُركيِّ من كذا وكذا ميلاً؟ قال الأعرابي: ضَعِ الكرْكيَّ في مكان الجمل، وضَعِ الجملَ في مكان الكُركيّ حتى يُعرفَ[6] أيُّهما أبعَدُ صوتاً، قال: وكيف يكون لحمُ الجملِ أطيبَ من لحم البطّ والدّجاج والفِراخ والدُّرَّاج والنَّوَاهِض والجِداء[7]؟ قال الأعرابيّ: يُطبَخ لحمُ الدَّجاج بماء وملح، ويُطبخ لحم الجملِ بماء وملح، حتى يُعرَف[8] فَضْل ما بين اللّحمَين، قال كِسرى: فكيف تزعُم أنّ الجملَ أحْمَلُ للثِّقْل[9] من الفيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلاً؟ قال الأعرابيّ: ليبركِ الفِيلُ ويَبركِ الجمل، وليُحمَل [على] الفيل حِمْل الْجمل، فإنْ نهض به فهو أحمَلُ للأثقال.

قال القوم: ليس في استطاعة الْجمال النهوضَ بالأحمال[10] ما يوجب لها فضيلةً [على حَمْل ما هو أثقل، ولعمري، إنَّ للجمل بِلينِ أرساغه وطُول عنقِه لفضيلةً في] النُّهوض بعد البروك[11]، فأمَّا نفس الثقل[12] فالذي بَينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار.

قالوا: وبِفارِسَ ثِيرَانٌ تحمِل حِمْلَ الْجملِ باركةً ثم تنهض به[13]، فهذا باب الذمّ.

---

(1) فيما عدا ل: «عيب».
(2) فيما عدا ل: «عدد أيام عمرهم»، تحريف.
(3) فيما عدا ل: «ولو»، تحريف.
(4) فيما عدا ل: «دخل».
(5) فيما عدا ل: «لتعجب».
(6) فيما عدا ل: «حتى تعلم».
(7) الجداء: جمع جدي. وانظر لطيب لحمه ما مضى في (1: 169/ 2: 139/ 4: 26/ 5: 324- 325). وفيما عدا ل: «الجوازل»: جمع جوزل، وهو فرخ الحمام.
(8) فيما عدا ل: «حتى تعرف».
(9) فيما عدا ل: «للثقيل».
(10) فيما عدا ل: «الجمل للنهوض بالأحمال»، تحريف.
(11) فيما عدا ل: «النزول»، تحريف.
(12) فيما عدا ل: «الفيل».
(13) فيما عدا ل: «ثم ناهضة».

(مناقب الفيل)

[فأمّا باب الحَمدِ] فقد حُدِّثنا عن شَرِيكٍ، عن جَابر الجُعْفي، قال: رأيت الشعبيَّ خارجاً فقلت له: إلى أَينَ[1]؟ قال: أَنظُرُ إلى الفيل.

قال: وسألتُ أبا عبيدةَ فقلتُ: ما لونُ الفيل؟ قال: جَوْن.

(ما يحث به الفيل)

ومن أعاجيب الفيل [أن] سَوطه الذي به يُحَثُّ ويصَرَّف[2]، مِحجَنُ حديدٍ[3] طرفُه في جبهته، والطَّرَف الآخَر في يد راكبه، فإذا أراد منه شيئاً غمَزَ تلك الحديدة في لحمه، على قَدْر إرادته لوجوهِ التصرُّف.

(قصة الفيل)

وقد ذكر [ذلك] أبو قيس بن الأسلت في الجاهليَّة، وهذا الشِّعر حجَّة في صَرْفِ اللّه الفيلَ والطَّيرَ الأبابيل، وصدِّ أبي يَكسوم[4] عن البيت، وسنذكر من ذلك طرفاً إن شاء اللّه تعالى، قال أبو قيس[5]:

ومِن صُنْعِه يومُ فِيل الحُبو ... شِ إذْ كلّما بَعثُوه رَزَمْ[6]
محاجِنُهم تحتَ أقرابِهِ ... وقد كَلَمُوا أنفه فانْخَرَمْ
وقد جعلوا سَوْطهُ مِعْوَلاً ... إذا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كلَمْ[7]
فأرسَلَ من فوقهم حاصِباً ... يلفُّهم مثلَ لَفِّ القَزَمْ[8]

(1) بدله فيما عدا ل: «فقلت له أين تريد».

(2) فيما عدا ل: «ويضرب».

(3) ط، هـ: «بمحجن حديد»، تحريف.

(4) أبو يكسوم كنية أبرهة ملك الحبشة الذي وجه الفيل لهدم البيت. انظر ما سبق في حواشي ص65. ل: «وجند الكيسوم»، تحريف.

(5) أنشد هذه الأبيات ابن إسحاق في السيرة 39 جوتنجن. قال ابن هشام: «وهذه الأبيات في قصيدة له. والقصيدة أيضًا تروى لأمية بن أبي الصلت».

(6) في الأصل والسيرة: «كل ما». ورزم: لم يقدر على النهوض رزاحًا وهزالاً. فيما عدا ل: «وزم» تحريف.

(7) ل: «وقد جعلوا وسطه» ش: «صوته»، صوابهما في ط، هـ والسيرة.

(8) ل: «فوقهم صاحبًا» فيما عدا ل: «من ربهم حاصب». وتصح هذه الأخيرة ببناء الفعل للمجهول. وأثبت ما في السيرة. والقزم، بالتحريك: صغار الغنم. فيما عدا ل: «القرم»، صوابه في ل والسيرة.

[و]قال أيضاً صَيْفيُّ بنُ عامر، وهو أبو قيس بن الأسلت، وهو رجلٌ [يمان] من أهل يثْرب، وليس بمكيّ [ولا] تَهامٍ[1] ولا قُرَشِيّ ولا حَليفِ قرشيّ، وهو جاهليّ:

قوموا فصلُّوا ربَّكم وتعوَّذوا ... بأركان هذا البيتِ بين الأخاشب[2]
فعندكمُ منه بلاءٌ مصدَّقٌ ... غداةَ أبي يَكْسُومَ هادِي الكتائبِ
فلما أجازوا بطن نُعمانَ ردَّهم ... جنودُ الإله بين سافٍ وحاصبِ
فولَّوا سِراعاً نادمين ولم يَؤُب ... إلى أهله مِلْحُبْشِ غيرُ عصائِبِ[3]

ويدلُّ على صحَّة هذا الخبرِ قول طُفيل الغَنَويّ، وهو جاهليّ، وهذه الأشعارُ صحيحةٌ معروفةٌ لا يرتاب بها[4] أحدٌ من الرُّواة، وإنما قال [5]ذلك طُفيلٌ لأنَّ غَنِيّاً[6] كانت تنزل تِهامة، فأخرجتها كِنانةُ فيمن أخرجَتْ، فهو قوله:

تَرْعَى مَذانِبَ وَسْمِيٍّ أطاعَ له ... بالجِزْعِ حيثُ عَصَى أصحابَه الفِيلُ[7]

قال أبو الصَّلت، واسمه ربيعة، وهو أبو أميَّة بن أبي الصَّلت، وهو ثَقَفِيّ طائفيّ، وهو جاهليٌّ، وثقيفٌ يومئذ أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجِنان[8]، ولهم اللاتُ والغَبْغَب[9]، وبيتٌ له سَدَنة يضاهِئُون[10] بذلك قريشاً، فقال [مع اجتماع] هذه الأسباب[11] التي توجب الحسدَ والمنافسة:

إنَّ آياتِ ربِّنا بيِّناتٌ ... ما يمارِي فيهنَّ إلاَّ الكَفورُ[12]
حَبسَ الفِيلَ بالمغمَّس حَتَّى ... ظَلَّ يَحْبُو كأنَّه مَعْقورُ[13]

(1) تهام، بالفتح: نسبة إلى تهامة بالكسر. فيما عدا ل: «تهامي»، وهذه بكسر التاء نسبة قياسية.
(2) الصلاة هنا: بمعنى الدعاء. والأخاشب، أراد بهما الأخشبين، وهما جبلا مكة: أبو قبيس والأحمر. والأبيات في السيرة 39-40 جوتنجن.
(3) ط، ش: «ملجيش»، ل: «مل جيش»، هـ: «ملحس»، والوجه ما أثبت من السيرة.
(4) فيما عدا ل: «فيها».
(5) هذه الكلمة ساقطة من ش. وفي ط، هـ: «ذكر».
(6) فيما عدا ل: «تحتها».
(7) المذانب: جمع مذنب، وهو مسيل ما بين كل تلعتين. فيما عدا ل: «مذالف»، تحريف. وانظر ديوان طفيل ص 30.
(8) فيما عدا ل: «وبالجفان»، تحريف.
(9) الغبغب، بتكرار الغين المعجمة، ويقال أيضًا بتكرار المهملة.
(10) المضاهاة والمضاهأة: المشاكلة والمعارضة. وقرئ (يضاهئون) و(يضاهون). فيما عدا ل: «يضاهون».
(11) فيما عدا ل: «الأشياء».
(12) الأبيات مع زيادة في السيرة 40 جوتنجن. وتنسب أيضًا إلى أمية بن أبي الصلت كما في السيرة ومعجم البلدان (المغمس).
(13) المغمس، بتشديد الميم المفتوحة: موضع قرب مكة في طريق الطائف، مات فيه أبو رغال. ل فقط: «ظل يكبو».

واضعاً حَلْقَةَ الجِرَانِ كما قُطَّ ... رَ صخرٌ من كَبْكَبٍ محدُورُ[1]

وقال بعضهم[2] لأبْرَهَةَ الأشرم:

أينَ المفرُّ والإلهُ الطالبْ ... والأشرمُ المغلوبُ غير الغالب

وقال عبد المطَّلب [يوم الفيل] وهو على حِراء:

لاهُمَّ إنَّ المرءَ يمـ ... ـنَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ[3]

لا يغلبَنَّ صليبُهُمْ ... ومِحَالُهُمْ أبداً مِحالَكْ[4]

إنْ كنتَ تاركَهُمْ وقِبْـ ... ـلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وقال نُفَيْل بن حَبيب الخثعميّ، وهو جاهليٌّ شهِدَ الفيلَ وصُنْعَ اللّهِ في ذلك اليوم[5]:

ألاَ رُدِّي جِمالَكِ يا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُم مع الإصْباحِ عَيْنَا[6]

فإنَّكِ لو رأيتِ وَلَنْ تَرَيْهِ ... لدى جنْبِ المحصَّبِ ما رأَيْنَا[7]

أكلُّ الناس يَسْأَلُ عن نُفيل ... كأنّ عَلَيَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا

حَمِدْتُ اللّهَ أنْ عاينْتُ طيراً ... وحَصْبَ حجارة تُلْقَى علينا[8]

وقال المغيرة بنُ عبدِ اللّه المخزوميّ:

أنتَ حبستَ الفيلَ بالمغمَّسْ ... حبَسْتَه كأنَّهُ مُكَرْدَسْ

مُحْتَبَسٌ تزهَقُ فيه الأنفُسْ

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 1 ـ 5][9]، وأنزل هذه السورةَ وقريشٌ يومئذٍ مُجْلبون[10] في الردِّ على النبي صلى الله عليه وسلم، وما

(1) الجران: باطن عنق البعير. فيما عدا ل: «خلفه الجوار». قطر: «أي ألقى على قطره، وهو جانبه. فيما عدا ل: «فطر» تحريف. وكبكب: جبل خلف عرفات.

(2) هو نفيل بن حبيب، كما في السيرة 36.

(3) الحلال: بالكسر: متاع الرحل. فيما عدا ل: «رحالك»، وما أثبت من ل هو رواية السيرة 35.

(4) ش، ل: «جهلاً وما جمعوا محالك». (5) فيما عدا ل: «ومنع الله عز وجل في ذلك اليوم».

(6) الجمال: جمع جمل. ل، ش: «حمالك» بالمهملة، جمع حمل. ورواية السيرة 36، ومعجم البلدان (8: 154): «ألا حييت عنا ياردينا». «نعمناكم» قال السهيل في الروض الأنف 46: «دعاء، أي نعمنا بكم، فعدى الفعل لما حذف حرف الجر. وهذا كما تقول: أنعم الله بك عينا».

(7) فيما عدا ل: «إلى جنب المحصب».

(8) ل: «وخصب» تحريف. وفي السيرة ومعجم البلدان: «وخفت».

(9) بعدها فيما عدا ل: «إلى آخر السورة».

(10) ط، هـ: «مجلية»، تحريف. وفي ش: «مجلبة»، وأثبت ما في ل.

شيءٌ أحبّ إليهم مِن أن يَرَوْا له سَقطةً أو عَثْرَةً أو كِذْبة، أو بعضَ ما يتعلَّق به مثلُهم، فلولا أنّه كان أذكَرَهُم أمراً لا يتدافعونه[1] ولا يستطيع العدوُّ إنكارَه، لِلذي يُرى من إطباق الجميع عليه، لوجدوا أكبرَ المقال[2]، فهذا بابٌ يكثُر الكلام فيه، وقد أَتينا عليه في [كتاب الحُجَّة].

وقال[3]: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: 6]، مثل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: 143]، وهذا كلُّه ليس من رؤية العين لنا.

(استطراد لغوي)

وباب آخَرُ من هذا، وهو قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198]، ويقول الرجُل: رأيتُ الرجلَ قال كذا وكذا، وسمعتُ اللّه قال كذا، وفلانٌ يرى السّيف، وفلان يرَى رأيَ أبي حنيفة، وقد رأيت عَقْلَهُ حسناً، وقال ابن مُقبل:

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبَيْ حِبِرٍّ فَوَاهِبٍ بحيثُ يَرَى هَضْبَ القليب المضيَّحُ[4]

وإذا قابل الجبلُ الجبلَ فهو يراهُ، إذْ قام منه مقام الناظر الذي ينظر إليه.

وتقول العرب: دارُ فلانٍ تَنْظر إلى دار فلان، ودُورُ بني فلان تتناظر[5].

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنا بريءٌ من كلّ مسلمٍ مع مشرك قيل: ولم يا رسول اللّه؟ قال: لا تتراءى ناراهما[6].

ويقولون: إذا استقمت[7] تلقاءَ وجهك فنظَرَ إليك الجبلُ فَخُذْ عن يمينك، وقال الكميت:

وفي ضِبْنِ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ خَطافِ وسَرْحَةُ والأَحْدَلُ[8]

---

(1) فيما عدا ل: «يتدافعون».

(2) فيما عدا ل: «أكثر المقال».

(3) الكلام من هنا إلى نهاية قول الكميت في ص 130: «خطاف وسرحة والأجدل» موضعه فيما عدا ل بعد كلمة «تصرف يدي الفيل» الواردة في ص 135 س10. وورد قبلها فيما عدا ل: «يوصل هذا الموضع بالباب الذي فيه ألم تر كيف فعل ربك». وهي عبارة إلحاق لمسودة الأصل.

(4) فيما عدا ل: «حين جبير براهب»، تحريف. وقد سبق البيت في (2: 141).

(5) في الأصل: «ودور فلان تتناظر» تحريف، وفي (2: 141): «ودورنا تتناظر».

(6) سبق الحديث في (2: 141).

(7) فيما عدا ل: «استقبلت».

(8) سبق البيت في (2: 12). وهذا البيت في ل فقط وليس في سائر النسخ. والضبن، بالكسر: الناحية، يقال أخذ في ضبن من الطريق، أي ناحية منه. وفي الأصل: «ضين» تحريف. والحقف، بالكسر: ما اعوج من الرمل، جمعه أحقاف. والأحدل، بالحاء المهملة: اسم كلب، كما في القاموس (حدل)، وفي الأصل: «الأجدل» تحريف.

(جسامة الفيل)

قال أبو عثمان: خرجتُ يومَ عيدٍ، فلما صِرت بعيساباذ[1] إذَا أنا بتَلٍّ مُجَلَّل بقطوع ومقطَّعات[2]، وإذا رِجالٌ جلوسٌ، عليهم أسلحَتُهم[3] فسألتُ بعضَ مَن يشهَدُ العِيد[4] فقلتُ: ما بال هذه المَسْلَحةِ في هذا المكان وقد أحاطَ النّاس[5] بذلك التَّلِّ؟ فقال [لي]: هذا الفيلُ فقصدتُ نحوَه وما لي هَمٌّ إلاّ النّظرُ إلى أذنيه [فرجعتُ عنه بعد طول تأمُّل وأنا أتوهّم عامَّة أعضائه بل جميعَ أعضائه إلاّ أذنَيه]، وما كانت لي في ذلك عِلَّةٌ إلاّ شَغْلَ قلبي بكلِّ شيءٍ هجمتُ عليه منه، وكلُّه كان شاغلاً [لي] عن أذنه التي إليها كان قَصْدي، فذاكرتُ في ذلك سَهل بنَ هارون، فذكر لي أنَّه ابتُلِيَ بمثلها، وأنشد[ني] في ذلك بيتين من شعره، وهما قوله:

أتيتُ الفيل محتسِباً بقَصْدي ... لأُبصِرَ أُذنَه وَيطولَ فِكْري

فلم أرَ أذْنَه ورأيتُ خَلْقاً ... يقرِّب بين نِسياني وذِكري

(أعجب الأشياء)

قال: وقال رجلٌ مرَّة: أخزى اللّه الفيل [فما أقبحه]، فقال بكر بن عبد اللّه المزَنيّ: لا تشتم شيئاً جعله اللّه آيةً في الجاهليّة، وإرهاصاً للنبوَّة.

وقال سعدان الأعمَى النحوي[6]: قلتُ للأصمعيّ: أيُّ شيءٍ رأيت أعجبُ؟ قال[7]: الفيل.

وقيل لابن الجهم[8]: أيُّ أمورِ الدنيا أعجب؟ قالَ: الشمّ.

وقيل لإبراهيم النظّام: أيُّ أمور الدُّنيا أعجب[9]؟ قال: الرُّوح.

وقيل لأبي عقيل بن دُرُسْت: أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب؟ قال: النَّوْم واليقَظة.

---

(1) عيسا باذ: محلة كانت بشرقي بغداد، منسوبة إلى عيسى بن المهدي، ومعنى «باذ» بالفارسية العمارة. ط، ش: «بقساد» هـ: «بعساد»، صوابهما في ل.

(2) فيما عدا ل: «وإذا فيل مجلل بمقطوع ومقطعات»، تحريف. وفي اللسان (10: 156): «والقطع- يعني بالكسر-: ضرب من الثياب الموشاة، والجمع قطوع والمقطعات: برود عليها وشى مقطع».

(3) فيما عدا ل: «الأسلحة».

(4) فيما عدا ل: «من شهد العيد».

(5) فيما عدا ل: «اختلط الناس».

(6) هو أبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير، كان مولى عاتكة مولاة المهدي، وكان من رواة العلم والأدب البغداديين، يروى عن أبي عبيدة. انظر نزهة الألباء وبغية الوعاة وتاريخ بغداد 4781.

(7) فيما عدا ل: «فقال»، وكذا زيدت الفاء على «قال» فيما عدا ل: في سائر النسخ هذه المجموعة من الأخبار.

(8) هو محمد بن الجهم البرمكي. سبقت ترجمته في (2: 128). فيما عدا ل: «لأبي الفيل».

(9) الكلام بعد كلمة «أعجب» الأولى، إلى هنا ساقط من ل.

وقيل لأبي شمر: أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب؟ قال: النِّسْيان والذِّكر.

وقيل لسلم الخلاَّل[1]: أيُّ أمور الدُّنيا أعجب؟ قال: النار.

وقيل لبَطْلَيْمُوس: أيُّ أمور الدنيا أعجب؟ قال: بَدَنُ الفلك[2]، وقال مرَّة أخرى: الضِّياء.

وقيل لأبي [عليٍّ] عمرُ بن فائدٍ الأُسْواريّ[3]: أيّ شيءٍ [ممّا رأيت] أعجب؟ قال: الآجال والأرزاق، وكان إبراهيم بن سيَّارٍ النَّظامُ شديدَ التعجُّب من الفيل[4].

وكان مَعْبَدُ بنُ عُمَر[5] يقول: إنَّ السرطان والنعامة أكثر عجائبَ من الفيل، وهذا [كله] تفسير[6].

(قول الخضر في بعض الدواب)

أبو عقيل السّوّاق، عن مُقاتل بن سليمان، قال: قال مُوسى للخضر[7]: أي الدوابِّ أحبُّ إليك، وأيُّها أبغَض؟ قال: أُحِبُّ الفرسَ والحمارَ والبعيرَ؛ لأنّها [من] مراكب الأنبياء، وأُبغِض [الفيل[8] و]الجاموسُ والثَّور.

فأمّا البعير فمركب هُودٍ وصالحٍ وشعيب والنبيِّين عليهم السلام، وأما الفرَس فمركب أُولِي العزْم من الرُّسل وكلٍّ من أمرَهُ اللّه بحمل السِّلاح وقتالِ الكفَّار، وأمّا الحِمار فمركب عيسى بنِ مَريم وعُزَير وبَلعَم[9]، وكيف لا أحبُّ شيئاً أحياه اللّه بعدَ موته قبل الحشْر[10].

قال: ولمّا نظر الفضلُ بن عيسى الرَّقاشيُّ إلى سَلْم بن قُتيبة[11] على حمارٍ يريد المسجد قال: قِعْدة نَبِيٍّ وبِذْلة جَبّار[12].

وأبغض الفيل لأنَّه أبو الخنزير[13]، وأبغض الثَّور لأنّه يشبه الجاموس، وأبغض الجاموسَ لأنّه يشبه الفيل.

---

(1) فيما عدا ل: «لسالم الخلال».
(2) فيما عدا ل: «بطن الفلك».
(3) سبقت ترجمته في (6: 121) فيما عدا ل: «عمرو بن فايل»، تحريف.
(4) فيما عدا ل: «في الفيل».
(5) فيما عدا ل: «سعيد بن عمرو».
(6) فيما عدا ل: «وهذا تفسير».
(7) الخضر النبي صاحب موسى الذي التقى معه بمجمع البحرين. وهو بفتح فكسر. وفي اللسان: «يجوز في العربية الخضر- أي بالكسر- كما يقال كبد وكبد. قال الجوهري: «وهو أفصح».
(8) هذه التكملة من ل، ش.
(9) ل: «بعلوم».
(10) إشارة إلى قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فأماته الله هو وحماره مائة عام ثم بعثهما. انظر التفاسير للآية 259 من سورة البقرة.
(11) فيما عدا ل: «مسلم بن قتيبة»، تحريف. وانظر البيان (1: 307).
(12) البذلة وبالكسر، هو من الثياب ما يلبس ويمتهن ولا يصان.
(13) ط، هـ: «الخنازير».

وأنشد[ني] في هذا المعنى جَعفرٌ ابنُ أختِ واصل، في منزل الفضل بن عاصم الباخَرزيّ[1]:

ما أبغضَ الخَضرُ فيلاً منذ كان ولا ... أحبَّ عيراً وذا كم غاية الكَذِبِ
[وكيف يُبغض شيئاً فيه مُعتَبرٌ ... وكان في الفُلك فَرَّاجاً من الكُرَبِ
والفيلُ أقبلُ شيء لو تُلُقِّنُه ... حاجاتِ نفسكَ من جِدٍ ومن لعبِ
ولو تَتَوَّجَ فينا واحدٌ فرأى ... زيّ الملوكِ لقد أوفى على الرُّكبِ[2]
يُغضِي ويَركعُ تعظيماً لهيبته ... وليس يعدِلُه النَّشْوانُ في الطربِ[3]
[وليس يَجْذَل إلا كلُّ ذي فَخَرٍ ... حُرٍ ومَنَبِته من خالص الذَّهبِ
مثل الزنوج فإنّ الله فضَّلهم ... بالجود والتَّطويل في الخطبِ]

قال: أنشدنيها يونس لابن رباح الشارزنجيّ[4]، فمدَحَ الفيل[5] كما ترى بالطَّرب والحِكاية، وأنّه قد أُدِّب وعُلِّم السجودَ للملوك.

(سجود الفيل للملك)

وزعموا أنّ أَوَّلَ شيءٍ يؤدّبونَه بهِ السجُودُ للملك[6]؛ قالوا: خرج كِسرى أبرويز[7] ذات يوم لبعض الأعياد، وقد صَفّوا له ألفَ فيل[8]، وقد أحدق[9] [به و]بها ثلاثونَ ألفَ فارِس، فلمّا بصُرَتْ به الفِيَلةُ سجدتْ له، فما رفَعَتْ رأسَها حتى جُذِبَت بالمحاجن وراطَنَها الفيَّالون. وقد شهد ذلك المشهد جميعُ أصناف الدوابِّ: الخيلُ فما دونها[10]، وليس فيها شيءٌ يفصِل

(1) فيما عدا ل: «الناجوري».
(2) ط، ش: «منها»، وفيما عدا ل: «واحد لرأى رأي الملوك ولو أوفى». وفي ل: «عن الركب». يقول: إذا توج أحدنا فرأى الفيل عليه زي الملوك وشارة السلطان أو في الفيل على ركبه ساجدًا، وذلك أن الفيلة قد علمت السجود للملوك.
(3) فيما عدا ل: «النسوان».
(4) فيما عدا ل: «أنشدنيها يونس بن رياح» تحريف. وقد سبق بعض تحقيق هذا العلم في (1: 194). وقد اختلف في اسمه، فقيل سنيح بن رباح، كما سبق في الجزء الأول. وقيل رياح بن سنيح كما في الكامل 415 ليبسك، وقيل رياح بن سبيح، وسبيح بن رياح كما في اللسان (طول). وقال ابن الأثير في الكامل (4: 161) في ذكر فتنة الزنج أيام مصعب بن الزبير: «وجعلوا عليهم رجلاً اسمه رباح، ويلقب شيرزنجي، يعني أسد الزنج».
(5) فيما عدا ل: «وهو يمدح الفيل».
(6) فيما عدا ل: «أن أول شيء يؤذنونه بالسجود للملك الفيل».
(7) ل: «أبرواز». انظر ما سبق من التنبيه في ص 117.
(8) فيما عدا ل: «وقد وضعوا له ألف فيل».
(9) ل: «أحدقت».
(10) فيما عدا ل: «والخيل فما دونها» بزيادة واو.

بين الملوكِ والرعيَّة[1]، فلما رأى ذلك كسرى قال: ليت أنّ الفيلَ كان فارسيّاً ولم يكن هنديّاً، انظُروا إليها وإلى سائر الدوابّ، وفضِّلوها بقدر ما ترَون من فَهْمها وأدبها.

وأما ما ذَكَرَ بهِ الزِّنجَ[2] من طول الخُطب فكذلك همْ في بلادهم وعند نوائبهم، ولكنَّ معانيهم لا ترتفع عن أقدار الدوابِّ إلاّ بما لا يذكر[3].

(ما قيل في تعظيم شأن الفيل)

وأنشدوا[4] في تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجَودة تحديقه وتأمُّله، وسكونِ طرْفه، [والشّعر لبعض المتكلّمين]:

إذا ما رأيت الفيل ينظر قاصداً ظننت بأنّ الفيلَ يلزمُه الفَرْضُ[5]

[وقد قيل إن الشِّعر لسهل بن هارون].

(مثَل النون والضب)

وقال عبد الأعلى [القاصّ[6]: يقال] في المثل: إنّ النون قال للضبّ[7] حينَ رأى إنساناً في الأرض: إني قد رأيتُ عجباً، قال: وما هو؟ قال: رأيتُ خَلْقاً يمشي على رجليه، ويتناول الطعام بيديه [فَيُهْوِي به] إلى فيه، قال: إنْ كان ما تقولُ حَقاً فإنّه سيُخرجُني من قعر البحر ويُنزِلُك من وَكْرك من [رأس] الجبل.

(تناول الفيل والقرد طعامه)

والفيل أعجَبُ منه، لأنَّ أنفَه[8]، وأيدي البهائم والسِّباع على حال عاملة شيئاً[9]، والقِردُ يأكل بيديه وَيَنْقِي الجَوزة[10] ويتفلَّى ويَفْلِي أُنثاه[11]، وليس شيءٌ يكرَع بأنفه ويُوصِلُ الطعامَ إلى فيه بأنفه غير الفيل.

---

(1) يفصل: أي يميز ويعرف الملوك من غيرهم. فيما عدا ل: «الملك».

(2) إشارة إلى البيت الذي سبق في ص 133 س9. ل: «ما ذكره الزنج»، وفيما عدا ل: «ما ذكرته الزنج»، والوجه ما أثبت.

(3) فيما عدا ل: «إلا ما لا يذكر».

(4) فيما عدا ل: «وأنشدنا».

(5) سبق البيت في ص 119.

(6) في الأصل- وهو هنا ل-: «القاضي تحريف. وقد سبق بعض خبره في (1: 97/ 5: 153).

(7) كذا والوجه «قال له الضب».

(8) فيما عدا ل: «لأن يده فمه»، تحريف.

(9) كذا في ل. وفيما عدا ل: «على ذلك عاملة شيئًا».

(10) ينقيها: يستخرج لبها من القشر، يقال نقى العظم نقيًا: استخرج نقيه. فيما عدا ل: «الجوز».

(11) بدله فيما عدا ل: «ويفلي ثيابه»، تحريف.

(إطعام الدب ولدها)

والدب الأنثى تُقيم أولادَها تحت شَجرةِ الجوز، ثم تصعَد الشّجرة فتجمَع الجوز في كفِّها، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمي به إلى أولادها، فلا تزال كذلك حتى إذا شبعْنَ نزلَتْ.

وربّما قطع الدّبُّ من الشجرة الغُصْن [العَبْل] الضّخمَ الذي لا يقطعه صاحب الفأس إلاّ بالجهد [الشديد]، ثم يشدّ به على الفارس قابضاً عليه[1] في موضع مقبض العصا[2] فلا يصيبُ شيئاً إلاّ هَتَكه.

(كثرة تصرف يدي الفيل)

قال صاحب المنطق: ليس شيءٌ من ذوات الأربع إلاّ وتصرُّف يديهِ في الجهات أقلُّ من تصَرُّف يَدَي الفيل[3].

(شعر في وصف جلد الفيل والجاموس)

وقال أبو عثمان: ويوصف جِلدُ الفيل، و[جلدُ] الجاموس بالقوَّة، قال جميل:

إذا ما علَتْ نَشْزاً تمدُّ زِمامَها ... كما امتدّ نِهيُ الأصْلَفِ المترقرقِ[4]

وما يبتغِي مِنّي العُداةُ تفاقدوا ... ومِن جِلدِ جاموسٍ سمينٍ مطرَّقِ[5]

وأبيضَ مِن ماءِ الحديدِ اصطفيتُه ... له بعد إخلاص الضريبة رَوْنَقُ[6]

---

(1) فيما عدا ل: «عليها»، محرف.

(2) فيما عدا ل: «قبض العلماء»، تحريف.

(3) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل عبارة مقحمة تبتدئ من ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ [الفيل: 1]. وتنتهي إلى «فخذ عن يمينك». وقبلها إشارة إلحاق نصها: «نوصل هذا الموضوع بالباب الذي فيه..» وقد تنبه كاتب نسخة كوبريلي إلى هذه الإشارة فرد هذه العبارة إلى موضعها فيما سبق. انظر ص 130.

(4) النهي، بالكسر: الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء. والأصلف: ما اشتد من الأرض وصلب. فيما عدا ل: «جلد الأصلف»، تحريف.

(5) تفاقدوا: دعاء عليهم؛ أي فقد بعضهم بعضًا. المطرق، عنى به الغليظ، كأنه طراق فوق طراق. ل: «جاموس بسبتين مطرق»، تحريف.

(6) فيما عدا ل: «من ماء الحديد مهند له بعض إخلاص ضريبة رونق». و«ضريبة رونق» تحريف، صوابه في ل مع ما فيه من الإقواء.

(شعر فيه ذكر الفيل)

وقال كعبُ بن زهير في اعتذارِهِ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم:

لـقـد أقـومُ مـقـامـاً لـو يـقـوم بـه ... أَرى وأسـمـعُ مـا لـوْ يَـسْـمَـعُ الـفـيـلُ[1]

لـظَـلَّ يُـرعَـدُ إلاّ أن يـكـون لـه ... مِـنْ الـرَّسـولِ بـأمـر الـلّـه تـنـويـلُ[2]

وذكر أمية بن أبي الصلت سفينةَ نوح فقال:

تـصـرخ الـطَّـيـرُ والـبـريَّـة فـيـهـا ... مَـعْ قـويِّ الـسِّـبـاعِ والأفـيـالِ

[حـيـنَ فـيـهـا مـن كـلِّ مـا عـاشَ زوجٌ ... بـيـن ظَـهـرَيْ غـوارِبٍ كـالـجـبـالِ]

وقال أميَّة أيضاً:

خَـلَـقَ الـنَّـحْـل مُـعْـصِـرَاتٍ تَـرَاهـا ... تَـعْـصِـف الـيـابسـات والـمـخْـضُـورا[3]

والـتـمـاسـيـح والـثـيَـاتِـل والأيِّـ ... ـلَ شَـتَّـى والـرِّيـمَ والـيـعـفـورا[4]

وصُـواراً مـن الـنَّـواشـط عِـيـنـاً ... ونـعَـامـاً خـواضـبـاً وحَـمـيـرا[5]

وأسـوداً عـوادِيـاً وفـيـولاً ... وسِـبـاعـاً والـنَّـمـرَ والـخِـنـزيـرا[6]

(طيب عرق الفيل)

وتزعم الهند أنّ جبهة الفيل في بعض الزمان تَعرق عرَقاً[7] غليظاً غيرَ سائل، يكون أطيبَ رائحة من المِسْك، وهذا شيءٌ يعتريه كلَّ عامٍ، وموضعُ ذلك الينبوعِ في جَبْهته.

---

(1) انظر توجيه ابن هشام لإعراب هذا البيت في شرح بانت سعاد 76. فيما عدا ل: «ما يقوم به»، تحريف. وفي ل: «ما لا يسمع الفيل»: محرف.

(2) في بانت سعاد: «بإذن الله تنويل» والتنويل: العطية. ل: «بإذن الله تنزيل»، وهذه الكلمة الأخيرة محرفة.

(3) في اللسان: «الخضر والمخضور: اسمان للرخص من النبات» ط، هـ: «والمحظورا» صوابه في ل، ش.

(4) الثياتل: جمع ثيتل، وهو الوعل. ط، هـ: «والرتائل» ش: «والسنابيل» صوابهما في ل. والرئم: الظبي الخالص البياض. واليعفور: الظبي الذي لونه كلون العفر، وهو التراب. فيما عدا ل: «والعصفورا»، تحريف. وقد ورد البيت محرفًا في اللسان (ثتل).

(5) الصوار، بالكسر والضم: القطيع من البقر. والنواشط: جمع ناشط، وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض. والخواضب: جمع خاضب، وهو الظليم قد احمرت ساقاه. ط، ش: «ضواحيا» هـ: «صواحبا»، صوابه في ل.

(6) عواديا: من العدو أو من العدوان. ط: «عواريا»، تحريف. فيما عدا ل: «والنمل» بدل «والنمر»، تحريف.

(7) ط، ش: «بهيمة الفيل في بعض الزمان يعرق»، صوابه في ل، ش.

(فأرة المسك والإبل)

والنّاسُ يجِدُون رِيحَ المسك في بيوتهم في بعض الأحايين، وهي ريح فارةٍ يقال لها فارة المِسْك، [والذي يكون في ناحية خراسان الذي له فأر المسك ليسَ بالفأر[1]]، وهو بالخِشْف حين تضَعُه الظّبيةُ أشبَه.

وتقول العرب في فارةِ الإبلِ صادرةً: إنَّ أرَجَ ذلك العرقِ أطيبُ من المسك الأذْفَر في ذلك الزمان، وفي ذلك الوقت من اللّيل والنهار.

قال الراعي:

لـهـا فـارةٌ ذَفْـرَاءُ كـلَّ عـشِـيَّـةٍ كـمَـا فَـتَـقَ الـكـافـورَ بـالـمـسـكِ فـاتـقُـهْ

قال الأصمعيّ قلت لأبي مهدية[2]، [أو قيل لأبي مهدية]: كيف تقول لا طِيب إلا المسك؟ [قال: فأين أنت من البان، قال: فقيل له: فقل: لا طيب إلا المسك والبان، قال: فأين أنت عن أدهانٍ بحَجْر، قالوا له: فقل: لا طيبَ إلاّ المسك] والبانُ وأدهانٌ بحَجْر، قال: فأين أنتم عن فارة الإبل صادرة؟.

قالوا: وربّما وجَدَ النّاسُ في بيوتهم الجُرذَ يضرب إلى السَّوَاد، يجدونَ من بدَنه إذا عَدا إلى جُحْره رائحةً تشبه رائحةَ المسك، وبعضُ النّاس يزعم أنّ هذا الجنسَ هو الذي يَخْبأ الدَّنانير والدراهمَ والحُليّ، كما يصنع العَقْعق والغُرَابُ.

وهذا الجرذُ غير فارة المسك التي تكون بخُراسان، وتلك بالخِشْف الصَّغير أشبه، وإنما يأخذون سُرَّتَه وهي ملأى[3] من دمٍ عَبيط.

(الآية في الفيل)

قالوا: وقد جعل اللّه الفيلَ من أكبر الآيات وأعظم البُرْهانات للبيت الحرام ولِقِبْلة الإسلام، وتأسيساً لنبوَّة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وتعظيماً لشأنه ولما أجْرَى[4] من ذلك

---

(1) فيما عدا ل: «وليس به».

(2) في الأصل: «لابن مهدية»، تحريف. وانظر ما سبق في (5: 209).

(3) فيما عدا ل: «ملآنة»، وهما صحيحتان، يقال ملآنة وملأى.

(4) فيما عدا ل: «وما أجري».

على يَدَي جدِّه عبد المطلب، حين غدَت الحبشةُ لِتهدمَ البيتَ الحرام وتُذِلَّ العرب[1]، فلم يذكر اللّهُ منهم ملِكاً ولا سُوقةً باسم ولا نَسب ولا لقب[2] وذكرَ الفيلَ باسمه المعروف، وأضاف السورةَ التي ذكر فيها[3] [الفيلَ إلى الفيل]، وجعل فيه[4] من الآية أنهم [كانوا] إذا قصَدُوا به نحوَ البيت تَعَاصَى وبَرَكَ[5]، وإذا خلَّوه وسَوْمَه[6] صَدَّ عنه وصَدَف، وفي أضعاف ذلك التقَمَ أذنَه نُفيل بن حَبِيب، وقال: «ابرُكْ محمود[7]»، وكان ذلك اسمَه.

(الطعن في قصة الفيل)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا: قد يستقيم أن ينصرف عنه وَيحْرِدَ[8] دونَه، كلّ ذلك بتصريف اللّه له[9]، وكيف يجوز أن يَفْهَمَ كلامَ العرب ويعرفَ معنى قول نُفيل؟ فإن قلتم[10]: [قد] يفهم الفيل عن الفَيّال جميعَ الأدب والتقويم، وجميعَ ما يريد منه[11] عند الحَطِّ والرَّحيل والمُقام والمسير، قلنا: قد يَفهم بالهنديّة كما يعرف الكلبُ اسمَه، ويعرفُ قولَهم اخسَا، وقد يعرِف السّنّورُ اسمَه ويعرف الدُّعاءَ والزَّجْر، وكذلك الطِّفلُ والمجنون، وكذلك الحمارُ والفرس إذا كنَّ قد عُوِّدْن تلك الإشارة، وسماعَ تلك الألفاظ، فأمّا الفيل وهو هنديٌّ جلبَه[12] إلى تلك البلْدة حبشيٌّ، فخرجَ من عُجْمة إلى عجمة، كيف يفهمُ مع ذلك لسانَ العرب[13] وسِرار نُفَيل بن حَبيب بالعربيّة؟

قلنا: قد يستقيم أن يكون قال له كلاماً بالهنديّة كان قد تعوَّدَ سَماعه من الفيّالين، فيكونَ ترجمتُه بالعربيّة هذا الكلامَ الذي حكَوْه، وقد يكون الذي أنطَقَ الذِّئبَ لأُهبانَ بنِ أوس؛ وجعل عود المنبر يحنّ[14] إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن يصوِّر لوهم الفيل إرادة

---

(1) ل: «حين غزت الحبشة لهدم البيت الحرام وإذلال العرب».
(2) فيما عدا ل: «نعت».
(3) ط فقط: «وأضاف إليه السورة التي ذكره فيها».
(4) فيما عدا ل: «فيها».
(5) ل: «تعصي وبرك» يقال، تعصى الأمر اعتاص.
(6) يقال خلاه وسومه، أي تركه وما يريد، فيما عدل ل: «وشأنه».
(7) ط، ش: «جمهور» هـ: «حهور»، والصواب ما أثبت من ل مطابقًا ما في السيرة 35 جوتنجن.
(8) يحرد: يتنحى. ش، هـ: «يحرر»، تحريف. ل: «يحزن» صواب هذه «يحرن».
(9) ل: «بتعريف الله له».
(10) ط، ش: «قلت» فقط، تحريف، هـ: «قال قلتم»، الصواب في ل.
(11) فيما عدا ل: «ما يراد منه».
(12) فيما عدا ل: «جاء به».
(13) ط فقط: «كلام العرب».
(14) فيما عدا ل: «عود الهيثم يجيء»، تحريف.

نُفَيل بن حبيب، وقد يستقيم مع لَقَن الفيل وذكَائه وحكايته[1] ومُؤاتاته، أن يعرف ذلك كلَّه وأكثرَ منه، لطول مُقامِه في أرض الحبَشة واليمن، وليس يبعُد أن يكون بأرض الحبشة جماعةٌ كثيرةٌ من العرب من وافد وباغٍ وتاجر، وغيرِ ذلك من الأصناف، فيسمع ذلك منهم الفيلُ [فيعرفه]، وليس هذا المقدار بمستنكَرٍ من الفيل، مع الذي قد أجمَعُوا عليه من فَهم الفيل ومَعرفته.

وكان منكه المتطبّب[2] الهنديّ صحيح الإسلام، وكان إسلامَه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبُّت، قالوا: فسمع مَرَّةً من رجل[3] [وهو] يقرأ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]، وسمع بعضَ الجهال يقول: فكيف لو رأى الفيل؟ فعذلَه قَوم، فقال منكه: لا تَعْذلُوه فإنَّه لا شكَّ أنَّ خَلْقَ الفيل أعجَبُ، فقيل له: فكيف[4] لم يضرب به اللّه تعالى المثلَ دونَ البعير؟ فقال [أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام: فقلت له: ليس الفيلُ بأعجبَ من البعير، واجعَلْه يعجِّب من البعير، وهو[5]] إنما خاطب العرب، وهم الحجةُ على جميع [أهل] اللغات، ثم تصير [تلك] المخاطبةُ لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب، الذين بهم بَدَأت المخاطبة لجميع الأمم[6]، وكيف يجوز أن يعجِّب جماعةَ الأمم من شيءٍ لم يروْه قطّ، ولا كانَ على ظهرها يوم نزلَتْ هذه السورة رجلٌ واحد [كان] قد شهد الفيلَ والحبشة[7]، وعلى أنَّ الفيلَ وافَى مكَّةَ وما بها أحدٌ إلاّ عبدُ المطلب في نفير[8] من بقيَّة النَّاس، ولا كانوا حيث يتأمّلون [الفيل].

و[قد] قال ناسٌ: كان النَّاسُ رَجلين[9]، رجلٌ قد سمِع بهذا الخبر من رِجالات قريش الذين يجترُّون إلى أنفسهم[10] بذلك التَّعظيم، كما كانت السَّدنةُ تكذِب للأوثان[11] والأصنام [والأنصاب]، لتجترَّ بذلك المنافع[12]، ورجلٌ لم يكن عندَه علمٌ بأنّ هذا الخبرَ باطل فلم يتقدَّم[13] على إنكار ذلك الخبر، وجميعُ قريش تثبِّته.

---

(1) ط، هـ: «وحكاياته».
(2) فيما عدا ل: «الطبيب». ومنكه هذا أحد أطباء الهند الذين اجتلبهم يحيى بن خالد. انظر البيان (1/ 92).
(3) فيما عدا ل: «رجلًا».
(4) فيما عدا ل: «قيل له كيف».
(5) هذه الكلمة من ل، ش، هـ: «والكلام قبلها تكملة من ل.
(6) لجميع الأمم: ليست في ل.
(7) فيما عدا ل: «الفيل من الحبشة»، تحريف.
(8) فيما عدا ل: «نفر».
(9) فيما عدا ل: «كرجلين»، تحريف.
(10) فيما عدا ل: «يحقرون أنفسهم»، تحريف.
(11) فيما عدا ل: «تكذب الأوثان»، محرف.
(12) فيما عدا ل: «لتحقر بذلك التابع»، تحريف.
(13) فيما عدا ل: «ولم يتقدم».

قيل لهم: إنَّ مكَّة لم تَزَل دارَ خُزاعة[1] وبقايا جُرهم[2] [وبقايا الأمم البائدة، وكانت كنانة منها النَّسَأة، وكانت مرّ بن أدّ مِنْ رَهْطِ صُوفة والرَّبيط[3] منها أصحاب المزدلفة، وإليهم كانت السِّدانة، وكانت عَدْوان وأبو سيّارة عَمِيلة بن أعزَل، تدفع بالنّاس]، وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان[4] حتى انتزعوا البيت منهم[5]، وقد كان بين ثقيف وقُريش لقُرب الدار والمصاهرة، والتَّشابه في الثروة[6] والمشاكَلة في المجاورة[7] تحاسدٌ وتنافر[8]، وقد كان هنالك فيهم المولى والحُلفاء والقطّان[9] والنازِلة، ومَن يحجُّ في كلِّ عام، وكان البيت مَزُوراً على وجْه الدهر، يأتونه رجالاً ورُكباناً وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميق، وبشِقِّ الأنفس، كما قال اللّه تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: 37]، وكانوا[10] بقرب سُوق عُكاظ وذي المجاز، وهما سوقان معروفانِ، وما زالتا قائمين حتى جاء الإسلام، فلا يجوز أن يكون السَّالب والمسلوب، والمفتخر [به والمفتخَر] عليه، و[الحاسد و]المحسود، والمتديِّن به والمنكر له، مع اختلاف الطبائع وكَثْرة العلل، يُجْمِعُون كلهم على قَبول هذه [الآية] وتصديق هذه السُّورة، وكلهم مُطْبقٌ[11] على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، والكُفْر به.)

والمحلُّون من العرب ممَّن كان لا يرى للحَرَم ولا للشَّهر الحرام حُرمةً: طيِّئٌ كلها، وخثعمٌ كلُّها، وكثيرٌ من أحياء قُضاعة ويَشْكُرَ والحارثِ بن كعب، [و]هؤلاء كلُّهم أعداءٌ [في] الدِّين والنَّسَب، هذا مع[12] ما كان في العرب من النّصارى[13] الذين يخالفون دِينَ مُشركي

---

(1) فيما عدا ل: «لم تزل وإن خزاعة»، محرف.

(2) فيما عدا ل: «وبقايا جرهم بها».

(3) صوفة: أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية، أي يفيضون بهم من عرفات. وكان أحدهم يقوم فيقول: أجيزي صوفة. فإذا أجازت قال: أجيزي خندف، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة. وأما الربيط، فلقب الغوث أيضًا، كما في القاموس (ربط)، قالوا: سمي بذلك لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة.

(4) فيما عدا ل: «وقد كان بينهم ما كان».

(5) ط، هـ: «بينهم»، وأثبت ما في ل، ش.

(6) فيما عدا ل: «والمشابهة والثروة».

(7) أي مجاورة البيت. فيما عدا ل: «التجارة».

(8) فيما عدا ل: «وتصاقب».

(9) ط، هـ: «وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والكان»، تحريف. ش: «وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان»، وأثبت ما في ل.

(10) فيما عدا ل: «وكان».

(11) فيما عدا ل: «وهم مطبقون».

(12) فيما عدا ل: «إلى».

(13) فيما عدا ل: «في العرب والنصارى»، تحريف.

العرب كلَّ الخلاف، كتغلبَ، وشيبانَ، وعبدِ القيس، وقضاعةَ، وغَسَّان، وسَليح[1]، والعِباد، وتَنوخَ، وعاملةَ، ولخم، وجُذَامَ، وكثيرٍ من بَلحارث بن كعب، وهم خُلَطاء وأعْداء، يُغاوِرون[2] ويَسْبُون، ويُسْبَى منهم، وفيهم الثُّؤُور[3] والأوتار والطوائل، وهي العربُ[4] وألسنتُها الحِداد، وأشعارُها التي [إنما] هي مَياسم[5]، وَهِمَمُها البعيدة[6]، وطلبُها للطّوائل، وذمُّها لكلّ دقيقٍ وجليل من الحسَن والقبيح، في الأشعار والأرجاز [والأسجاع]، والمزدَوِج والمنثور، فهل سمْعنا[7] [بأحد] من جميع هؤلاء الذين ذكرْنا[8] أنكَرَ[9] شأنَ الفيل، أو عَرَضَ[10] فيه بحرف واحد.

(كلام الفيل والذئب)

ورَزِينٌ العَروضيُّ ـ وهو أبو زهير[11] ـ لم أر قطُّ أطيبَ منه احتجاجاً، ولا أطيب عبارة قال في شعرٍ له يهجو ولدَعقبةَ بنِ جعفر[12]، فكان في احتجاجه عليهم وتقريعِه لهم[13] أن قال:

تِهتُمْ علينا بأن الذِّئبَ كلّمكمْ ... فقد لعمري أبُوكُم كَلَّمَ الذِّيبا
فكيفَ لو كلمَ اللّيث الهصورَ إذاً ... تركتمُ الناس مأكولاً ومَشرُوبا
هذا السُّنَيديُّ لا أصلٌ ولا طرف ... يكلّم الفِيلَ تصعيداً وتَصويبا

ولو كان ولد أُهبان بن أوس ادَّعَوا أنّ أباهم كلم الذئب، كانوا مجانين وإنما ادَّعوا أنّ الذئبَ كلّمَ أباهم، وأنّه ذُكِرَ ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم وأنّه صَدَّقه.)

---

(1) سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة، كما في الاشتقاق 364، وفي القاموس (سلح): «وكجريح قبيلة باليمن». وفي العمدة (2: 177): «سليح، وهم من غسان، وقيل من قضاعة». فيما عدا ل: «وسليم»، تحريف.

(2) المغاورة: أن يغير بعضهم على بعض. ط، ش: «يغارون»، تحريف.

(3) الثؤور: جمع ثأر. فيما عدا ل: «الشرور»، تحريف.

(4) فيما عدا ل: «وهم العرب».

(5) ل: «ميسم».

(6) ط، ش: «همها البعيدة» هـ: «وهمها البعيدة»، صوابهما في ل.

(7) فيما عدا ل: «فما سمعنا».

(8) فيما عدا ل: «ذكرنا أحدًا».

(9) ل: «إنكار»، ولا يلتئم بما بعده.

(10) فيما عدا ل: «أو عرف»، تحريف.

(11) فيما عدا ل: «أبو وهب».

(12) فيما عدا ل: «عتبة بن جعفر».

(13) فيما عدا ل: «وتعريفه لهم».

والفيلُ ليس يكلِّم السنديّ، ولم يدَّعِ ذلك السنديّ قطُّ، وربَّما كان السِّنديُّ[1] هو المكلّم له، والفيل هو الفَهِمَ عنه[2].

فذهب رَزين العَرُوضيُّ من الغَلَط[3] في كل مذهب.

(ما يكلَّم من ضروب الحيوان)

والنَّاس [قد] يكلّمون الطيرَ والبهائم والكلابَ والسَّنانير والمَرَاكب[4]، وكلَّ ما كان تحتَهم من أصناف الحيوان التي قد خوِّلوها وسُخِّرَتْ لهم، وربَّما رأيتَ القرَّادَ يكلّم القِرد بكلِّ ضرب من الكلام، ويُطيعه القِرد في [جميع] ذلك، وكذلك ربَّما رأيتَه يلقِّن الببغاء ضروباً من الكلام، والبَبْغاء تحكيه، وإنّ في غراب البَيْنِ لَعَجَباً[5]، وكذلك كلامهم للدب [والكلب] والشاة المكّيَّة، وهذه الأصنافِ التي تَلْقَن وَتَحْكِي.

(تكليم الأنبياء للحيوان)

وقد رَوَى الناسُ عن النبي صلى الله عليه وسلم في كلام السِّباع والإبل ضروباً، ولم يذهبوا إلى أنها نطقَتْ بحروفٍ مقطّعة، ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون [اللّه] أوحَى إليه بحاجاتها، وإمَّا أن تكون فِراسته وحِسّه وتثبُّتُه في الأمور، مع ما يُحْضِرُهُ اللّه[6] من التوفيق، بَيَّنَ له معانيَها وجلاَّها له، واستدلَّ بظاهر على باطنٍ، وبهيئة[7] وحركةٍ على موضع الحاجة، وإمَّا أن يكون اللّه ألهمه ذلك إلهاماً. وأمَّا جِهةَ سليمان بن داود، صلى اللّه على نبينا وعليه، في المعرفة بمنطق الطير ومَنطِق كلِّ شيء، فلا ينبغي أن يكون ذلك إلاّ أن يقوم منها في الفهم عنها مَقامَ بعضِها من بعض، إذا كان اللّه قد خصَّه بهذا الاسم، وأبانَه بهذه الدَّلالة، وأعلام الرُّسُل لا يكثُر عددُها، ولا تَعظم أقدارها[8] على أقدار فضائل الأنبياء[9]؛ [لأن أكثر الأنبياء] فوقَ سليمان بن داود، وأدنى ذلك أنّ داود فَوْقه، لأن الحكم في الوارث والمورِّث، والخليفة والذي استخلفه، أن يكون الموروثُ أعلى، والمستخلِف أرفَعَ، كذلك ظاهر هذا

(1) في ثمار القلوب 310 نقلاً عن الحيوان: «وإنما السندي».
(2) فيما عدا ل: «المتفهم عنه».
(3) هـ، ط: «التغليط» محرف، إذ التغليط أن تقول لصاحبك: غلطت.
(4) أي ما يركب من الدواب.
(5) فيما عدا ل: «تعجبًا»، تحريف.
(6) ط فقط: «يحضر الله».
(7) فيما عدا ل: «ونبهه»، تحريف.
(8) فيما عدا ل: «ولا يعظم قدرها».
(9) فيما عدا ل: «فضل الأنبياء».

الحكم حتى يخصّ ذلك برهانٌ حادث. وإنما تكثر العلامات وتعظُم على قدْر طبائع أهل الزمان، وعلى قدر الأسباب التي تتَّفق وتتهيَّأ لقومٍ دون قوم، وهو أن يكونوا جبابرةً عُتاةً، أو أغبياءَ مَنقوصين، أو علماءَ معاندين، أو فلاسفةً محتالين، أو قوماً [قد] شملهم من العادات السيِّئة وتراكمَ على قلوبهم من الإلف للأمور المرْدية[1]، [مع طول] لبثِ ذلك في قلوبهم، أو تكون[2] نِحْلتهم وملتهم ودَعوتهم تحتمل من الأسْباب والاحتيالات[3] أكثَرَ ممَّا يحتملُ غيرها من ذلك، فإنّ[4] من الكفر ما يكون عند المسألة، والجواب أسرَع انتشاراً وأظهرَ انتقاضاً، ومنه ما يكون أمْتَنَ[5] شيئاً، وإن كانَ مصيرُ الجميع إلى الانتقاض وإلى الفساد، ومنه شيء يحتاج من المعالجة إلى أكثَرَ وأطولَ، وإنما يتفاضَلُ العلماءُ عند هذه الحال، وقد يكون أن ينقدح[6] في قلوب الناس عداواتٌ وأضغانٌ سَببها التَّحاسُد[7] الذي يقع[8] بين [الجيران و]المتفقين في الصِّناعة[9]، وربما كانت العداوةُ من جهة العصبيَّة، فإنَّ عامَّةَ مَن ارتاب بالإسلام إنما كان [أوَّل] ذلك رأي الشُّعوبية والتمادي [فيه]، وطول الجدال المؤدِّي إلى القتال، فإذا أبغض شيئاً أبغضَ أهلَه، وإنْ أبغَضَ تلك اللغةَ أبغض تلكَ الجزيرةَ، [وإذا أبغض تلك الجزيرةَ أحبَّ مَن أبغض تلك الجزيرة]. فلا تزال الحالاتُ تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السَّلف [والقدوة].

(أثر الغُلمة في الجسم والعمر)

وتزعم الهندُ أنّ شِدّةَ غلْمة الفيل وطولَ أيَّامه فيها[10] وهجرانَه الطَّعامَ والشرَابَ، وبقيَّة تلك الطبيعة، وعملَ ذلك العرقِ السَّاري، هو الذي يمنع الفيل أن يصير في جسمه مَرَّتَين، لأنّ ذلك مِن أمتن أسباب الهُزَال، وإذا تقادَمَ ذلك في بدن وغَبَّ فيه[11]، عمِل في العظْم

(1) المردية: المهلكة. وفي ل: «الردية».
(2) فيما عدا ل: «أن تكون».
(3) فيما عدا ل: «والأحساب».
(4) فيما عدا ل: «إن».
(5) فيما عدا ل: «أفتن شيئًا».
(6) ل: «يتقدم».
(7) ط، هـ: «شبيهًا بالتحاسد» ش: «شبيهات بالتحاسد»، صوابهما في ل.
(8) فيما عدا ل: «يكون».
(9) فيما عدا ل: «الصناعات».
(10) فيما عدا ل: «وطول إقامته فيها».
(11) فيما عدا ل: «في بدنه» وفي الأصل: «وعب فيها». والوجه ما أثبت

والعصَب، بعْدَ الشَّحم[1] واللَّحم، وإذا كان[2] رفعُ الصوت والصِّياحُ وكثرةُ الكلام والغضبُ والحدّة، [إنما صار] يورثُ الهُزال لأنّ البدن يسخُن عن ذلك، [و] إذا شاعَت فيه الحرارة أحرقَتْ وأكلَتْ وشربت، ولذلك صار الخَصيُّ من الدُّيوكِ والأنعامِ أسمَنَ.

وزعَمُوا أنَّه ليس [فيما] يعايش الناس من [أصناف] الحيوان أقصرُ عمراً من العصفور، ولا أطْوَلُ عمراً من البغل، وللأمور[3] أسبابٌ، فليس يقع الظنُّ إلاّ على قلّة سِفاد البغل وكثرة سفاد العُصفور.

قالوا: ونجد العمرَ الطَّويلَ أمراً خاصاً في الرُّهبان، فنظنّ أيضاً [أنّ] تركها الجِماعَ من أسباب ذلك.

قالوا: وإذا اغتلم الذكرُ من الحيوان فهو أخبَث ما يكون لحماً، وإذا كثُر سِفادُه تضاعَفَ فيه ذلك، وصار لحمه أيبَسَ ودمُه أقلَّ[4].

قال الشاعر:

أُحِبُّ أنْ أصطادَ ضَبّاً سَحْبَلاَ أو جُرَذاً يرعى رَبيعاً أرْمَلا[5]

فجعله أرْمَلَ لا زوجةَ له ليكون[6] أسمَنَ له؛ لأنَّ كثرةَ السفاد [مما] يورث الهزال[7]، ولا يكثر سفاده إلاّ من شدَّة غلْمته.

وهجا أعرابيٌّ صاحبه حين أكل لحمَ سَوْءٍ غَثٍّ[8] فقال:

أكلتَه من غَرَثٍ ومن قَرَمْ[9] كالوَرَلِ السافد يَغْنَى بالنَّسَمْ[10]

لأنّ [لَحْمَ] الورلِ [لا] يشبه لحم الضبّ، وهم لا يرغبون في أكله[11] لأنه عَضِلٌ مَسِيخٌ[12]، ولأنهم كثيراً ما يجدون في جوفه الحيَّاتِ والأفاعي، وله ذنبٌ سمينٌ، وذلك [عامٌّ

(1) ط: «ونفذ في الشحم»، ش: «ونفد الشحم»، هـ: «ونعد الشحم»، محرفات.
(2) ط، هـ: «وإن كان».
(3) فيما عدا ل: «وللبغل».
(4) فيما عدا ل: «أيبس منه» فقط.
(5) فيما عدا ل: «ظبيًا سحبلاً» تحريف. وفي اللسان (رمل):
رعى الربيع والشتاء أرملا
(6) فيما عدا ل: «فيكون».
(7) فيما عدا ل: «يورثه الهزال»، تحريف.
(8) فيما عدا ل: «سوعث»، محرف.
(9) الغرث: الجوع. فيما عدا ل: «من عوث»، تحريف.
(10) فيما عدا ل: «يغري» محرف.
(11) فيما عدا ل: «فيه».
(12) ط، ش: «متشنج» وفي هـ: «متسبح»، تحريف، وأثبت ما في ل.

في الأذناب، وإنْ رأيتَها في العين كأنها عضَل، فإذا كان لحمُها كذلك، ثم كان في زمن هيجه وسفاده كان] شرّاً له[1].

وللورَل في السِّفاد ما يجوز به حَدّ الجملِ والخنزير[2].

قال: والنسم هو النَّسيم في هذا المكان[3].

وقالت [أمُّ] فَرْوَة القرنية[4]:

نفى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونِه فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ

وأنا أعلمُ أني لو فسَّرْتُ لك معانيَ هذه الأشعار وغريبَها، لكان أتمَّ للكتاب وأنفَعَ لمن قرأ هذه الأبواب، ولكني أعرف مَلالَة الناس للكتاب إذا طال، قال الشاعر[5] يهجو من قَرَاه لحمَ كلب[6]:

فجاءَ بخِرْشَاوَيْ شَعيرٍ عليهما كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقدَ سافِدِ[7]

فلم يرضَ أنْ جعله كلباً حتى جعله سافداً، فأمَا ابنُ الأعرابيِّ فزعم أنّه إنما عَنَى تيساً، وقد أبطَلَ، وعلى أنَّ المعنى فيهما سواء[8].

(أثر الخصاء في اللحم)

قالوا: وإنما صار الخصيُّ من كلّ جنسٍ[9] أسمنَ لأنّه لا يَسْفَد ولا يَهيج.

---

(1) ط فقط: «شر له».

(2) هـ: «غذا الجمل والخنزير»، محرفة. وفي ل: «حال الجمل والخنزير».

(3) فيما عدا ل: «والنسم والنسيم في هذا الموضع واحد».

(4) هذه الكلمة ساقطة من ل. وقد سبق في (3: 29): «الغطفانية» حيث أنشد الشعر. وقد أعاده ثانية في (5: 97).

(5) هو اللعين المنقري كما سبق في (1/ 184).

(6) كذا، وقد سبق قول الجاحظ فيما مضى: «وقال اللعين في بعض أضيافه يخبر أنه قراه لحم كلب. وقد قال ابن الأعرابي: إنما وصف تيسًا».

(7) الخرشاء: كل شيء أجوف فيه انتفاخ وخروق وتفتق. فيما عدا ل: «بحرشاوي» تحريف. والكراديس: جمع كردوس، وهو كل عظم نام ضخم. والأعقد: الملتوي الذنب. ط، هـ: «أعقر» ش: «أعفر»، صوابهما في ل. وأول البيت في (1: 192، 223): «فجاءا» على التثنية، لأنه قبله:

فقلت لعبدي اقتلا داء بطنه وأعفاجه اللائي لهن زوائد

(8) فيما عدا ل: «واحد».

(9) فيما عدا ل: «كل شيء».

(السقنقور)

قالوا[1]: والسقنقور إنما ينفَعُ أكلُه إذا اصطادوه في أيام هَيْجه وسِفاده؛ لأنَّ العاجز عن النِّساء[2] يتعالج بأكل لحمه، فصار لحمُ الهائج[3] أهْيَج له.

(أبو نواس والحرامِي)

أقبل أبو نواسٍ ومعه الحرَامِيّ[4] الكاتب، وكان أطْيَبَ الخَلْق، وقد كانا قبل ذلك [قد] نظرا إلى الفيلة فأبصرا[5] غُرمولَ فيل منها، وعلم الحَرَاميّ أنّ غُرمولَ الفيلِ يُوصَفَ بالجَعْبة، فوصف لنا غرمولَه، وأنشدنا فيه شعراً لنفسه:

كـأنّـه لـمَّـا بَـدَا لـلـسَّـفْـدِ[6] جَـعْـبَـةُ تُـرْكـيٍّ عـلـيـهـا لِـبْـدُ

قلنا له: أقْوَيْتَ واجتلبتَ ذِكر اللِّبد عن غير حاجة[7]، قال: فإني قد قلتُ غيرَ هذا، قلنا: فأنشِدْنا، فقال:

كـأنـه لـمَّـا دنـا لـلـشـدِّ[8] شـمـعـةُ قَـيـلٍ لُـفِّـفَـتْ فـي لِـبْـدِ[9]

قلنا: فلا نرى لك بُدّاً من اللِّبد على حال؟ قال: قال أبو نواس: فإني أقولُ عنك بيتين، قال: فهاتِهما[10]، فقال:

كـأنـه لـمـا دَنَـا لـلـوثْـبَـه[11] أُيـورُ أعـيـارٍ جـمـعـن ضَـرْبَـهْ

قال الحَرَامي[12] لأبي نواس: هَبهُما لي على أن لا تدَّعيهما، فعسى [أن] أنتحِلَهما، قلت له[13]: وما ترجُو من هذا الضَّرب [من الأشعار]؟ قال: قد رأيتُ غُرمولَه، فما عُذْري عند الفيل إنْ لم أقُلْ فيه شيئاً.

---

(1) فيما عدا ل: «قال».
(2) فيما عدا ل: «السفاد».
(3) فيما عدا ل: «الهياج».
(4) فيما عدا ل: «الخزامي»، وفي البخلاء 47: «الحزامي»، ولم أعرف له ترجمة إلا ما ذكر الجاحظ في البخلاء أن اسمه عبد الله بن كاسب، كاتب مؤنس، وكاتب داود بن أبي داود. وإن صحت نسبته فهي إلى بني حرام: خطة كبيرة بالبصرة منها أبو محمد قاسم بن علي الحرير الحرامي صاحب المقامات».
(5) ط، هك «وقد كان قبل ذلك نظر إلى الفيلة فأبصر»، بالإفراد.
(6) ل: «للعد».
(7) فيما عدا ل: «وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة».
(8) فيما عدا ل: «بدا للسفد».
(9) فيما عدا ل: «جعبة فيل».
(10) فيما عدا ل: «هاتهما».
(11) فيما عدا ل: «لما بدا الوثبه».
(12) فيما عدا ل: «الخزامي». وانظرما سبق في ص 146.
(13) فيما عدا ل: «قال» فقط.

(فهم الفيلِ الهندية)

وحدَّثني صديقٌ لي قال: رأيتُ الفيَّالينَ على ظهر فيلٍ من هذه الفِيَلة، وأقبل[1] صبيٌّ يريد السِّنديّ الرّاكب، فكلَّمَ الفيلَ بالهنديَّة فوقف، ثم كلَّمه فمدّ يدَه رافِعَها[2] في الهواء حتى رَكِبَها الغلامُ، ثم رفع يَدَه حتى مدَّ السنديُّ يدَه، فأخذ بيد الصبيِّ.

(أخلاف الحيوان وأَطْباؤه)

وللبقر والجواميس أربعةُ أَخْلافٍ في مُؤخّر بُطونها، وللشاة خِلفان، وللناقة أربعة في مؤخّر البطن[3]، وللمرأة والرّجُل والفِيل ثديانِ في الصدر، وثَدْيُ الفيل يصغُر جدّاً إذا قرنته إلى بدنه[4]، وللسّنّور ثمانيةُ أَطْباءٍ، وكذلك الكلْبةُ في جميع بطونهما[5]، والخنزيرة كثيرةُ الأَطْباء، وللفَهدةِ في بطنها أربعةُ أَطْباء[6]، وللَّبؤة[7] طبْيانِ لا يصغُران عن مقدار بَدَنِها، والبقرة والأتان[8] والرَّمَكة والحِجْر في ذلك سواءٌ، إلاّ أنها من الحافرِ أَطْباء، ومن الظّلْف أخلاف، والسِّباعُ في ذلك والحافرُ[9] سواءٌ.

(عضو الفيل)

وقال صاحبُ المنطق: غُرمول الفِيل يصغُر عن مقدار بَدَنِه، وخُصيتُه لاحقةٌ بكُلْيته لا تُرَى، ولذلك يكونُ سريع السِّفاد.

وزعم الهنديُّ صاحبُ (كتاب الباه) أنَّ أعظمَ الأُيور أيْرُ الفِيل، وأصغرها أير الظَّبي.

(الفيل في كتاب الحيوان)

وما أعجَبَ ما قَرأتُ في كتاب الحيوان لصاحب المنطق[10]، وجدتُه قد ذكر [رأس

---

(1) فيما عدا ل: «فأقبل».
(2) فيما عدا ل: «رافعًا».
(3) فيما عدا ل: «مواخر البطن».
(4) فيما عدا ل: «إلى الفيل».
(5) فيما عدا ل: «بطنها».
(6) الكلام من «وكذلك» إلى هنا ساقط من ش.
(7) فيما عدا ل: «وللمرأة»، تحريف.
(8) ط فقط: «والإنسان»، تحريف.
(9) فيما عدا ل: «والحوافر».
(10) فيما عدا ل: «ولصاحب الحيوان في كتاب المنطق»، تحريف.

الفيل و]قِصَر عنقه، ولم يذكر[1] انقلابَ لسانه، وذلك أعجَبُ ما فيه، ولم يذكر في كم يَضَعُ، ولا مقدار وزن أعظم الأنياب[2] وكيف يخرج من بطن أمِّه نابت الأسنان.

(خصائص الفيلة)

والفِيَلةُ لا تلِد التؤام، قال: وهي تفِذُّ وتُفْرِد، قال: وقال بعضُ العلماء: لا يقال أفذّت ولا أفرَدَت إلاّ لما يجوز أن يُتْئم.

قال: وأمراضُها أقلُّ من أمراضِ غيرها، إلاّ أنّ النَّفْخَ والرِّياحَ يعرِضُ لها كثيراً ويُؤْذيها أذًى شديداً، وعامَّةُ أمراضِها من ذلك، [حتى ربَّما مَنَعها البولَ وغير ذلك، قال: وإذا أكلت التُّراب ضَرَّها ذلك]، ولا سيَّما إذا أكثرَتْ منه فعاودَتْه.

(علاج الفيلة)

قال: وربَّما ابتلعت [منه] الحجارة، قال: وإذا أصابَها استطلاقٌ سُقيَت الماءَ الحارَّ وعُلِفَت الحشيشَ المعْسول[3]، وإذا أتْعَبُوها اعتراها السَّهَر، فتعالجَ عند ذلك بأن تُدْلَكَ أكتافُها بزيتٍ [وماءٍ حار، قال]: وبعضها يشرب الزَّيت شُرْباً ذَريعاً.

(تذليل الفيل)

قال: وإذا تصعَّب الفيل وكانَ في حِدْثان ما اقتطعُوه من الوحْش فإنهم يُنْزُون عليه فِيلاً مثلَه، ويحتالون له في ذلك؛ فما أكثرَ ما يَجِدُونه بعد ذلك قد لانَ.

قال: وهو مادامَ راكبُه عليه فهو ألينُ من كلِّ ذي أربع، وأحسَنُ طاعة، ولكن لبعضها صعوبةٌ عند نزُوله عنه، فإذا شدُّوا مقاديمَ قوائمها بالحبال شَدّاً قويّاً لانَتْ.

قال: وهي على صعوبتها تأنَسُ سريعاً وتَلقَنُ سريعاً، فأوَّلُ ما يعلَّم السُّجودُ للملك، فإذا عَرَفَه فكلما رآه سجَدَ له.

(صدق حس الفيل)

فأمَّا صِدْقُ الحسّ فهو يفوقُ في ذلك جميعَ الحيوان، وهو والجمل سواءٌ إذا عُلِّما،

---

(1) فيما عدا ل: «ينظر».

(2) فيما عدا ل: «ولا مقدار مدة حمله»، فيكون تكرارًا لما سبق.

(3) المعسول: المخلوط بالعسل. وفي الأصل: «المغسول».

لأنّ الأنثى إذا لَقِحت لم يعاوِدَاها للضِّراب، فهذه فضيلةٌ مذكورة في حسِّ الجمل، وقد شاركهُ الفيلُ فيها وبايَنه في خصالٍ أخر.

(بعض خصائص الفيل)

وإناثُ الفِيَلة وذكورُها متقاربة في السنّ[1]، وكذلك النِّساء والرِّجال، وهو بحريّ الطّباع، ونَشَأ في الدَّفاء[2]، وهو[3] أجردُ الجلد، فلذلك يشتدُّ جزعه منَ البرْد، فإنْ كان أجْرَدَ الجلدِ، فما قولهم في أحاديثهم: طلبوا من الملك الفيلَ الأبيضَ والفِيل الأبقَع، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود.

(حقد الفيل)

[قال]: وأخبَرَني رجلٌ من البَحْرِيِّين لم أر فيهم أقْصَدَ ولاَ أسدّ ولا أقلَّ تكلُّفاً منه، قال: لم أجدْهم يشكُّون أنَّ فيَّالاً ضربَ فِيلاً فأوجَعَه فألحَّ عليه، وأنَّهم عندَ ذلك نَهَوْه وخوّفوه وقالوا: لا تَنمْ حيثُ ينالك؛ فإنه من الحيوان الذي يحقِد ويُطالِب، ولمَّا أراد ذلك السائسُ القائلةَ شدَّه إلى أصل شجرةٍ وأحكم وَثاقَه، ثم تنحّى عنه بمقدارِ ذراعٍ ونام، ولذلك السائس جُمَّة، [قال]: فتناولَ الفيلُ بخُرطومه غصناً كان مطروحاً، فوطِئ على طَرَفه حتى تشعَّث، ثم أخَذَه بخرطومه، فوضع ذلك الطَّرَف على جُمَّة الهندي، ثم لواها بخُرْطومه، فلما ظنَّ أنها [قد] تشبّكت به وانعقَدت، جذبَ العود جَذبةً فإذا الهنديُّ تحت قوائمه[4]، فخبطه خبطة كانت نَفْسُه فيها.

فإنْ كان الحديثُ حقّاً في أصل مخرَجِه فكفاك بالفيل معرفةً ومكيدةً، وإنْ كان باطلاً فإنهم لم يَنْحَلُوا الفيلَ هذِه النِّحْلة[5] دونَ غيره من الدوابّ إلاّ وفيه عندهم ما يحتمل ذلك[6] ويليق به.

(طيب عرق الفيل)

قال: والعرَق الذي يسيل من جَبْهته في زمنٍ من الزَّمان يضارِع المِسْكَ في طيبه، [و] لا يعرِض له وهو في غير بلاده.

---

(1) فيما عدا ل: «السمن»، تحريف.
(2) فيما عدا ل: «في الريف».
(3) فيما عدا ل: «فهو».
(4) فيما عدا ل: «جذب الهندي فإذا هو تحت رجليه».
(5) ل: «مثل هذه الحيل».
(6) فيما عدا ل: «يحتمل عليه».

(أثر المدن في روائح الأشياء)

وقد علمنا أنّ لرائحة الطِّيب فضيلةً إذا كان بالمدينة، وأنّ الناسَ إذا وجَدُوا ريح النَّوى المنقَع[1] بالعِراق هَرَبوا منه، وأشراف أهل المدينة[2] ينتابُون المواضِعَ التي يكون فيها ذلك، التماساً لِطيب تلك الرائحة.

ويزعم تُجَّار التُّبَّتِ ممن قد دخَل الصِّين والزَّابج[3]، وقلَّب تلك الجزائر، ونقّب في البلاد، أنّ كلَّ من أقام بقصبة تُبَّت اعتراه سُرورٌ لا يدري ما سببُه، ولا يزال مبتسماً ضاحكاً من غير عجَب حتى يخرجَ منها.

ويزعمون[4] أنّ شِيرازَ من بين[5] قُرى فارس، لها فغمَةٌ[6] طيّبة، ومَن مَشَى واختلف في طُرقات مدينة الرَّسول صلى الله عليه وسلم، وجَدَ منها عَرْفاً طيِّباً وَبَنّةً عجيبَة[7] لا تخفَى على أحدٍ، ولا يستطيع أنْ يسمِّيَها.

ولو أدخلتَ كلَّ غالية وكلَّ عطر، من المعجونات وغير المعجونات، قَصبة الأهواز أو قصبة أنطاكِية[8]لوجدتَه قد تغيَّر وفَسد، إذا أقام فيها[9] الشَّهرين والثَّلاثة.

(أثر بعض التمر في العرق)

وأجمَعَ أهلُ البَحْرين أنَّ لهمْ تمراً يسمى النَّابجِيّ[10]، وأنّ مَن فَضَخَه وجَعلَه نبيذاً ثمّ شربه وعليه ثوبٌ أبيض، صبغَهُ عرقه، حتى كأنه ثوب أتحَميٌّ[11].

---

(1) فيما عدا ل: «النقيع» وهما بمعنى.

(2) فيما عدا ل: «وإن أهل المدينة».

(3) الزابج، بفتح الباء وكسرها: جزيرة في أقصى بلاد الهند، وراء بحر هركند في حدود الصين. وفي الأصل: «الزانج»، تحريف. وقبلها فيما عدا ل: «قد حصل الصين».

(4) في ما عدا ل: «وزعموا».

(5) فيما عدا ل: «جميع».

(6) في اللسان: «وفغمة الطيب رائحته». ط، هـ: «نبته» ش: «نية» صوابهما في ل.

(7) البنة، بالفتح: الرائحة الطيبة. فيما عدا ل: «نبتة» محرفة.

(8) فيما عدا ل: «بقصبة الأهواز وقصبة أنطاكية».

(9) فيما عدا ل: «فيه»، تحريف.

(10) النابجي، كذا وردت في ل. وفيما عدا ل: «الماتحي»، ولم أجد لأحدهما ذكرًا في كتب اللغة.

(11) في ل: «سحمي». وفيما عدا ل: «سخمي» بالخاء المعجمة، صوابهما ما أثبت. والأتحمي من البرود هو الأحمر.

(استعمال الفيلة)

وزعم لي بعضُ البحريِّين أنها بالهند تكون نَقَّالةً وعوامِلَ كعوامل البقر والإبل[1]، والنَّقالة التي تكون في الكَلاَّءِ والسُّوق[2]، وأنها تذلّ لذلك وتُسامِح وتُطاوع، وأنّ [لها] غلاَّتٍ[3] من هذا الوجه.

وزعم لي أنَّ أحَد هذه الفِيَلَةِ التي رأيناها بسُرّ من رأى، أنّه كان لقَصَّارٍ بأرض سَنْدان[4]، يحملُ عليه الثِّيابَ إلى الموضع الذي يغسلها فيه[5]، ولا أعلَمُه إلا الفيلَ الذي بعثَ به ماهانُ أو زكريا بن عطية[6].

(العاج)

قالوا: وعظامُ الفيل كلها عاجٌ، إلاّ أنّ جوهَرَ النَّاب أثمنُ وأكرم، وأكثَرُ ما تَرى[7] من العاج الذي في القِباب والحِجال والفُلك والمَدَاهن إنما هو من عظام الفيل[8]، يعرَفُ ذلك بالرَّزانة والملاسة.

والعاجُ مَتْجر كبير، [و]يتصرّف في وجوهٍ كثيرة، ولولا قَدْرَهُ لما فخر الأحنفُ ابن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة، حيث قال: «نحن أكثرُ منكم عاجاً وساجاً، وديباجاً، وخراجاً»، ويقال إنّه من كلام خالد بن صفوان، ويقال إنه من كلام أبي بكر الهذلي.

(موت الذباب)

[وإذا خفق بأذنه الفيلُ فأصاب ذُباباً أو يعسوباً أو زنبوراً لم يفْلحْ]. والفرسُ الكريم تقَعُ الذُّبابة على مُوقَيْ عينيه، فيَصْفِق[9] بأَحَدِ جفنَيه، فتخرُّ الذُّبابة ميّتة، وقال ابن مُقْبل:

---

(1) ل: «كعوامل الإبل» فقط.

(2) الكلاء، كشداد: مرفأ السفن. وفي الأصل: «الكلا». وفي ل: «والنوق» تحريف.

(3) فيما عدا ل: «وأنها غلات».

(4) سندان، بالفتح: مدينة في ملاصقة السند، بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشر مراحل.

(5) فيما عدا ل: «المواضع التي يغسلها فيه».

(6) ل: «أو بكر بن عطية».

(7) فيما عدا ل: «ما يرى».

(8) في الأصل: «الإبل».

(9) صفق عينه: غمضها. فيما عدا ل: «بإحدى جفنيه»، تحريف.

كـأنّ اصـطـفـاقَ مَـأْقِـيَـيْـهِ بِـطـرْفِـه صِـفـاقُ أديـمٍ بـالأديـمِ يُـقـابِـلُـهْ[1]

ويصيح الحمار فتصعق [منه] الذبابة فتموت، قال العَبْشَمِيّ[2]:

مِـنَ الـحـمـيـر صَـعِـقـاً ذِبَّـانُـهُ بـكـلِّ مَـيْـثـاءَ كـتـغـريـد الـمـغَـنْ[3]

وقال عُقبة بن مكدَّم التّغلبي[4]:

وتَـرَى طَـرْفَـهـا حـديـداً بـعـيـداً أعْـوَجـيّـاً يـطـنُّ رأسَ الـذُّبـابِ[5]

وقال ابن مُقبل:

تـرى الـنُّـعَـرَاتِ الـخُـضْـرَ تـحـتَ لَـبَـانِـهِ فـرَادَى وشَـتَّـى أصـعـقَـتْـهَـا صـواهـلـه[6]

وقال[7] في غير هذا الباب:

وإنِّـي لـقـاضٍ بـيـن شـيـبـانَ وائـل وَيَـشْـكُـرَ إنِّـي بـالـقـضـاء بـصـيـرُ[8]

[وجـدنـا بـنـي شـيـبـانَ خُـرطـوم وائـل ويَـشْـكُـرُ خـنـزيـرٌ أذَنُّ قـصـيـرُ[9]

وليس هذا موضع هذين البيتين، وأنشد:

أمـسـى الـمَـضَـاءُ ورهـطُـهُ فـي غِـبـطـةٍ لـيـسُـوا كـمـا كـان الـمَـضَـاءُ يـقـولُ[10]

لا تَـخْـرَأُ الـذِّبـان فـوقَ رَؤُوسِـهـم فـالـيـومَ تـخـرَأُ فـوقَـهـا وتـبـولُ

(قول زياد في بناء داره)

أبو الحسن قال: قال زياد ودخلَ دارَه[11]، وكان بناها [له] فيلٌ موْلاهُ، فلم يرضَ بناءَها، فقال: ادعُوا لي فيلاً، فلم يجِدُوه، فقال: ليتَها في بطن فيل، وفيلٌ في البحر.

(1) فيما عدا ل: «مآقيه بطرفته»، وبه يختل الوزن.
(2) فيما عدا ل: «العبسي».
(3) فيما عدا ل: «صعق ذبابه».
(4) هو المعروف بابن عكبرة الجعدي، وعكبرة أمه. وهو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك بن عبد الله بن جعدة ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف 162. ومكدم، بفتح الدال المشددة. وفيما عدا ل: «مكرم» تحريف.
(5) يقال أطن ذراعه بالسيف فطنت: ضربها به فأسرع قطعها. وفيما عدا ل: «الطن» محرف.
(6) النعرات: جمع نعرة كهمزة: وهي ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها. وفيما عدا ل: «البعرات»، تحريف. والرواية في اللسان (نعر): «أحاد ومثنى».
(7) فيما عدا ل: «وأنشد».
(8) ل: «إني لقاض» بالخرم.
(9) الأذن: الذي يداه قصيرتان وعنقه قريبة من الأرض. وفي الأصل وهو هنا ل: «أذب» محرف.
(10) فيما عدا ل: «أمسى المضاء وأهله».
(11) فيما عدا ل: «وقال أبو الحسن قال دخل زياد داره»، تحريف.

(قصة فيل مولى زياد)

وكان فيلٌ مولى زيادٍ شديدَ اللُّكْنة، وأهدى بعضُهم إلى زيادٍ حمارَ وحش، فقال فيل: أصلح اللّه الأمير، [قد] أهدَوْا لنا همارَ وَهْش فقال: أيَّ شيءٍ تقول ويْلكَ؟ قال: أهْدَوْا لنا أيراً، يريد عيراً[1] فقال زياد: الأوَّل أمثل.

(العيثوم)

وكان أبو مالكٍ يقول: العيثُوم الفيلُ الأنثى، وذهب إلى قول الشاعر:

وطِئَتْ عليك بخُفِّها العيثومُ[2]

ويدلّ[3] قولُ علقمةَ بن عَبْدَة على أنّ العيثومَ من صفات الفيل [العظيم الضَّخْم]. وقال:

تَتْبعُ جُوناً إذا ما هيِّجَتْ زَجَلَتْ ... كأنّ دُفّاً عَلَى العَلياءِ مَهزُومُ[4]

إذا تزغَّمَ من حافاتها رُبَعٌ ... حَنَّت شعاميمُ من أوساطها كُومُ[5]

يَهْدِي بها أسْجَحُ الخدَّين مُختَبِرٌ ... من الجمال شديدُ الخَلْق عَيثُومُ[6]

---

(1) فيما عدا ل: «يعني أيرًا». والقصة في البيان والتبيين (2: 312).

(2) من بيتين للأخطل في اللسان (عثم) لم يرويا في ديوانه. وصدر الأول:

وملحب خضل النبات كأنما

وصدر الثاني:

تركوا أسامة في اللقاء كأنما

(3) في الأصل: «فدل» وإنما يعني الجاحظ الأبيات التالية وهي في ديوانه 131 والمفضليات 404.

(4) ط، ش: «يتبع» ط، ش: «حدبا» هـ: «حوبا»، وفيما عدا ل: «كأن رفا» وللصواب في ل والديوان والمفضليات. أي تتبع هذه الفرس الإبل لتسقي من ألبانها، وهذه الإبل إذا هيجت للورد سمعت لها صوتًا عاليًا لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع.

(5) تزغم: حن حنينًا خفيًا. ط، ش: «تزعم» هـ: «نزعم»، والصواب في ل والديوان والمفضليات. والشعاميم: المسان التوام. وفيما عدا ل: «سعاميم» صوابه في ل. وفي المفضليات: «شغاميم» وهي بالغين المعجمة لغة في الشعاميم.

(6) الأسجح: السهل الطويل القليل اللحم. وفي المفضليات والديوان: «أكلف الخدين». والمختبر، بكسر الباء: المجرب، وبفتحها المعروف بالنجابة.

(ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين)

وقد أكثروا في ضرب المثل ببُعدِ ما بين الجِنْسين، وقال عبد الرحمن بن الحكم[1]:

أتغضَبُ أن يقالَ أبوك عَفٌّ ... وتَرْضَى أنْ يقال أبوك زَانِي
وأشهدُ أنْ رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيلِ من ولد الأتانِ[2]

فجعل معاويةَ من نسل الفيل لشرفه، وجعل زياداً من نسل الحمار لضَعَتِه[3] ولعمري لقد باعد؛ [لأنّ الغنم وإن كانت من النعَم من ذوات الجِرّة والكروش فإنّ ما بين الغنم والإبل بعيد].

وكذلك قول الكميت:

وما خِلتُ الضَّبابَ معطَّفاتٍ ... على الحيتان من شَبَهِ الحُسُولِ[4]

قال: فهذا أبْعَد وأبعد، لأنه وإن [ذهب إلى أنّ] ولدَ نزارٍ عربٌ فهم في معنى الضِّباب[5] وساكني الصَّحارَى، وأولئك عَجَم، فجعلهم كالسَّمك الذي يعيش في الماء، ألا ترى أنّ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ بن يزيد بن معاوية[6]، لمّا قتلَتْه ضبَّةُ دسَّت في استه سَمَكة.

قال جرير:

ما بين تيم وإسماعيلَ مِن نَسبٍ ... إلاّ قرابةُ بَيْنِ الزِّنْجِ والرُّوم[7]

فقال قطرب: الصَّقالبة أبعد، قيل له: إنّ جريراً لا يفْصِلْ[8] بين الصَّقالبة والرُّوم.

---

(1) وكذا وردت هذه النسبة في الحيوان (1: 119) والخزانة (2: 518). ونسب أيضًا إلى يزيد بن مفرغ كما في الشعر 79 والموشح 273. وإلى عبد الرحمن بن حسان، كما في العقد (4: 182). وقد رسم في شفاء الغليل 173: «كرحم الفيل من ولد الأتان». وقال: «هذا في شعر للكميت».

(2) فيما عدا ل: «أن آلك من قريش كآل». وهي تحريف رواية: «إلك من قريش كإل». قال الخفاجي في شفاء الغليل: «وأصله كما في كتاب أفعل لابن حبيب، أن فيلًا أتى واديًا فرأى به حمارًا فطرده، فقال له: لم تطردني وبيني وبينك رحم؟ فقال: ما هي؟ فقال: إن غرمولي يشبه خرطومك. فصدقه. وهذا مما يحكى على ألسنة الحيوانات لضرب المثل».

(3) فيما عدا ل: «لضعفه» تحريف.

(4) في الأصل: «وما خفت»، صوابه مما سبق في (6: 84). وفي ش، ط: «على الحيات»، صوابه في ل، هـ وما سبق.

(5) فيما عدا ل: «الذئاب» محرف.

(6) في الأصل: «بن معاوية بن يزيد». وليس لمعاوية بن يزيد بن معاوية عقب؛ كما في المعارف 154. والذي له عقب هو أبوه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. وقد ذكر ابن قتيبة في أولاد يزيد بن معاوية «أبا سفيان بن يزيد بن معاوية».

(7) البيت من قصيدة له في ديوان 488 يهجو بها التيم.

(8) ط فقط: «يفضل»، تحريف.

وعلى معنى الكميت قال الآخر[1]:

حتى يؤلفَ بين الضّبّ والنّونِ[2]

وتقول العرب: لا يكون ذاك[3] حتى يجمع بين الأروَى والنَّعام لأنّ الأرْوَى جبليَّة والنّعامَ سُهْلية، و[قد] قال الكميت:

يؤلِّف بين ضِفْدِعَة وضَبٍّ ويعجبُ أنْ نبرّ بني أبينا[4]

وهذا هو معناه الأوَّل، وأبعَدُ من هذا قولُ الشاعر:

حَتّى يؤلّف بين الثَّلجِ والنَّارِ

(قصة الجارية وأمها)

وقال أبو الحسن المدائني[5]: قال أبو دهمان الغلاّبي عن الوقّاصي[6]، قال وحدثني بذلك الغَيْدَاقيّ عن الوقّاصي قال: قالت جارية لأمّها ليلة زَفافها: يا أُمَّهْ، إن كان أيرُ زوجي مثلَ أير الفيل كيف أحتال حتى أنتفع به؟ قال: فقالت الأم: أي بُنَيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أمي فذكرتْ أنّها سألتْ عنها أمَّها فقالت: لا يجوز إلا أن يجعلَكِ اللّهُ مثلَ امرأةِ الفيل، قال: فسكتَتْ حولاً ثم قالتْ لأمّها يا أمّه، فإنّي إنْ سألتُ ربّي أن يجعلَني مثلَ امرأةِ الفيل أتطمعين أن يفعلَ ذلك؟ قالت: يا بُنَيَّة، قد سألتُ عن هذه المسألة أمّي فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمَّها فقالت: لا يجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللّهُ جميعَ نساءِ الرِّجال مثلَ نساءِ الفيلة، قال: فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت: فإن سألتُ ربّي أن يَجْعَلَ نساءَ جميعِ الرِّجالِ مثلَ نساء الفيلة أتطمعين[7] أن يفعلَ ذلك؟ قالت: يا بُنَيَّة، قد سألتُ عن مثل هذه أمّي فذكرت أنها سألَتْ أمَّها عنها فقالت: لا يجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللّه جميعَ رجال النساء مثلَ رجالِ نساء

---

(1) بدله فيما عدا ل: «إنما هو على معنى قول الكميت»، محرف. وانظر ما سبق في (6: 84).

(2) نظيره لحارثة بن بدر في البيان (4: 66):

لا تحسبن فؤادي طائرًا فزعًا إذا تحالف ضب البر والنون

(3) فيما عدا ل: «ذلك»، وقد سبق المثل ونظائره في (5: 356).

(4) مضى البيت في (5: 356/ 6: 84).

(5) فيما عدا ل: «المديني»، تحريف.

(6) ل: «قلت لأبي دهمان الغلابي عن الوقاصي»، وفيما عدا ل: «قال أبو البرهان العلائي ثم الوقاصي»، وقد جمعت منهما الصواب. وأنشد الجاحظ في البيان (2: 291) لأبي دهمان الغلابي:

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي وأخلفني منها الذي كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه وما كل ما يرجو الفتى هو نائل
فما كان بيني لو لقيتك سالمًا وبين الغنى إلا ليال قلائل

(7) فيما عدا ل: «أتطمعي».

الفيلة، قال: فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت فإنْ سألتُ ربِّي أنْ يجعلَ جميعَ رجالِ النساء مثلَ جميع نساء الفِيَلة أتطمعين أن يَفْعَل ذلك؟ قال: يا بُنيَّة، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّي فذكرَتْ أنَّها [قد] سألَتْ أمَّها عنها، وأنّها قالت: يا بُنَيّة، إنّ اللّه إنْ جعلَ جميع النّاسِ فيلةً لم تجد امرأةُ الفيل مع عِظَم بدنها من اللّذة إلا مثلَ ما تجدين أنتِ اليومَ مع زوجك من اللذَّة، ثم تذهب عنك لذّةُ الشَّمِّ والتَّقبيل والضمّ [والتقليب]، والعِطْر والصِّبْغ، والحَلْي والمِشطة[1] والعِتاب والتفدية وجميع ما لكِ اليومَ، [قال]: فسكتَت حَولاً ثم قالت: يا أمَّهْ، إنْ سألتُ ربِّي أن يجعلَ أير الفِيل أعظمَ أتطمعينَ أن يفعلَ ذلك؟ قالت الأمّ: أيْ بُنيَّة، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّي فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمّها، وأنها قالت: أيْ بُنيَّة، إنّ اللّه إنْ جعَل أير الفيل أعظمَ، جعل[2] جِرَ امرأةِ الفيل أوسَع وأعظمَ، فيعودُ الأمرُ كلُّه إلى الأمر الأول، قال: فسكتَتْ [عنها] حولاً ثم قالت: يا أمّه، فإنْ سألتُ ربِّي أن يجعل أَير الفيل أشدَّ غلْمة[3] فيصير عددُ أكوامه أكثرَ أتطمَعين أن يفعل [ذلك]؟ قالت: أي بُنَية، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّي فذكَرَتْ أنها سألَتْ أمَّها عنها، وأنها قالت: أيْ بُنَية سَلِي اللّهَ أن يجعل زوجَك أشدَّ غُلْمةً مما هو عليه، ولكن لا تسأليه ذلك حتى تسأليه أن يزيدك[4] في غلمتك، قالت: يا أُمَّه، فإن سألْتُ ربِّي أن يجعَلَه في غُلْمة التيس أتطمعين أن يفعلَ ذلك؟ قالت: أَيْ بُنيَّة، قد سألتُ عن مثل هذه المسألة أُمِّي فذكرَتْ أنها سألت عنها أُمَّها، وأنها قالت: لا يجوز أن يجعلَه في غُلمة التَّيس حتى يجعلَه تَيساً، قالت: يا أُمّه فإنْ سألتُ ربِّي أن يجعله تيساً [أتطمعين في ذلك، قالت: أي بُنَيَّة، إنه لا يجعله تيساً حتى يجعلَك عَنْزاً، قالت: أيْ أُمَّه، فإنْ سألْتُه أن يجعله تيساً] ويجعلني عنزاً أتطمعين أن يفعلَ ذلك؟ قالت: أيْ بنيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّي فذكَرتْ أنها زارَتْ أُمَّها لتسألها عن هذه المسألة فوجَدتْها في آخِرِ يومٍ من الدُّنيا وأوَّلِ يومٍ من الآخرة، وما أشكُّ أن يَوْمي قد دنا[5].

فلم تلبَثِ [الأمُّ] إلا أياماً حتى ماتت[6].

---

(1) المشطة، بالكسر: الضرب من الامتشاط، فيما عدا ل: «الممشطة» وهو مصدر ميمي.

(2) فيما عدا ل: «وجعل»، وإنما هو جواب «إن».

(3) فيما عدا ل: «أعظم غلمة».

(4) فيما عدا ل: «يزيد».

(5) ل: «أن أجلي قد دنا».

(6) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل: «معناها في تسويف اللذة ودفعها بالحيلة»، ولا إخالها من كلام الجاحظ.

باب الظلف

وهي الظِّباء وهي مَعْزٌ، والمعزُ أَجناسٌ، والبقرُ الوحشيُّ ذاتُ أظلافٍ وهي بالمعْز أشبَهُ منها بالبقر الأهليّ، و[هي] في ذلك تسمَّى نعاجاً، وليس بينها وبين الظِّباء، وإن كانت ذواتِ جرّةٍ وكرُوشٍ وقُرونٍ وأظلافٍ تَسافدٌ ولا تلاقح، وهي تُشْبهها في الشعَر، وفي عَدَم السّنام.

ومن الظِّلْف الوَعِل، والثَّيتَل، والتَّامور[1]، والأيّل، جبَليات كلُّها، لا أدري كيفَ التَّسافد والتلاقح منها.

ومن الظّلف الخنازيرُ وهي بلا كَرِشٍ ولا جِرّة ولا قَرْنٍ[2]، وليس بينهما موافقةٌ إلا في الظّلف، وفي الخنازير ما ليس ظِلفُه بمنشقٍّ، فذاك[3] هو المخالفُ بالنَّاب وبعدم[4] [هذه] الأشياءِ كلِّها.

وتُشاكِل[5] المعْزَ والبقرةَ والظباءَ بالشَّعَر وقِصَر الذَّنب، وتُخالف[6] البقر والجواميسَ في طول الذَّنب، وفي عدد أيّام الحَمْل.

ومن الظلف الضأنُ والمَعْز، وقد يكون بينهما[7] تسافدٌ وتلاقح إلا أنها تُلقيه مَلِيطاً قبل أن يُشْعِر[8]، وذلك أقلُّ من القليل.

ومن الظلف البقر الأهليُّ، والجواميس، وهي أهليةٌ أبداً، وهي موافقةٌ للضأن في القرن[9] وفي عدم النَّاب، و[في] الجرَّة والكَرِش، وتخالف الضأنَ في الصُّوف والسنام[10] وتوافق المعز في الشعر وتخالف [في] السنام، وتخالف جميعَ الغنم في الحَمْل؛ لأن الغنمَ تضع لخمسة أشهر، والبقر تضَعُ كما تضعُ المرأةُ في تسعة أشهر، وليس تُشْبه المرأة في غير ذلك، إلا ما يذكرون من الغَبَب ونُتُوِّ الكاهل، فإنهما ربما كانا في بعض النساء، وأكثر ذلك في نساء الدّهاقين.

---

(1) في اللسان (أمر): «التامور جنس من الأوعال أو شبيه بها، له قرن واحد متشعب في وسط رأسه». فيما عدا ل: «النامور»، محرف.

(2) فيما عدا ل: «وهي لا كرش ولا جرة ولا قرون»، محرف.

(3) فيما عدا ل: «فيقال».

(4) فيما عدا ل: «وتقدر»، محرف.

(5) أي الخنازير. وفي ل: «تتشاكل»، محرف.

(6) فيما عدا ل: «ويخالف»، محرف.

(7) ل: «بينها».

(8) المليط: الذي لا شعر عليه. ويقال أشعر الجنين في بطن أمه، وشعر بالتشديد، واستشعر، أي نبت عليه الشعر.

(9) فيما عدا ل: «القرون».

(10) كذا وردت هذه الكلمة.

(في الزرافة)

قالوا: والزَرافة تكون في أرض النُّوبة فقط، قالوا: وهي تسمَّى بالفارسية أُشتُرْكَاوْ بلنك[1] كأنه قال: بعير، بقرة، نمر[2]، لأنّ كاوْ هو البقرة، وأُشتُر [هو[3]] الجَمل، وبلنك هو النَّمر[4].

فزعموا أنّ الزرافةَ ولدُ النمرة[5] من الجمل، فلو زعمتم أَنَّ الْجملَ يكوم الضَّبُعَ ويكوم [بعض] ما له ظِلفٌ ما كان إلا كذلك، والمسافدةُ في أجناس المِخلب والخفِّ والحافر أعمُّ، فلو جعلوا الفحلَ هو النمر، والأنثى هي الناقة، كان ذلك أقرَبُ في الوهم.

وليس كلُّ ذكرٍ يكومُ[6] أنثَى يُلقِحُها، وقد يكومُ الإنسانُ الدابَّةَ بشهوةٍ منهما جميعاً ولا يكون تَلاقُح كما اتّفقا في المسافدة، وإنّ الرّاعيَ يكومُ الغنمَ وغيرَ الغنم.

وانظرْ، كم مِنْ ضَرْبٍ ادَّعَوْا ممّا لا يُعرَف: فواحدة أنّ بهيمةً[7] ذكراً اشتَهى سبعاً أنثى، وهو من أصعب السِّباع، ثم الثانية أنه ألقَح[8]، والثالثة أنّ أرحامَ النمور لا تتّسع لأولاد الإبل.

قالوا: نمورُهم عِظامٌ وإبلُهم لِطاف، وقد تتّسِع أرحامُ القِلاص العربيَّة لفوالج[9] كِرْمان، فتجيء بهذه الجَمَّازات[10]، ولولا أنه فسَّرَ[11] لجازَ أن يكونَ النَّمِرُ يكومُ النَّاقةَ فتتَّسع أرحامُها لذلك.

قالوا: وفي أعالي بلاد النُّوبة تجتمع سباعٌ ووحوشٌ ودوابٌّ كثيرة، في حَمَارَّةِ القَيظ

---

(1) أشتر، بضم الهمزة والتاء. وفي ط، هـ: «شتر» وهي صحيحة أيضًا. تقال بضم الشين والتاء. وبلنك، هي في الفارسية بالباء المفخمة.

(2) ط، ش: «كأنه يعني بقرة» هـ: «كأنه يعني بقرة جمل»، وأثبت النص كاملاً من ل.

(3) هذه من هـ فقط.

(4) الذي في ل بعد كلمة «نمر» السابقة: «لأن بلنك تمر». وكلمة «النمر» هي فيما عدا ل: «الضبع» وهو يوافق ما مضى في (1: 118)، والصواب ما أثبت. أما الضبع بالفارسية فهي «كفتار» كما سبق التحقيق في (6: 291).

(5) فيما عدا ل: «النمر».

(6) الكوم: الضراب. ط فقط: «يكون»، محرف.

(7) فيما عدا ل: «بهيمًا»، تحريف.

(8) ط فقط: «أن ألقح».

(9) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين. فيما عدا ل: «الواقح»، محرف.

(10) الجمازات: جمع جمازة، وهي التي تجمز، أي تسرع في عدوها. وانظر (1: 84/ 5: 309). وفيما عدا ل: «الجبارات»، محرف.

(11) فيما عدا ل: «ولوا أنه سبع».

إلى شرَائع المياه، فتتسافَدُ هناك فيَلْقَح منها ما يَلْقَح، ويمتنعَ ما يمتنع، فيجيءُ من ذلك خلقٌ كثيرٌ[1] مختلفُ الصُّورة والشكل والقَدْر، منها الزَّرَافة.

وللزّرافةُ خَطْمُ الجَمل، والجِلد للنَّمِر[2]، والأظلاف والقرن للأَيَّل[3]، والذَّنَب للظَّبْي، والأسنان للبقَر، فإنْ كانت أمُّها ناقة فقد كامَها نمِرٌ وظبْيٌ وأيِّل في تلك الشرائع، وهذا القولُ يدلُّ على جَهْلٍ شديد.

والزّرافة طويلةُ الرِّجْلين، منحنية إلى مآخيرها[4]، وليس لرجلَيْها ركبتان، وإنما الرُّكبتانِ ليديها؛ وكذلك البهائم كلُّها، وعَسَاهُ إنما أرادَ الثفِنات[5]، والإنسانُ ركْبتاه في رجليه.

ويقولون: أُشْتُرْ مُرْك[6] للنَّعامة، على التَّشبيه بالبعير والطّائر، يريدون تشابُهَ الخلق، لا على الولادة.

ويقولون للجاموس «كاوماش[7]» على أن الجاموس يُشْبه الكبشَ والثَّوْر، لا على الولادة، لأنّ كاو بقرة، وماش[8] [اسمٌ للضأن.

وقال آخر: تضع أمُّ الزَّرافة ولدَها من بعض السِّباع، ولا يشعرُ النَّاسُ بذلك الذَّكر، قالوا: كاوماش] على شَبَه الجواميس بالضّأن، لأنَّ البقرَ والضأنَ لا يقع بينهما تلاقحٌ، والتّفليس[9] الذي في الزَّرافة لا يُشْبه الذي في النَّمر، وهو بالبَبْر[10] أشبَه، وما النمرُ بأحقَّ به[11] من هذا الوجه من الفَهْد.

---

(1) ل: «عظيم».

(2) أي جلد الزرافة يمت إلى النمر بسبب وشيه.

(3) بدلها في ل: «والرأس والأظلاف للأيل»، والوجه ما أثبت من سائر النسخ.

(4) فيما عدا ل: «إلى أواخرها».

(5) كذا وردت هذه العبارة في ل. وبدلها في ط: «وعساها إن أرادت القيام»، وفي ش، هـ: «وعساها إذا أرادت القيام» لكن في ش: «فعساها» وهاتان عبارتان مقحمتان، وأما ما جاء في ل فهو إما دليل على سقط قبله، أو هو دخيل على الكتاب من تعليق قارئ أو ناسخ.

(6) مرك، والأصح فيه «مرغ» بضم الميم وآخره غين معجمة كما في معجم استينجاس 1216، وكما سبق (1: 118/ 4: 187). لكن سبق نظير هذا التساهل في النطق في ص 77 وقد نبهت عليه. وفيما عدا ل: «اشترمك» محرف.

(7) فيما عدا ل: «كاوماس»، تحريف.

(8) فيما عدا ل: «ماس» تحريف.

(9) التفليس: «أراد به اللمع التي تشبه الفلوس.

(10) فيما عدا ل: «بالليث»، تحريف.

(11) فيما عدا ل: «وما الليث أحق به»، تحريف.

(تسافد الأجناس المختلفة)

وقد يمكن أن تُسْمِحَ الضَّبعُ للذّئب[1]، [والذِّئبة للذِّيخ،] والكلبةُ للذِّئبِ وكذلكَ الثعلبُ والهرَّةُ، وكذلِكَ الطَّيْرُ وأجْناس الحمامِ كالوَرْدَانيِّ والوَرَشان والحمام، وكالشِّهريّ من بين الحِجْر والبِرْذَوْن، والرَّمَكة والفَرَس، والبغلِ من بين الرَّمَكة والحمار.

فأمَّا بُروك الْجمل على النَّمرة، والْجملُ لا بدَّ أنْ تكون طَرُوقتُه باركةً، فكيف تبركُ النّمرة للجمل، والسِّباع إنما تتسافد وتتلاقح قائمةً، وكذلك الظِّلف والحافر، والمِخْلَب، والخُفّ، والإنسانُ والتِّمْساح يتبطّنان الأنثى، والطيرُ كلُّه إنما يتسافَدُ ويتلاقح بالأستاه من خلف[2] وهي قائمة.

(شواذ السفاد)

وزعموا أنَّ الغرابَ يُزَاقُّ[3]، والحُمَّرُ والقَبَج ربّما ألقحا الإناث[4] إذا كانا على عُلاَوَة الرِّيح[5]، ولا تكونُ الولادةُ إلاّ في موضع[6] إلقاء النُّطفة [والشيءِ الذي يلقح منه].

وأمَّا السَّمكةُ فقد عايَن[7] قومٌ مُعارضَةَ الذكر للأُنْثَى، فإذا سَبَح الذكَرُ إلى جنب الأنثى عَقَفَ ذنَبه وعقفَتْ ذَنَبها، فيلتقي المبالان[8] فتكونُ الولادة [من] حيث يكون التلقيح، لا يجوزُ غير ذلك.

والذين يزعمون[9] أن الحجَلةَ تلقَحُ من الحجَل إذا كانَتْ في سُفَالة الرِّيح، من شيءٍ ينفصل من الذّكر[10]، فإنما شبَّهوا الحجَل بالنَّخْل، فإن[11] النخلةَ ربما لقِحَتْ من ريح كافورِ الفُحَّالِ[12] إذا كانت تحتَ الرِّيح.

---

(1) فيما عدا ل: «للآرنب»، تحريف.

(2) هاتان الكلمتان ليستا في ل.

(3) أي يكون لقاحه الأنثى بالتزاق. انظر لهذا المعنى ما سبق في (3: 99).

(4) فيما عدا ل: «الحجل والقبح فربما ألقحا الإناث»، تحريف.

(5) علاوة الريح بالضم: أعلاها، ويقابلها السفالة بالضم أيضًا.

(6) فيما عدا ل: «مواضع».

(7) فيما عدا ل: «باين»، محرفة.

(8) فيما عدا ل: «الحياءان».

(9) فيما عدا ل: «زعموا».

(10) ط: «في شيء لنقصان مني الذكر»، ش، هـ: «في شيء لنقصان من الذكر» صوابهما في ل.

(11) فيما عدا ل: «وإن».

(12) الفحال، بالضم: ذكر النخل. فيما عدا ل: «النخال»، محرفة.

(المخايرة بين ذوات القرون والجم)

[قال]: وسئل الشَّرْقيّ عن مخايرةِ [1] ما بين [ذوات] القرون والجُمّ فقال: الإبل والخيل من [الخفّ و]الحافر، والبرثُن والمِخْلب والقدَم التي هي للإنسان[2]، [قال]: فمن خصال ذي القرن أنَّ منه [وإليه ينسب] ذو القرنين[3] الملكُ المذكورُ في القرآن، ويزعم بعضُهم أنه الإسكَنْدَر، وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت:

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحتَ رجل يمينِهِ والنَّسْرُ للأُخْرى ولَيْثٌ مُرْصَد[4]

(استطراد لغوي)

وَيقالُ ضَرَبَه على قَرْنه، وقَرْنٌ من دم، كما يقال قرنٌ من عَرَقٍ[5]، والقَرْن: أمَّة بعد أمَّة، والقَرْنُ[6]: شيءٌ يصيب فُروج النساء يُشْبِه العَفَلة[7].

(ذوات القرون)

والفيل من ذوات القرون، وفي الحيَّات والأفاعِي ما لها قرون، وإنما ذلك الذي تسمع أنه[8] قرن إنما هو شيءٌ يقولونه على التَّشبيه، لأنّه من جنس الجِلْد والغضروف، ولو كان من جنس القُرون لكانت الحيّة صلبةَ الرأس، والحية أضعفُ خَلق اللّه رأساً[9]، ورأسُه هو مَقْتلُه؛ لأن كلَّ شيءٍ له قرنٌ فرأسُه أصْلَب وسلاحُه أتمّ، والقَرْنُ[10] سلاحٌ عَتِيدٌ غير مُجْتَلَبٍ[11] ولا مصنُوع، وهو لذَوات القُرون في

---

(1) فيما عدا ل: «محاجزة»، تحريف.

(2) كذا وردت هذه العبارة.

(3) فيما عدا ل: «ذا القرنين».

(4) سبق البيت والكلام عليه في 6: 141.

(5) القرن: الدفعة من العرق، يقال عصرنا الفرس قرنًا أو قرنين. قال زهير:

تضمر بالأصائل كل يوم تسن على سنابكها القرون

(6) هو بسكون الراء اسم العفلة، وبفتحها اسم العيب.

(7) العفلة، بالتحريك هي للنساء شبه الأدرة التي للرجال في الخصية. قالوا: والعفل لا يكون في الأبكار، ولا يصيب المرأة إلا بعد ما تلد. ط: «يشبه بالعقلة» ش: «لشقه بالعفلة»، هـ: «لشقه بالعفلة»، والوجه ما أثبت من ل.

(8) ط، هـ: «سمع به»، ل، ش: «تسمع به» والوجه ما أثبت.

(9) فيما عدا ل: «أضعف شيء رأسًا».

(10) فيما عدا ل: «والقرون»، محرف.

(11) فيما عدا ل: «غيرمختلف»، تحريف.

الرؤوس، وللكركدَّن قرنٌ في جبهته، والجاموس أوثق بقَرْنِه من الأسد بمخْلبه ونابه.

وتقول المجوس: يجيء شُوتَن[1] على بقرةٍ ذاتِ قُرون.

وظهرت الآية في شأن داودَ وطالوتَ في القَرْن، وشَبُّورُ اليَهود من قَرْن[2].

والبُوق في الحُروب مُذ كانت الحَرْب[3] إنما كان قرناً. [وبُوق الرَّحَى قرنٌ، والأيّل يَنْصُل قَرنُه في كلّ عامٍ، وكان سِنان رُمح الفارس في الجاهليَّة رَوقَ ثَور].

(ما يسمى بروق)

ويسمَّى الرَّجلُ بِرَوق، والرَّوْق كالشيء يعاقب الشيء[4] وقال بشّار في التَّعَاقُب[5]:

أعقبَتْه الجَنُوبُ رَوْقاً من الأزْيَبِ [6]

وفي العرَب رَوْق وأبو رَوْقٍ[7]، وقال ابن مَيادة:

دَانَ لـه الرَّوقانِ من وائلٍ وَقَبْلَهُ دَانَتْ له حِمْيَرُ[8]

الرَّوْقانِ: بكرٌ وتَغْلِب[9].

(استطراد لغوي)

ويقال قَرْنُ الضُّحى، وقَرْنُ الشّمس، [وقُرون الشَّعَر]، وقرْنُ الكَلأ[10]، وقرون السُّنْبل، وأطرافُ عذوق النّخْل وأطاف عروق الحَلْفاء[11] وإبرةُ العقرب كلُّها قُرون.

---

(1) ل: «بشؤثن» وفيما عدا ل: «سرقين». وانظر ما سبق في (6: 309) واستدراكات الجزء السادس.

(2) انظر الشبور ما مضى في (4: 15).

(3) فيما عدا ل: «التي منها كانت الحرب»، تحريف.

(4) فيما عدا ل: «كل شيء يضاف إلى شيء».

(5) فيما عدا ل: «اليعاقيب» تحريف.

(6) كذا ورد البيت منقوصًا. وفيما عدا ل: «أعقبه». والأزيب: النكباء التي تجري بين الصبا والجنوب. ط، ش: «الأريب» وفي ل، هـ: «الأرنب»، صوابهما ما أثبت.

(7) وردت هذه الجملة في ل قبل «وقال بشار».

(8) فيما عدا ل: «دان له حمير».

(9) كذا. وقد ذكر المحبي في جنى الجنتين 56 أنهما مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب، وقال في 53: «الرأسان مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب، وهما الروقان أيضًا».

(10) ط فقط: «قرن الكلام»، محرف. وفي اللسان: «وقرن للكلأ أنفه الذي لم يوطأ، وقيل خيره، وقيل آخره. وأصاب قرن الكلأ، إذا أصاب مالاً وافرًا».

(11) ل: «عروق» في الموضعين. وفيما عدا ل: «عذوق» في الموضعين. ولعل الوجه فيما أثبت.

(علاقة القرون واللحى بالذكور)

والأجناس التي [تكون] لها القرون تكون قُرونُها في الذُّكور منها، وقد يكون الفحلُ أجمَّ، كما أن اللِّحَى عامٌّ في الرِّجال، وقد يكون فيهم السِّناط[1].

(أنواع القرون)

وقد تَتَشعَّبُ[2] قرونُ الظباء إذا أسنَّتْ.

وقرونُ الظِّباء وبقَرِ الوحْش شِدادٌ جدّاً، وإنما تعتمد الأوعالُ في الوُثوب[3] وفي القذْف بأنفسها مِن أعالي الجبال على القُرون، والأغلب على القُرون أن تكون اثنَيْن اثنَين[4]، وقد يكون لبعض الغنم قرون عِدّة.

(استخدام القرون)

والجواميسُ تمنَعُ أنفسَها وأولادَها من الأسْد بالقُرون، وبقَر الوحش تمنَع أنفسَها وأولادَها من كِلاب القُنَّاص ومن السِّباع التي تُطيف بها، بالقُرون، قال الطِّرِمَّاح:

أكَلَ السَّبْعُ طَلاهَا فما تَسْألُ الأشباحَ غيرَ انهزَامْ[5]

(قصة في سفاد الخنزير)

وقال ابن النُّوشَجانيّ[6]: أقبلت من خراسان في [بعض] طُرُق الجِبال[7] فرأيتُ أكثرَ من مِيلَين [متّصلين] في مواضعَ كثيرةٍ من الأرض، أثر سِتِّ أرجل، [فقلت في نفسي: ما أعرف

(1) السناط، بكسر السين وضمها. ويقال أيضًا «السنوط» كصبور: الذي لا لحية له. ط: «السنباط» صوابه في ش، هـ. وفي ل: «السوط» صواب هذه «السنوط». وكلمة «فيهم» هي فيما عدا ل: «منهم».

(2) فيما عدا ل: «تشعب».

(3) فيما عدا ل: «وإنما تعتمد الأوعال في السلاح والوثوب»، تحريف.

(4) فيما عدا ل: «اثنتين اثنتين»، محرف.

(5) البيت في ديوان الطرماح 107. فيما عدا ل: «فما نسل الإسلام» صوابه في ل والديوان. وفي شرح الديوان: «هذا مثل. يقول: لا تسأل الأشباح مما بها من الفزع.. غير انهزام: غير أنها تغدو وهي منهزمة».

(6) النوشجاني: نسبة إلى نوشجان، بضم النون وفتح الشين، وهي مدينة بفارس. وفي ط ش: «النوسحار»، وفي هـ: «البوسحار، صوابهما ما أثبت من ل وكتاب البغال. ص 317، من رسائل الجاحظ.

(7) فيما عدا ل: «طروف الجبال»، تحريف.

دابّة لها ستُّ أرجُل] فاضطرَّني الأمر[1] إلى أنْ سألتُ المُكارِيَ، فزَعَم أنَّ الخنزيرَ الذّكرَ في زمان الهَيْج يركب الخنزيرة وهي ترتُع أو تذهَبُ نحوَ مَبيتِها، فلا يَقْطعُ سفادَه أميالاً، ويداه على ظَهْرها ورجلاهُ خَلْف رجليها، فَمنْ رأى تلك الآثار[2]، رأى ستّ أرجل، لا يدري كيفَ ذلك.

(ما يعرف بطول السفاد)

قال: فالخنزير في ذلك على شَبِيهٍ[3] [بحال] الذباب الذكر إذا سقط[4] على ظهر الأنثى، في طول السِّفاد.

وإنّ الجملَ في ذلك لعجيب الشّأن، فأمَّا العدد فالعصفور[5]، ويُحكَى أنَّ للورَل في ذلك ما ليس لشيءٍ، يعني في القوة، وأنشد أبو عبيدةَ:

في عُظْمِ أير الفيل في رَهْز الفرَسْ[6] وطـولِ عَـيْـسِ جَـمَـلٍ إذا دَحَـسْ[7]

(فرس الماء)

قال عَمْرُو بنُ سعيد: فرس الماء يأكل التمساح، قال: ويكون في النِّيل خُيول، وفي تلك البحور ـ يعني تلك الخُلْجان ـ مثلُ خيول البرّ، وهي تأكل التماسيح أكلاً شديداً[8]، وليس للتماسيح في وسط الماءِ سلطان[9] شديد[10] إلاّ على ما احتمَلَه بذنَبه من الشَّريعة.

قال: وفرس الماء[11] يؤْذِن بطلوع النِّيل، بأثر وطْء حافرِه، فحيث وجدَ أهلُ مِصرَ أثرَ تلك الأرجل عرَفُوا أنّ [ماء] النيل سينتَهي[12] في طلوعه إلى ذلك المكان.

---

(1) فيما عدا ل: «فاضطرني ذلك»، محرف.
(2) فيما عدا ل: «ذلك الأثر».
(3) فيما عدا ل: «شبه».
(4) فيما عدا ل: «سقطت»، تحريف.
(5) فيما عدا ل: «والعدد في العصفور».
(6) ط، ش: «الفيل وهو قوس»، هـ: «وهو موس»، وأثبت ما في ل. وفي كتاب البغال 315: «أير البغل».
(7) العيس، بالفتح: الضراب. وفيما عدا ل: «وطول حبس إذا حبس».
(8) فيما عدا ل: «التمساح أكلاً ذريعًا».
(9) هذه الجملة ساقطة من هـ. وفيما عدا ل: «ولا للتمساح في وسط الماء سلطان»، تحريف.
(10) هذه الكلمة ساقطة من ش. وبدلها في ط، هـ: «يظهر».
(11) فيما عدا ل: «وفرس البحر».
(12) فيما عدا ل: «ينتهي».

وهذا الفَرَس ربَّما رعَى الزُّرُوع[1]، وليس يبدأُ إذا رَعَى في أدْنَى الزَّرْع إليه، ولكنّه يحزُرُ منه قدْرَ ما يأكل[2]، فيبدَأُ بأكله[3] من أقصاه، فيرعى مُقْبِلاً إلى النِّيل، وربَّما شرب [هذا الفرس] من الماء، بعد المَرْعَى[4] ثم قاءَه في المكان الذي رَعى فيه[5]، فينبت أيضاً.

والطَّير عندنا يأكلُ التُّوت ويَذرْقه[6]، فينبت من ذَرْقه شجَر التُّوت.

قالوا: وإذا أصابُوا من هذه الخيل فِلْواً صغيراً[7] ربّوه مع نسائهم وصبيانهم في البيوت، ولم يزِدْ على هذا الكلام شيئاً.

قال: وفي سنّ من أسنانه شفاءٌ من وجع المَعِدة.

(التداوي بفرس الماء وبنات عرس)

قال: والنُّوبةُ وناسٌ من الحبَشة يأكلون الحيتان[8] نِيَّةً بغير نار، ويشربون الماءَ العكر فيمرَضُون[9]، فإذا علَّقوا سنّ هذا [الفرس] أفاقوا، قال: وأعفاج هذا الفرس تُبرئ من الجنون والصَّرْع الذي يعترِي مع الأهلَّة[10].

قال: وكذلك لحومُ بنات عِرْسٍ صالحة لِمَنْ به هذه العِلّة.

(صيد الذئب للإنسان)

قال: وإنما يكونُ الإنسان من مصايد الذِّئب إذا لقيه والأرض ثَلْجاء[11]، فإنّه عند ذلك يحْفِش وجْهَ الأرض[12] ويجمعُه، ويضرب وجهَ الرجل[13] فارساً كان أو راجلاً، قال: ودُقاق[14] الثَّلج وغُباره إذا صَكَّ وجهَ الفارس سَدِرَ واستَرْخَى وتحيَّرَ بَصَرُه، فإذا رأى ما قد

---

(1) فيما عدا ل: «الزرع».

(2) الحزر: تقدير الشيء بالحدس والظن. فيما عدا ل: «يحرز منها بقدر ما يأكل».

(3) ط، هـ: «يبدأ فيأكل بأكله» ش: «فيبدأ فيأكل بأكله»، ووجهه ما أثبت من ل.

(4) فيما عدا ل: «بعد الري»، تحريف.

(5) ط، هـ: «ثم قاء». وفيما عدا ل: «يرعى فيه».

(6) فيما عدا ل: «تأكل التوت وتذرفه» والأمثل ما كتبت من ل.

(7) الفلو: الجحش والمهر إذا افتلى وفطم. يقال بكسر الفاء، وبضمها مع اللام وتشديد الواو، وبفتحها مع ضم اللام وتشديد الواو.

(8) فيما عدا ل: «الحية».

(9) هذه الكلمة ساقطة من ل. وفيما عدا ل: «الماء العطن».

(10) انظر لهذا ما سبق في ص 88.

(11) لم أجد هذا الوصف فيما لدي من المعاجم.

(12) يحفشه: يقشره. ط: «يخفش»، صوابه بالحاء كما أثبت من ش. وفي هـ: «يحنش» تحريف.

(13) ط فقط: «وجه الأرض» تحريف.

(14) الدقاق، بالضم. ط، هـ: «دقائق».

حلَّ به فربَّما بَعَج بطنَ الدَّابَّة، وربما عضَّها، فيقبضُ على الفارس فيصرعُه ولا حَرَاك به، فيأكله كيف شاء، وإلاّ أن يكون الفارس مجرباً ماهراً، فيشدُّ عليه عند ذلك بالسِّلاح، وهو في ذلك يَسيرُ ويقطعُ المفازةَ، ولا يدعَه[1] حينئذٍ يتمكَّن من النفر عليه.

(تعليم الذئب وتأليفه)

وزَعَم عبويه أنّ الخصيّ العبدي الفقيه من أهل هَمَدان، السودانيّ[2] الجَبَلّي، وهو رجل من العرب قد ولدته حليمةُ ظئرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو من بني سعد بن بكر، فزعَم أنَّ السُّوداني أشبَهُ خلْق اللّه بجارحةٍ وأحكمُهمْ بتدبير ذئبٍ وكلبٍ وَأسدٍ ونَمر، وتعليم وتثقيف، وأنّه بلَغَ مِن حذقه ورِفقه أنّه ضَرّى ذئباً وعلَّمه، حتى اصطاد له الظِّباء والثّعالبَ وغيرَ ذلك من الوحوش، وأنّ هذا الذئبَ بعينه سَرَّحَه فرجَع إليه من ثلاثين فرسخاً، وذكر أنّ هذا الذئبَ اليومَ بالعسكر، وحدّثني بهذا الحديث في الأيام التي قام بها أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ على اللّه، وذكر أنَّه ضَرَّى أسداً حتى أَلِف وصار أهليّاً صَيُوداً، حتى اصطادَ الحميرَ والبقرَ وعِظامَ الوحش صيداً ذريعاً، إلا أنَّ الأسَد بعد هذا كله وثَب على ولدٍ له فأكلَه، فقتَلَهُ السوداني.

والذي عندنا في الذِّئب أنه يألف، ولو أخذَ إنسانٌ جرواً صغيراً من جرائه ثمَّ ربَّاه، لما نَزعَ إلا وحشيّاً غَدُوراً مُفْسداً، ولذلك قال الأعرابي:

أكلْتَ شُوَيهتي ونَشأْت فينا ... فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيبُ[3]

فالذي حكى عبويه من شأن هذا الذِّئب والأسد من غريب الغريب.

(مصارعة كلبة لثعلب)

وأخبرني عبويه صاحب ياسر الخادم قال: أرسلتُ كلبة لي فحاصرَتْ ثعلباً، فواللّه إنْ زالا كذلك حتى خرَّا ميّتين، قال: فقلت: أكرِمْ بهما صيداً ومَصيداً، وطالباً ومطلوباً.)

(1) الكلام بعد هذا اللفظ إلى «منحتكم المودة من فؤادي» التي ستأتي في ص 168 لم أعثر على موضعها في نسخة ل.
(2) انظر ما سبق في حواشي (6: 16).
(3) سبق البيت والخبر وتخريجهما في 121.

(من خصائص الكبار والفلاسفة)

قال: وإذا أسنَّ القرشيُّ رَحَل إلى الحجاز. وقال: ما احتنَك رجلٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوة، وقالوا: ما فكَّر فيلسوفٌ قط إلا رأى الغُربةَ أجمَعَ لهمِّه وأجوَدَ لخواطره.

(قول بكر المزني في الأرَضة)

قال: وشتم رجلٌ الأرَضَة فقال بكر بن عبد اللّه المُزَني: مَهْ، فهي التي أكلَتْ جميع الصَّحِيفةِ التي تعاقَدَ المشركون فيها على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، إلا ذكرَ رسول اللّه، وبها تبيَّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا في العذاب المهين، وبها تكشَّف أمرُها عند العوّام بعد الفتنة العظيمة عندهم، وكان على الخاصّة من ذلك أعظم المحن.

(طول ذماء الضب)

وخبّرَني رجلٌ من بني هاشم كان منهوماً بالصَّيدِ لَهِجاً به، أنَّه ضَرَب وَسَط ضَبٍّ بالسَّيفِ فقطعه نِصْفَين، فتحرَّك كلُّ واحدٍ منهما على حِيالِه ساعةً من نهار ثمَّ سَكَنا.

(الورل والضب)

وأخبرني أنهم كانوا يُهارِشون بين الضَّبِّ والورَل، فيُلْغِبُه الورلُ حتى يقتله[1].

وحكَى أنّ الورلَ يقتل الضبّ على معنى الصائد والطالب، وأن الضبّ يقاتل على معنى المُحْرَج، وأنّه هارَشَ بين الورَل والحيَّة فوجد الورَلَ يقتُل الحيّة ويأكلها، ويقتل الضبّ ولا يأكله ولكن حُسُوله[2].

(علة عدم قتل الأعراب للورل والقنفذ)

وزعم أنّه وجَدَ مشايخَ الأعرابِ لا يقتلون وَرَلاً ولا قنفُذاً ولا يدَعُون أحداً يصطادهما، لأنهما يقتُلان الأفاعيَ، ويُريحانِ الناسَ منها.

---

(1) ألغبه: أنصبه وأتعبه. واللغوب: التعب والإعياء. ش، هـ: «فيغلبه» تحريف صوابه في ط.

(2) الحسول: جمع حسل، وهو ولد الضب. وفي الأصل: «ولكنه».

(نوادر من الشعر والخبر)

وأنشد أبو عبيدة لأبي ذؤيب:

وسَوَّدَ ماءُ المَرْدِ فاهاً فلَونُه ... كلَوْنِ النَّؤُورِ وهي بيضاءُ سَارُها[1]

وأنشد شبيهاً به للنابغة:

يَتَحَلَّبُ اليعضيد من أشداقها ... صفراً مَناخرُها من [الجرجار[2]]

وأنشد شبيهاً بذلك لإبراهيم بن هَرْمة:

كأنَّها إذْ خُضِبت حِنَّا وَدَمْ[3] ... والحُرض والعـ..ـن والهَرْم العُصُمْ[4]

وأنشد أيضاً:

تُعلَّمُ الأكلَ أولادُ الظباءِ بها ... فما يحسُّ بها سِيدٌ ولا أسَدُ

وأنشد:

ذكرتُكِ ذِكْرةً فاصطدت ظبياً ... وكُنْتُ إذا ذكرتُكِ لا أخِيبُ

منحتُكم المودَّة مِن فؤادِي ... وما لي في مودَّتكم نصيبُ

وقال ابن مُقبل:

وكم من عَدُوٍّ قد شقَقنا قميصَهُ ... بأسمَرَ عَسَّالٍ إذا هُزَّ عاملُهْ[5]

وقال أيضاً:

---

(1) المرد: الغض من ثمر الأراك. ط، ش: «المزن» صوابه في هـ. وفي الأصل: «منها» بدل «فاها» صوابه في ديوان أبي ذؤيب 24، وسارها، أراد سائرها. ورواية الديوان «أدماء سارها».

(2) اليعضيد: بقلة زهرها أشد صفرة من الورس. وفي الأصل: «يتجلب»، تحريف. وفي ط، ش: «ليصيد» هـ: «التعصيد»، صوابهما ما أثبت من الديوان 38 واللسان (عضد، جرر). وكلمة «الجرجار» ساقطة من الأصل، كما أن كلمة «من» قبلها ثابتة في س فقط.

(3) ط: «حنا ورم»، ش: «بحنا ورم»، هـ: «بحنا أودم»، والوجه ما أثبت.

(4) ط، هـ: «من حرص»، وأثبت ما في س والكلمة التي بعدها ساقطة من ط، وبدلهما بياض في هـ، لكن هكذا وردت مبتورة في ش. والحرض: الأشنان تغسل به الأيدي على أثر الطعام. والهرم، بالفتح: البقلة الحمقاء، أو ضرب من الحمض فيه ملوحة والعصم: جمع أعصم.

(5) فيما عدا ل: «شققت». والعسال: الرمح المضطرب اللدن. ط، ش: «عزال» هـ: «عنآل»، صوابه في ل.

ولم أصطبِحْ صهباءَ صافيةَ القَذى بأكْدَرَ من ماء اللِّهابة والعَجْبِ[1]
ولم أسْرِ في قومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ غَطارفةٍ شُمِّ العَرانِين من كلْبِ

اللِّهابة[2] والعَجْب: ماءان من مياه كلب موصوفانِ بالعُذوبة، وهي في ذلك كَدِرة، وأنشد ابن مَزْرُوع[3] لعديِّ بن غُطيفٍ[4] الكلبيّ، وكان جاهليّاً:

أهلَكَنا اللّيلُ والنهارُ مَعا والدَّهر يَعدُو عَلَى الفَتَى جَذَعا[5]
والشَّمْسُ في رأسِ فُلْكةٍ نُصِبَتْ رَفَّعها في السماءِ مَن رَفَعا
أمرٌ بِليطِ السماءِ مُكْتَتِمٌ والنَّاسُ في الأرض فُرِّقوا شِيَعا[6]
كما سَطَا بالآرامِ عادٌ وبالحِجْـ ـرو أرْكَىٰ لتُبَّعٍ تبعا[7]
فليس ممّا أصابني عجب إن كنتَ شَيباً أنكرتُ أو صَلعَا[8]

قال: هو عاد بن عُوص بن إرم[9]، وسَطَا بالحِجْر، أي بأهل الحِجْر[10]، وأرْكَى أي أخَّر، والإركاء[11]: التأخير.

وقال كعبُ بنُ زهير:

فَعْمٍ مُقلَّدُها عَبْلٍ مقيَّدُها في خَلْقِها عن بَنات الفَحْل تَفضِيلُ[12]

---

(1) صافية القذى، أي قد صفت من القذي. واللهابة، بالكسر. فيما عدا ل: «اللهاءة»تحريف. والعجب، هنا بالفتح.
(2) فيما عدا ل: «اللهاءة»، تحريف.
(3) فيما عدا ل: «ابن مروع».
(4) فيما عدا ل: «عطيف»، تحريف. وقد ذكره المرزباني في معجمه ص 252.
(5) فيما عدا ل: «أكلن الليل»، تحريف. والدهر يسمى جذعًا لأنه أبدًا جديد، كأنه فتى لم يسن. وفي الأصل: «جزعًا»، تحريف، انظر اللسان (جذع 394- 395).
(6) أصل الليط ليط العود، وهو القشر الذي تحت القشر الأعلى.
(7) في القاموس (أرم): «وذو آرام: حزن به آرام جمعتها عاد». فيما عدا ل: «بالأنام» تحريف. وأركى: أخر. وفي اللسان: «أركيت الدين، أي أخرته». فيما عدا ل: «أرجا» بالجيم في البيت وفي التفسير بعده. وهما بمعنى.
(8) فيما عدا ل: «إن كنت شيئًا أنكرت أو صنعًا»، تحريف.
(9) فيما عدا ل: «بن أيد»، صوابه في ل والاشتقاق 52.
(10) فيما عدا ل: «أي أتى بأهل الحجاز»، تحريف.
(11) فيما عدا ل: «والإرجاء» وهما بمعنى، كما سبق في التنبيه السابع.
(12) يروى أيضًا: «ضخم مقلدها». والضخم والفعم بمعنى. انظر شرح بانت سعاد لابن هشام 51.

حَـرْفٍ أخـوهـا أبـوهـا مـن مُـهَـجَّـنـةٍ وعـمُّـهـا خـالُـهـا قَـوداءُ شِـمْـلـيـلُ[1]

[وكما قال ذو الرّمّة:

أخوها أبوها والضَّوَى لا يضيرُها[2]]

وقال سالم بن دارة:

حَـدَوْتُ بـهـم حـتّـى كـأنّ رِقـابَـهُـمْ مـن السَّير في الظّلماء خيطان خَرْوَعِ

وقال بعض المحدَثين[3]:

وقـد شَـرِبُـوا حـتـى كـأنّ رقـابَـهُـمْ مـن الـلِّـيـن لـم تُـخـلـق لـهـنَّ عـظـامُ

وقال آخر[4]:

كـأنّ هـامَـهُـمُ والـنَّـوْمُ واضِـعُـهـا عـلـى الـمـنـاكِـبِ لـم تُـعْـمَـدْ بـأعـنـاقِ

وقال الكميت:)

وفـي الـلَّـزَبـاتِ إذا مـا الـسِّـنُـو نَ أُلْـقِـيَ مِـن بَـرْكـهـا كـلـكـلُ[5]

لـعـامٍ يـقـولُ لـه الـمُـؤْلِـفُـو نَ هـذا الـمُـعِـيـمُ لـنـا الـمُـرْجِـلُ[6]

وقال أيضاً:

---

(1) قال ابن هشام: «محتمل لمعنيين: أحدهما التشبيه، أي إن أخاها يشبه أباها في الكرم وعمها يشبه خالها في ذلك. والثاني التحقيق، وإنها من إبل كرام، فبعضها يحمل على بعض حفظًا للنوع. ولهذا النسب صور، منها أن فحلاً ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فأتت بهذه الناقة. وقال الفارسي في تذكرته: صورة قوله أخوها أبوها أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة. وأما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعي: تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لها غلام فهو عمك وخالك إلا أنه عم لأب وخال لأم. صورة أخرى: تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لهما ولد فأنت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله، لأنك أخو أمه من أمها». ثم قال ابن هشام: «ولا ينطبق تفسير أبي علي رحمه الله على ما ذكرت في البيت. لأن الشاعر لم يصف الناقة بأحد النسبين بل بهما معًا».

(2) عجزه كما في ديوان ذي الرمة 175:

وساق أبيها أمها اعتقرت عقرًا

(3) ل: «وقال آخر».

(4) ل: «وقال بعض المحدثين».

(5) اللزبات: الشدائد من السنين. والبرك: الإبل الكثيرة. وفي الأصل: «برقها».

(6) المؤلفون، لعله عنى بهم أصحاب الإيلاف، وهم هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل. المعيم: الشديد العيمة، وهي شهوة اللبن، والمرجل: الذي يجعل القوم لا مركوب لهم فيصيرون راجلين. وفي الأصل: «المقيم» صوابه في السيرة 38 واللسان (عيم). وفي ط، ش، هـ: «المرحل» ول: «الموجل»، صوابهما في السيرة واللسان.

الـطّـيِّـبُـو تُـرْبِ الـمَـغَـار ... سِ والـمـنـابـتِ والـمـكَـاسِـرْ[1]
والـسـاحـبـون الـلاحـفُـو ... نَ الأرضَ هُـدّابَ الـمـآزِرْ[2]
أنـتـمْ مـعـادِنُ لـلـخـلاف ... ـة كـابـراً مِـن بَـعْـدِ كـابـرْ
بـالـتِّـسْـعـة الـمـتـتـابـعـيـ ... ـن خـلائـفـاً وبـخـيـر عـاشِـرْ

وقال أيضاً:

ولا يـكـن قـولـه إلا لـرائـدهـا ... أعشَبْتَ فانزِلْ إلى معْشَوْشِبِ العُشْبِ[3]

ذهب إلى قوله:

مُـسْـتَـأْسِـدٌ ذِبَّـانُـه فـي غَـيـطـلِ[4] ... يـقُـلْـنَ لـلـرَّائـد أعـشَـبْـتَ انـزِل

ولكن انظُرْ كَم بين الدِّيباجتَين، وفي الأوَّل ذَهَبَ إلى قول الأعشى:)

إذا الـحَـبَـرَاتُ تَـلـوَّتْ بـهِـمْ ... وجـرُّوا أسـافِـلِ هُـدّابِـهـا

قال: كان[5] أصحابُ النبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقولون: كونوا بُلْهاً كالحمام ولقد كان الرّجل منهم يدعُو لصاحبه يقول: أقلَّ اللّه فِطْنتك.

قال: وهذا يخالف قول عمرَ رضي اللّه عنه، حين قيل له: إنّ فلاناً لا يعرف الشَّرّ، قال: ذلك أجْدَرُ أن يقَعَ فيه.

وقال النابغة الذبياني:

ولا يـحـسَـبـونَ الـخـيـرَ لا شَـرَّ بَـعْـدَهُ ... ولا يـحـسـبـون الـشَّـرَّ ضـربـةَ لازِبِ

وقال الآخر:

---

(1) المكاسر: جمع مكسر، وهو من الشجرة أصلها حيث تكسر منه أغصانها. ويقال فلان طيب المكسر إذا كان محمودًا عند الخبرة.

(2) فيما عدا ل: «اللاحقون»، تحريف. ويلحفون الأرض: يغطونها. ومثله لطرفة:

ثـم راحـوا عـبـق الـمـسـك بـهـم ... يـلـحـفـون الأرض هـداب الأزر

والمآزر: جمع مئزر. فيما عدا ل: «المآسر»، تحريف.

(3) صدره فيما عدا ل: «مكرم قوله للزائرين له»، وفي ط: «معلوبة العشب»، ش، هـ: «مقلوبة»، والوجه ما أثبت من ل.

(4) ل: «مستأسدًا» ط: «ذئابه» تحريف. والرجز لأبي النجم من أرجوزة له طويلة نادرة عدد أبياتها 191 وقد نشرت بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (8: 472-479) سنة 1928. وكان رؤبة يسميها أم الرجز. انظر ما سبق في (3: 170).

(5) في الأصل: «فإن». وانظر ما مضى من الكلام على الخبر التالي في حواشي (3: 105).

ولا تعذِراني في الإساءة إنّه شِرَارُ الرجال مَنْ يسيء فيُعذَرُ[1]

وقالت امرأة ترثي عُمَير[2] بنَ مَعْبَد بن زُرارة:)

أَعيْنُ ألا فابكي عُميرَ بن مَعبدِ وكان ضروباً باليدينِ وباليدِ[3]

تقول: بالسَّيف وبالقداح، لأنّ القداح تُضرَبُ باليدين جميعاً، وقال ابن مقبل:

وللفؤاد وجيب عند أبهَرِهِ لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغيبِ بالحجَرِ

وقال ابن أحمر:

وفؤادهُ زَجِلٌ كعرفِ الهُدْهُدِ [4]

وكان حسّان يقول لقائده [إذا شهد طعاماً«أ]طعامُ يدٍ أم طعام[5] يدين؟، طعام يدين: الشِّواءُ وما أشبه ذلك، وطعام اليد: الثرائد[6] [وما أشبَهَها].

وقال بعض السَّلاطين لغلامٍ من غِلمانه وبين يديه أسيرٌ: اضربْ، قال: بيدٍ أو يدين؟ قال: بيد، فضرَبه بالسِّياط، قال: اذهبْ فأنتَ حُرّ[7]، وزوّجَه وأعطاه مالاً.

[وسارَّ رجلاً من الملوك بعضُ السُّعاة بابنٍ له ذكر أنّه بموضع كذا وكذا يشرب الخمر مع أصحاب له، فبعثَ غلاماً له يتعرّف حالَه في الشراب، فلمّا رجع وجَدَ عنده ناساً فكرِه التفسير، فقال له: مَهْيَمْ[8]، قال: كان نَقْلُه جُبْناً، قال: أنت حُرّ، لأنّ مُعاقِري الخمرِ يتنقلون بالجبن لأسبابٍ كثيرة].

---

(1) سبق البيت في (3: 261).

(2) ل: «امرأة في عمير».

(3) سبق عجز البيت في (6: 273) وأنشده ابن قتيبة في الميسر والقداح 140 بدون نسبة، وبرواية: «عمير بن معمر».

(4) صدره كما سبق في (3: 292):

إذ صبحته طاويًا ذا شره

وفي اللسان (4: 446):

ثم اقتحمت مناجدًا ولزمته

فيما عدا ل: «وجل»، تحريف. والزجل: ذو الصوت. والهدهد، يروى بضم الهاءين، وهو ذلك الطائر. ويروى بفتحهما، وهو أصوات الجن، ولا واحد له.

(5) سبق الخبر برواية أخرى في (6: 273).

(6) فيما عدا ل: «الثريد».

(7) فيما عدا ل: «أحسنت فأنت حر».

(8) مهيم، بفتح الميم والياء وسكون الهاء وآخره ميم: كلمة يمانية معناها: ما أمرك وما شأنك. وقد ورد في أكثر من حديث.

وكان فرج الحجَّام مملوك جعفر بن سليمان[1]، إذا حَجَمه أو أخذَ من شَعرِه[2] لم يتكلَّم ولم يتحرّك، ولم يأخذ في شيء من الفضول، فقال جعفر[3] ذاتَ يوم: [واللّه لأمتحننّه، فإن كان الذي هو فيه من عَقْلٍ لايَنْتُهُ، وإن كان كالطَّبيعة والخِلقْة لأحمدَنّ اللّه على ذلك، فقال له يوماً]: ما اسمك يا غلام[4]؟ قال: فرَج، قال: وماكُنْيتُك؟ قال: لا أكتني بَحضْرَة الأمير، قال: فهل تحتجِم؟ قال نعم، قال: مَتَى؟ قال: عند هيجه[5]، قال: وهل تعرفُ وقتَ الهيج؟ قال: في أكثر ذلك، قال: فأيَّ شيءٍ تأكلُ على الحجامة[6]؟ قال: أما في الصَّيفِ فسِكْباجةٌ محمَّضَة عذبة[7]، وأمَّا في الشتاء فديجيراجة[8] خاثِرةٌ حُلوة، فأعتقه وزَوَّجه، ووهَبَ له مالاً.

وكان قاطعَ الشهادة، ولم يكنْ أحدٌ من مواليه [يطمع] أن يُشهدَه إلاّ على شيء [لا] يختلف فيه الفقهاء[9]، وهو الذي ذكره أبو فِرْعون[10] فقال:

خَلُّوا الطَّريقَ زَوْجتي أَمامي أنا حميمُ فَرَجِ الحجَّام[11]

وكان أهل المربد[12] يقولون: لا نرى الإنصاف إلا في حانوتِ فرج الحجَّام، لأنّه كان لا يلتفت إلى مَن أعطاه الكثيرَ دونَ من أعطاه القليل، ويقدِّم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث أبداً[13] حتى يأتي على آخرهم، على ذلك يأتيه من يأتيه، فكان[14] المؤخَّر لا يغضَب ولا يشكُو.

وقال ابن مَقْروم الضّبي[15]:

---

(1) فيما عدا ل: «مولى جعفر بن سليمان».
(2) فيما عدا ل: «وأخذ من شعره».
(3) فيما عدا ل: «فقال له جعفر»، وكلمة «له» مقحمة.
(4) فيما عدا ل: «يا حجام».
(5) أي عند هيج الدم. وفيما عدا ل: «عند الهيج».
(6) فيما عدا ل: «عند الحجامة».
(7) سبق الكلام على السكباجة في (2: 139)، ويقال لها أيضًا «الخلية» نسبة إلى الخل. فيما عدا ل: «محضة» تحريف. وقد وردت كلمة «عذبة» في ط، هـ بعد «سكباجة».
(8) فيما عدا ل: «فداكراجة». وجاء في كتاب الطبيخ البغدادي ص 12: «ديكبريكة» وذكر محققه العلامة داود الحلبي أنه يظنه من الآرامية بمعنى الديك المبارك. وكتب البغدادي في صفته «ومن الناس من يحليه بقليل سكر».
(9) فيما عدا ل: «إلا على ما يختلف فيه الفقهاء»، تحريف.
(10) ترجمته سبقت في (6: 48).
(11) فيما عدا ل: «أنا حمام» تحريف.
(12) فيما عدا ل: «المدينة» تحريف.
(13) فيما عدا ل: «ويقدم الأول فالأول».
(14) فيما عدا ل: «وكان».
(15) هو ربيعة بن مقروم الصبي، سبقت ترجمته في (1: 275). ط، هـ: «ابن مقرم» محرف. والبيت الأول والثاني مضيا في (6: 275). وانظر بعض أبيات قصيدته في الحماسة (1: 13-14) والأغاني (19، 92-93) والخزانة (3: 565-566) والخيل لأبي عبيدة 172.

وإذا تُـعـلَّـل بـالـسِّـيـاط جِـيـادُنـا ... أعـطـاك ثـائـبـةً ولـم يـتـعـلّـلِ [1]
فـدعَـوْا نَـزَالِ فـكـنـتُ أوّل نـازلٍ ... وعَـلامَ أركـبُـهُ إذا لـم أنـزِلِ
ولـقـد أفَـدْتُ الـمـال مِـن جَـمْـع امـرئٍ ... وظَـلَـفْـتُ نفسي عـن لئيم المأكلِ [2]
ودخـلـتُ أبـنـيـةَ الـمـلـوكِ عـلـيـهـمُ ... ولَـشَـرُّ قـولِ الـمـرءِ مـا لـم يـفـعَـلِ
وشـهـدتُ مَـعْـرَكـةَ الـفُـيـولِ وحَـولَـهـا ... أبـنـاءُ فـارسَ بـيـضُـهـا كـالأعـبَـلِ [3]
مـتَـسـرْبِـلـي حَـلَـقِ الـحـدِيـدِ كـأنّـهُـمْ ... جُـرْبٌ مُـقـارِفَـةٌ عَـنِـيَّـةُ مُـهْـمِـلِ [4]

تم المصحف السابع من كتاب الحيوان، وبتمامه تم الكتاب [بعون الملك الوهاب[5]]، والحمد لله على حسن الختام. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام[6].

(1) البيت ساقط من ل. وفي الأصل: «ثانية»، تحريف. والثائبة: الدفعة الراجعة من الجري، ثاب: رجع.
(2) ظلفت: منعت وكففت. ط: «وعففت» هـ: «وكلفت» ش: «وظلقت» صوابهما في ل. وفيما عدا ل: «عن كريم المأكل»، تحريف.
(3) الأعبل والعبلاء: حجارة بيض. وأنشد في صفة ناب الذئب:
يـبـرق نـابـه كـالأعـبـل
(4) العنية: هناء الإبل. والمهمل: الذي يهمل الإبل في الرعي يخلي بينها وبين نفسها. ط، هـ: «مقاذفة»، صوابه في ل، ش. وفي ط، هـ: «الشحم الخنظل»، وفي ش: «بشحم الحنظل»، صوابهما في ل.
(5) هذه من ش.
(6) جاء في ختام ل: «تم الجزء السابع من كتاب الحيوان بحمد الله ومنه، وهو آخر الكتاب». وفي نهاية هـ: «ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء لتسع خلت من شهر رجب الأصم المعظم عام إحدى عشر وثلثمائة وألف من هجرة من له كمال العزة والشرف. على يد كاتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن عبد الله الزمراني غفر الله ذنوبهما، وستر عيوبهما، وفعل ذلك بكافة المسلمين والمسلمات. وكتب بالمحروسة العامرة حفظها الله وحماها. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. آمين».

فهرس الأبواب

القول في أحساس أجناس الحيوان 3
ما جاء في ذكر الطير 30
أسماء ما في النجوم والبروج والفرس والناس وغير ذلك، من أسماء الطير 33
باب ما جاء في الشعر من أحساس الطّير . . وغير ذلك من الحيوان 38
باب ذكر اختلاف طبائع الحيوان وما يعتريها من الأخلاق 40
باب ما يستدل به في شأن الحيوان على حسن صنع اللّه 42
ما جاء في الفيلة 45
باب ما يدخل في ذكر الفيل.. وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك 51
قطعة من أشعار الاتعاظ 94
أبيات لبعض الشعراء العميان 96
باب في الحاجة 97
باب في الوعد والوفاء به والخلف له 98
من أشعار الأعراب 101
من هجا امرأته 103
مَن هجتْه زوجته 104
باب الظلف 157